#تفاعل

استمارة ٦

خالد حبيب

تفائل#

استمارة ٦

أيام الحلال والحرام، بين البزنس والإعلام

خالد حبيب

دار نهضة مصر للنشر

إشـراف عام: داليا محمد إبراهيم

جميــع الحقــوق محفـوظــة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظـــر طـبـــع أو نـشـــر أو تصـويـــر أو تخـزيـــن أي جــزء مــن هــذا الكتــاب بأيــة وسيلــة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصويـــر أو خــلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريــح من الناشـــر.

الترقيم الدولي: 9789771455592

رقـــم الإيـــداع: 21468 / 2017

الطبعــة الأولى: أكــتـوبـر 2017

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة 21

تليفـــون: 33466434 - 33472864 02

فاكـــس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com

(...ثم إن كل اللي بيحاولوا يبعدوك عن الراجل الكبير بيبقوا صغيَّرين قوي)

1 - الحادثة.. ليس لك من الأمر شيء..

كانت أيام ملخبطة قوي، فيها كل حاجة. نجاح كبير في شغلي، بس مستنّي ترقية ما بتجيش، عشان مديري قافل عليّا. وبرنامج تليفزيون ناجح ونزل في رمضان بعد الفطار، بس صفر دعاية وصفر فلوس. محبط ومش طايق نفسي وحاسس إني جامد جدًّا ومش واخد حقي؛ النموذج المثالي للأناني اليائس اللي مش شايف غير روحه، ومش حاسس بقيمة كل النعم اللي عنده.

الخميس الساعة حداشر بالليل راجع مع مراتي من 6 أكتوبر، والدنيا زحمة وكله جميل. كان مفروض أسافر يومها للأردن في اجتماع شغل، وبعدين حصل انفجار هناك، وأنا ساعتها قلت ميّة ميّة؛ كده مش هاسافر، وأكيييد يوم السبت بالليل هاكون في بيتي ومعايا الشلّة وبنتفرّج على ماتش الأهلي في نهاية بطولة إفريقيا. بس ما قلتش إن شاء الله. قبل ميدان لبنان كان معادنا مع القدر، راجل طيب جاي في الاتجاه العكسي بسرعة تمانين، جاتله أزمة قلبية، ومات، فقد السيطرة على العربية طبعًا، وطارت بيه في الاتجاه بتاعنا. ما شفتهاش أساسًا. اصطدام رهيب بالناحية الشمال اللي أنا كنت فيها، وفي لحظتها رحت في غيبوبة بين الموت والحياة. بيحكولي إن الدنيا اتقلبت، والأمن جه بسرعة، ومحاولات مستميتة إنهم يخرّجوني من العربية، كنت تقريبًا مطحون بين الحطام. والعسكري الطيب جه بسرعة وبعدين بصّ عليّا وقال للظابط في اللاسلكي(لا يا أفندم ده واحد عادي، مش مهم يا فندم)، ومشي بعيد وقعد يتفرّج مع الناس. مش مهم فعلًا.

ساعتين لغاية ما خرّجوني من الأشلاء، وطيران على المستشفى، وعملية طويلة 9 ساعات مع طبيب شاب ونابغة، بكل إصرار قرر يعمل أسلوب جديد، وقال لهم لو ما عملناش كده عمره ما هيمشي تاني. عملها، ومن أول ثانية بدأت رسايل ربّي. بدأت أفوق بعد العملية بيومين، على يوم السبت بالليل، عشان ألاقي جنبي تلاتة، اتنين أصحاب عمر ومديري. التلاتة ما سابونيش لحظة، ليلتين كاملتين لغاية ما فقت. بتعرف الناس ومعادنهم في الأيام الصعبة. كانوا جوّه قلبي قبلها، ومن يومها ملكوني تمامًا. السبت بالليل كان الأهلي بيلعب، وأنا مش شايف أي حاجة، ابقى قول إن شاء الله يا ابني بعد كده، مش بتاعتك. تاني يوم كنت متحمس بقى وعايز أرجع للحياة، ومدام جيهان الجميلة اللي معايا في الشغل جايّة وجايبالي ورق عشان أمضيه، عينيها بتقوللي قوم وما تستسلمش، في قلبي هي قوي. بس كلام الدكتور كان صدمة. احتمال كبير إنك عمرك ما تمشي تاني، ولا تستخدم إيدك الشمال تاني. الحادثة كبيرة قوي. ومحتاج إرادة من حديد وتحمّل آلام تفوق الجبال، وقبل وبعد كل حاجة إن ربّك يريد. في لحظة الزمن وقف، والسكون قتل كل أصوات الحياة. كنت متحمس وعايز أرجع بقى وأكمّل على نجاح برنامج التليفزيون، ومستعد خلاص أقبل عرض السفر للخليج وأعمل فلوس. كله مات. مش هامشي تاني.

في لحظة كل أحلامي تضاءلت للغاية، ولقيت حلم حياتي تقلّص في إن إيدي الشمال تلمس وشّي من جديد. الحركة اللا إرادية اللي بنعملها كل يوم باستهانة شديدة، طلع وراها منظومة عضلية عصبية مرتبطة بمليون خلية وشريان وعظم وروح.سبحانك يا ربّي، وقت الإيمان جد.. كأني باشوف معجزة الحياة والخلق من جديد. هديت.. ونسيت كل الحاجات اللي كانت حارقة دمي، صغيّرة قوي جنب أصغر نعم ربّي. وتقبّلت ورضيت. وبدأت رحلة العلاج، ليل مع نهار، وتحمّل لآلام غير طبيعية. أربع شهور بعدها وكانت إيدي الشمال بتلمس وشّي.. وبكائي كالسيل المنهمر.. تسليم بقدرة ربّي، وقلب بينوّر بالإيمان. بنبقى فاكرين إننا مؤمنين لغاية ما تيجي حاجة تهزّنا، وساعتها تبدأ رحلة الإيمان الحقيقي.

تدريجيًّا رجعت للحياة، لكن الرسايل كانت لسه مش كاملة. في يوم ربيعي مشرق كلّموني من الشغل وقالولي سيب البيت حالًا، أصل فيه احتمال يقبضوا عليك، حكم حبس 3 سنين بسبب الحادثة، أصلك إنت قتلت الراجل. يا رااجل! طلع كان فيه قضية، والمحامي بتاع الشركة ما راحش الجلسة، والعادي إنهم بيشوفوا العربية الأكبر والأغلى، ويحمّلوا صاحبها المسئولية عشان التاني ياخد التأمين، حكم بشري إلهي كده. عملنا استئناف، وبدأنا رحلة تانية قمة في الرعب والقلق.، أصل حضرتك مش مستوعب، لو في الاستئناف حكموا عليّا بليلة واحدة سجن لازم أترحّل فورًا. وأنا مش هاستحمل ليلة ولا حتى ساعة في الحبس، متدلّع أنا. جبت محامي محترف، وقاللي طبعًا إنت لابس القضية رسمي، الورق بيقول كده. أملك الوحيد غرامة، أو إنّك توصل لبتوع النجدة يمكن يكون عندهم المحضر الصحيح. كان فات ست شهور على الحادثة، أخدت بعضي ورحت على مقر النجدة، وبكل ثقة دخلت على الراجل الكبير، وطلبت منه أشوف

محضر النجدة في الليلة المشؤومة بتاعت 9 نوفمبر. بصّلي باستغراب وقاللي إنت مجنون؛ عايزني أفتح الدفتر، وألاقي إن الظابط بتاعي ما كتبش التقرير زي العادة، طبعًا لأ، انسى.

نسيت وقمت على الباب، وقّفني تاني وسألني إزّاي أبقى راجل محترم ومتعلم وأسيب المحاضر تتعمل غلط، إزّاي ما ادفعش للعسكري في لحظتها عشان يكتب اللي أنا عايزه. أصلي كنت باموت يا فندم. برضه، اقعد معايا واحكيلي أدينا بنتسلّى. مش ناقص أنا بس ماشي، والراجل قاعد في الحر ومنديل على رقبته عشان العرق، ومروحة عتيقة صوتها مذلّ، لغاية ما قام فجأة وقاللي أنا عرفتك! إنت مذيع صح؟! خفت أنا، مش ناقص، رفع السمّاعة وكلّم حد في التليفون وحطّها على مكبر الصوت؛ فاكرة يا لولو الجدع المذيع الغلس اللي كان بيعمل برنامج ساخر في رمضان؟ ولولو ردّت بسرعة وقالت له يا بابا إنت بتموت فيه، وبتتفرّج عليه في الإنجليزي وإنت مش فاهمه. وبابا قال لها طب أنا جبت لك أنكل خالد هنا بنفسه، وإن شاء الله هو اللي هيشغلك في الإعلام بعد الجامعة. وأنا في ثانية أخدت التليفون وقلت لها يا لولو يا حبيبتي إنتي من النهارده نجمة إعلام، بس بابا يخلّص. بابا ما خلّصش، قعدنا بعدها تلت شهور بأروح له كل ليلة، يجيبلي رجال أعمال وظباط يحكولي عن حواديت الفساد والبلاوي، وأنا مش عايز أعرف يا ولاد، عايز المحضر، وأمشي جنب الحيط وبس. كان وقتها بيجيلي مكالمات جميلة كمان، بتقوللي خفّف بقى النقد اللي بتعمله في البرنامج، وإلّا هتلاقي ورق القضية بيقول إنّك كنت مع فتاة ليل وسكران طينة ووشّ الفجر وقت الحادثة. مش عايز دوشة أنا. وقبل ما أيئس تمامًا، رحت له مرة، ودخل علينا ظابط شاب وقاللي أنا عارفك، إنت بتاع حادثة المحور، فاكرك كويس، أنا اللي أنقذت حياتك لمّا قلت لهم إزّاي يطلّعوك من العربية بدل ما يقطعوا رجليك. هاكتب لك المحضر حالًا. أصلي مش دايمًا باكتب، بس بأسيب صفحات فاضية احتياطي. حلم يا ربي. أخدت نسخة رسمي من المحضر، وقدّمناه للمحكمة.. كان لسه فيه شوية دراما. القاضي أصرّ يشوف الظابط ويسمع شهادته، ويوم الجلسة الأخيرة من الفجر عدّيت على المحامي في بيته وبعدها الظابط في القسم وطلعنا على المحكمة، عايز أضمن كل حاجة. الظابط طلع ناسي الكارنيه، والقاضي أصرّ وقال له قدّامك لغاية آخر الجلسة وإلّا التأجيل. والظابط ساكن في عين شمس. شويّة والمحامي بتاعي طلبوه في حاجة مستعجلة. اختفى هو كمان. كل التخطيط راح في ثانية.. لقيتني بأضحك.. التوتر الرهيب اختفى، وحلّ محلّه تسليم لا نهائي بقضاء الله. مش أنا اللي باتحكّم في أي حاجة. فعلًا.. ليس لك من الأمر شيء.. هديت بقى، وقعدت أقرأ سورة ياسين، يومها قريتها 42 مرة. وربّك بقى لمّا يريد. الظابط وهو نازل لقى الكارنيه بتاعه واقع جنب العربية، وطلع تاني. والمحامي الكبير بعت ابنه المحامي الشاب، والقاضي شافه وقال له تعالى إنت وهات الشاهد، أصل أبوك بيحرق دمي. في خمس دقايق كانوا في غرفة القاضي، وفي عشر دقايق كان الحكم صادر. براءة. يااااه..... اتولدت من جديد.. كمّ رسايل وعبر مالهاش مثيل..

يا ربّ مانساش تاني.. عشان الدنيا هتاخدني.. ولو نسيت يا رب رجعني.. ولو مـا رجعتـش قوي يا رب اغفرلـي.. عـارف إنـك هتغفرلـي.. النـبي موسـى قتـل وكـان هيقتـل تـاني.. ورحمتك وسعت كل شيء.. واحنا فعلًا صغيّرين قوي.. وليس لنا من الأمر شيء.. لو بــس نرضى ونسّلم.. الحمد لله...

2 - مِنْ أبو كام ده؟!

كانت أول تجربة بعد سنين مع الشركات العالمية، رجوع بقى للمحلي، وإغراءات الفلوس والسلطة المطلقة. الاستشاري اللي جابلي الشغلانة قاللي شعر في صاحب الشركة، الراجل الكبير، وقعدت معاه ولقيته قمة في الذكاء والألمعية والحماسية والروح. محترم وعايز يعمل حاجة بجد. قلقت شوية لأنه داخل في السياسة، بس قاللي لو ما دخلناش في السياسة هنموت، هيقتلونا الحيتان الكبيرة. المهم إنت ما تقلقش، خلّيك في شغلك وحوّلنا لشركة عالمية، أنا عايز نجيب أبطال العالم في كل إدارة يبقوا عندنا هنا.

قلقت أنا على طول، قلت له مش لازم أجمد واحد في حتة تانية يبقى جامد عندك، ولا مؤاخذة اللعب البلدي محتاج مهارات خاصة، ناس صايعة ونضيفة، ويقدروا يلعبوا كل الألعاب، ودي مش سهلة قوي، خلّينا في تاني مستوى، شباب محترف وخبرات معقولة وشخصيات بتقدر تستحمل وتكبر معانا. قاللي لأ. الكبير قوي، بطل العالم. طب يا سيدي مش دايمًا بطل العالم هييجي يلعب في فرقة لسه صغيرة ومالهاش نظام، واللي جوّه عندك مش هيستمتعوا كل يوم وهمّا شايفين ناس جايّة من برّه بأضعاف مرتباتهم. قاللي ما أنت جيت وأنت بطل عالم، اشمعنى يعني. أنا مغفل سعادتك ووضعي مختلف، وباحب ألعب الماتشات الصعبة وأعمل تغيير في حياة الناس. مش كتير النوع ده. وبعدين حضرتك تاني يوم بعد دخولي المكان، كان فيه ورقة متعلقة عند مدخل الشركة فيها مرتبي، عملوا عليّا فرح سعادتك. يعني الموضوع مش هزار.

صحيح أنا تعاملت وجمعت المديرين، واستعرضت الأسباب الاحترافية اللي تخلّي مرتبي أعلى والأسباب غير الاحترافية اللي تخلّي مرتباتهم قليلة، لكن برضه.

ولا سمعني أساسًا، قاللي خالد بيه، هاتلي بطل العالم. بدأنا نشتغل على الوظايف الكبيرة، وقدرنا نجمع فريق معقول. بس كان فيه وظيفة معصلجة شويّة؛ رئيس تنفيذي لشركة من الشركات بتاعتنا. عشان نجيب بطل العالم قعدنا 3 شهور، قلبنا الدنيا وجبنا أحسن لعّيبة في البلد، وأجانب كمان، والراجل الكبير مش عاجبه حاجة. الجميل في الموضوع إنه كان بيقعد ساعة واتنين وخمستاشر في مقابلات وتحليل وتدقيق، ويطلب من المرشح للوظيفة إنه يعمل خطة متكاملة وتسويق وإدارة استراتيجية وكلام كبير.

وبعدين في الآخر يقوللي نشوف غيره. ليه يا كابتن، أصله مش عاجبني، عنده مشاكل نفسية، مش مريّحني، أسباب اللي هي من نوعية عايز منه باللون الفوشيا لو سمحت.

وأخيرًا في يوم دخل عليّا بواحد ابن حلال، وقاللي وقّع العقد مع سمير بيه. صدمة بالنسبة لي، أصلي أنا أعرف سمير بيه كويّس، وعمره ما اشتغل الشغلانة دي. بس الراجل الكبير مصرّ، وشايف إنه ييجي منه، اختياره وانتصاره، وبيثبت إنه فاهم أحسن من كل شركات التوظيف، وطبعًا فاهم أحسن منّي. بعد كلامي معاه رجعت لسمير بيه، سعادتك سايب وظيفة مستقرة في شركة عالمية، وجاي عندنا في وظيفة إنت عمرك ما اشتغلتها، ووسط مناخ عمرك ما جرّبته. حضرتك متخيل ممكن يحصل فيك إيه؟ سمير بيه مش سهل برضه، قاللي يا خالد بيه دي لعبتي، شغلتي ألعب مع الكبار. أحب الثقة والغرور الشخصي ده، عملت اللي عليّا، يبقى على خيرة الله. بدأ سمير بيه، البداية القوية بتاعت المديرين الكبار، سكرتيرة ومكتب كبير وتكييف وسواق وكروت، أساسيات البهوات في عالم الإدارة. ما سمعتش عنه حاجة في الشغل، لكن عادي، لسه مرحلة جس النبض والتعارف، والراجل قاللي إنه محترف لعب مع الكبار. وبعدين كانت المكالمة الرومانسية، طلبني رئيس مجلس الإدارة بصوت هادي - باقلق على طول من الصوت الهادي - رحت له. قاللي عايزين نرفد سمير بيه. يا راجل! حضرتك ده لسه معانا بقاله شهر ونص. قاللي بطيء قوي. مش سريع زيك. قلت له أنا وضعي مختلف. الموارد البشرية دائمًا تقدر تطلّع قماش بسرعة. لكن الراجل ده رئيس تنفيذي، يعني قدّامه وقت وشغل كتير، والقرار عنده بحساب والغلطة تمنها كبير. والاستراتيجية محتاجة وقت. قاللي من أبو كام ده. نعم؟ من أبو كام، كررها. فهمت قصده، مرتبه. قلت له، وكان رقم كبير. قاللي لا لا لا. خالد بيه؛ يمشي فورًا. بس سعادتك ده ما كمّلش 3 شهور. قاللي بالظبط! يعني لسه في فترة الاختبار، يعني كمان ما ياخدش تعويض. يا بيه، يا فندم، سمعتنا، الراجل وبيته، مش هنعرف نجيب أبطال عالم تاني. خالد بيه؛ ترفده حالًا لو سمحت، أشوفك عالغدا.

خرجت من عنده وطواحين بتضرب في دماغي، براجع كل كلمة في الحوار. عايز أتأكد إني عملت اللي عليّا. كان مفروض أساسًا أصرّ على رفض التعيين، الراجل مش شغلته. بس برضه أنا دافعت عن الراجل في حدود مسئوليتي وسلطتي، وهو ما ساعدنيش بنتايج شغله. نتايج إيه يا بتاع النتايج، دول 6 أسابيع!

اعترف أحسن لك إنك بتربط الحمار مطرح ما يعوز صاحبه، في الآخر الكلمة لصاحب المال والقرار. على الأقل قلت رأيي ونصحت. ودلوقتي لازم أنفّذ، ومش هاقدر أقول له ده كلام الراجل الكبير وغصب عني وكده. دلوقتي أنا بأمثّل الشركة كلها.

طلبته في مكتبي، وبكل هدوء وبرود بلّغته. الشركة شايفة إنك ما ينفعش تكمّل معانا. الهدوء بتاعي غالبًا انعكس عليه. مع الذهول والصدمة الحوار بدأ واستمر. ما كانش فيها منطق. في الحالات دي بتحاول تنهي الحوار بأسرع ما يمكن. قرار شركة. ممكن تكون أحسن لعّيب في العالم لكن مش منسجم معانا. لأ، مش من حقك أي مكافأة. قرارك بالانضمام كان فيه مخاطرة ليك ولينا. ده التطبيق النادر لفكرة فترة الاختبار. مع كل كلمة بأقولها كل الشياطين بترقص قدّامي. متخيل مراته وولاده. ومتخيل مكانهم مراتي وولادي. كمّلت بالسكينة الحامية. مفيش داعي تستمر أكتر من النهارده. هنجيبلك حاجتك من مكتبك. عشان نوفّر الألم والإحراج. ومن عندي التزمت بالمرتب لنهاية التلت شهور. ومعاها شهادة إنه مشي بقراره ولعدم انسجامه. أقل حاجة. حتى لو مش هتفرق قوي.

خرج من عندي واحنا الاتنين بنبصّ في الفراغ. كل واحد فينا بيفكّر هيعمل بكـره إيـه؛ هـو في الشارع وأنا أكيد هاحصّله.. غصّة في القلب.. أصـحاب المـال اللـي بيوزنونـا بالمـال.. بأسأل نفسي لو مكان صاحب المال كان يمكن أعمل زيّه ولّا مبادئي هتصمد فـي الواقـع. بس الحمد لله أنا مش مكانه، وغالبًا عمري ما هاكون مكانه.. مش بتاع كلمة مـن أبـو كـام ده، اللي بيحسبها بالفلوس بس، عمره ما يحترم غيرها.. هتوحشنا يا سمير بيه..

3 - الإشاعة.. لما كشفت نفسها..

أجمل حاجة وإنت داخل أي مكان جديد لمّا الناس تشجعك وتثق في قدرتك على التغيير. وأسهل إثبات لكده هو الإشاعة الدائمة المستمرة إنك ماشي ومش قادر ومش هتقدر. من أول يوم يا أخي، كأنهم بيزقّوك على الرحيل. والعادي بتاعك إنك تطنّش خالص، وتتفرج كمان على اللي بيقولوا الإشاعة، واللي بيصدقوها واللي بيتصرّفوا بناء عليها. بس أنا مش كده، أحب أتسلّى وألعب، وأحب أعبّر. بقيت أكتب على الفيس بوك انطباعات وانفعالات مبهمة وتلخبط، ودي خلّت الشباب مش عارفين إيه النظام، هو عارف ولّا بيلاعبنا ولّا إيه بالظبط. المرة دي الإشاعة كانت مالية المكان. الراجل شكله خلاص هيمشي. سمعوا كذا حوار ليّا في الإذاعة ومعاها فيديو عملته عن الأسباب اللي الواحد يسيب شغله عشانها. كانوا عارفين الحرب اللي بيني وبين واحد من العصابة القديمة. اللي كان بيحارب بكل ما عنده عشان يحتفظ بالسلطة والنفوذ. والراجل نفسه كان شغّال زي النحلة، بيلف على كل الناس ويقول لهم خلاص هانت، والغمّة هتنزاح، والجدع الجديد هيروح في الوبا.

وصلت المكتب لقيت مهرجان. ناس كتير رايحة وجاية. واللي يقوللي اوعى تسيبنا. واللي جاي عايز يتأكد ويعمل حسابه. فضلت ساكت تمامًا. كنت لسه مش مقرّر حاجة. لمّا أقعد مع الراجل الكبير الأول. بس الناس ما بتستنّاش. وبعضهم بيندفع زيادة. منهم اللي جات وقالت لي أنا معاك في أيّ مكان. حتى لو خرجت وبقيت على باب الله؟ معاك برضه. إيه الجمال ده! ساعة الجد ممكن ما تقدرش، بس كفاية الإحساس الجميل. ومنهم اللي ما جاتليش وقررت تلعب على جثتي. البنت دي بقى كانت قصة، سها. من أول يوم قالولي عليها عصفورة. قلت وماله، مفيش حاجة نخبّيها، وبعدين مش لوحدها اللي بتلعب الدور ده. كان معاها واحد شكله زيّها، شغّال نقل كلام. اصطدته في مرة وعملته عبرة قدّام الناس، وخصوصًا قدّامها، عشان توصل الرسالة. أوحش حاجة يا ولاد دور العصفورة، وأسوأ منه إنك تحس إن وجودك في المكان مرتبط بعلاقتك بحد كبير، ومدى رضاه عنك. والولد ده بعدها عمره ما عملها تاني، وسبحان الله انتقل من نجاح إلى نجاح. اعتمادك على شغلك وكفاءتك أقوى سلاح مع المدير المحترم، ولو مش محترم يبقى مش فارقة مهما عملت. بدأت أتفرج عليها وأتابع شغلها، لقيتها ذكية ونشيطة، بس في حالها جدًّا، مش بتتكلم خالص، انطوائية جايز، ومش عيب طالما بتعمل شغلها. بس بالصدفة مرة لقيتها في البريك واقفة مع حد من العصابة القديمة، حماس وطلاقة وحديث لا ينقطع. قلت عادي، الانطوائية ممكن تكون نسبية، بس بدأت آخد بالي معاها شويتين. حبّيت أقطع الشك باليقين، ادّيتها فرصة أحسن ومسئولية أكبر بس في مكان أبعد، قبلت في لحظة، لكن تاني يوم لقيت ضغط رومانسي لا ينقطع من نفس الراجل القديم، بأسباب كوميدية للغاية، عشان تفضل مكانها. ماشي، خلّيها مكانها، بس تشتغل في حاجات منها للكمبيوتر، من غير أي احتكاك بالغير ولا معلومات تحت إيديها. أجواء مش حلوة لكن كان لازم، مش عايز كمان يتقال إننا أجبرنا حد على الرحيل أو ظلمنا حد بسبب تهيؤات. لغاية يوم الإشاعة العنيفة. أول مرة ألاقي سها قمة في الحماس والانطلاق والسعادة، نجمة جماهير يا ربي. كنت مستغرب أنا، عمري ما ضايقتها بكلمة أو حركة، ولّا يمكن عشان ما كنتش باتكلم معاها كتير زي الباقيين. ما شغلتش بالي قوي، يومي كان لسه طويل بالموقعة المرتقبة مع الراجل الكبير.

قبل ما أدخل الاجتماع لقيت وليد، الشاب الوسيم، داخل عليّا. بيحكيلي عن حوار بينه وبين سها. قالت له الحق نفسك وابعد بسرعة عن خالد. خلاص رايح رايح. خلّيك مع الكسبان، عدو خالد القديم. اللي هو مديرها المباشر، واللي هيبقى الكل في الكل. وليد ولد طيب وغلبان، وياما اتبهدل من المدير إيّاه. لمّا جيت لقيته على طول عنيف وجاف مع كل الناس، بيضحك غالبًا مرتين في السنة، والضحكتين غالبًا برضه مرتبطين بإنه يعوّر حد أو يظلم حد. ضايقني جدًّا، وحطّيته في دماغي. وبالذوق وبالعافية بدأ يتغير. ولمّا اشتغل معايا مباشرة بدأ يطلّع قماش، وتدريجيًّا بدأت ضحكته تطلع بشكل متواصل، ومرة ورا مرة قفشته في وسط اللمّة قايم بدور الكوميديان الأول، وبيخلّي الناس تقع على الأرض من كتر الضحك. كأنه انفتح له باب كرامة واحترام، وهو تقبّله بكل امتنان وأظهر أفضل ما عنده. وليد بقى مش عايز يرجع تاني ينافق أو يقبل إهانة، وأصبح مستمتع جدًّا باللعب النضيف وفي النور، ومستمتع أكتر بالنجاح والتقدير. قاللي حتى لو حضرتك مشيت أنا مش هارجع تاني للغلط. هامشي وأرض الله واسعة.

استغربت البنت قوي، ليه يا سها.. ما شافتش مني غير كل خير، وفي المقابل قامت بدور الجاسوس زي

صفحة 13 في كتاب الألعاب السياسية في المكاتب. بس الغرض مرض برضه، استعجلت هي وعملتها بدري قوي. ساعتين وكنت قعدت مع الراجل الكبير. موقعة 4 ساعات، وفي النهاية عكس كل التوقعات وصلنا لتفاهم. مش ماشي. خلّصت الاجتماع على الساعة 7. لقيت التيم كله قاعد، إلا هي طبعًا. القلق واللهفة بتتحوّل لضحكة وراحة في ثواني. خير ربي كتير قوي في حب الناس. تاني يوم الصبح شفتها، ولا كأني شفتها.كان يوم عصيب عليها، ساعة ورا التانية مستنيّة القضا، أكيد هأنقلها للموقع البعيد، دورها اللي كانت مفروض تعمله، وكنت سايبها براحتها احترامًا لمديرها. بس الراجل ما يستاهلش. وهي طلعت ما تستاهلش. ما نقلتهاش، فيه أنواع من العقاب، أصعبهم الانتظار مع الخوف والانكسار. قاسي كنت أكيد، بس بني آدم، لو عليّا كنت جبتها وبعترتها، بس الدرس لازم يكون طويل ويوجع. 3 شهور قضتهم وسط الفريق منبوذة وبره الفريق. ولو شافتني عينيها تبقى في الأرض مع سكون تام وهمهمة غير مفهومة. وكل يوم يعدّي نحتفل بنصر جديد للفريق، ونجاح في مشروع، ونجم جديد من الشباب القديم، ناس كانوا أقل منها خبرة وإمكانيات، وأثبتوا نفسهم وطلعوا فوقها درجات. وهي بتَّابع من بعيد، بنظرات حسرة وابتسامة صفرا. كان ممكن تبقى زيّهم وأحسن منهم. بس للأسف ما كانتش جايّة تشتغل بجد. وربنا أراد تكشف نفسها بدري بدري.

بافكّر نفسي، عمرنا ما نربط نفسنا بمدير أو علاقة، نجاحي إني أكون أجمد مدير وبس، في أي مجال وفي أي شركة، مش أجمد مدير مع فلان وفي الشركة دي بالذات. قبل نهاية عقدها كانت برّه المكان.. محدّش زعل قوي، ولا حد افتكرها قوي بكلمة حلوة.. بإيدينا بنختار الناس يفتكرونا إزّاي.. مع السلامة يا حلوة..

لمّا غلطت 18 مرة - 4..

قضيت سنين طويلة بالعب دور الاستشاري، وما أحلاه. أدخل الشركة من دول، وأحلّل وأشوف المشاكل، وأعمل تقرير زي الفل، أبعترهم كلهم فيه، وأنصح بتغييرات أسطورية، ولمّا ما يعرفوش يعملوها أقول وأنا مالي، همّ اللي تعبانين ومش عايزين ومش عارفين. وبعدين قررت أجرّب الناحية التانية من الترابيزة، أدخل المطبخ بتاع الشركات وأشوف لو أنا في مكانهم هأعرف أعمل حاجة ولّا لأ.

أول شركة دخلتها اشتغلت فيها على التدريب وإدارة المواهب والأداء، وبرضه كان شغل جميل ومتدلّع وممتع، ومين ما يحبّش يعيش حياة التطوير والتقييم والتأهيل، بعيد عن شغل العمليات والأرقام والمشاكل اليومية. بعد سنتين ونجاحات حلوة الحمد لله كنت حاسس إني مش قد كده. الشركة كده كده كسبانة، على رأي مدير المبيعات هناك، كنا نصحى الصبح ونفتح الدكّان نلاقي طوابير العملاء اللي عايزين يدفعوا. يعني مهما عملت النجاح مش هينكتب باسمي. وبعدين جاتلي بقى الفرصة الكبيرة، أكبر شركة أدوية في العالم، وأمسك مدير لعمليات الموارد البشرية؛ اللي هي المرتبات وشئون العاملين والتأمينات والمزايا ونظم المعلومات، والكلام ده للشرق الأوسط.

في الأول زعلت، إيه الشغل البلدي والسهل ده، ده أنا أعمله بصباع رجلي الصغيّر، أنا قيمتي أكيد أكبر من كده. للأسف ماكانش ده رأي مديري، راجل حكاية. طول وعرض وهيبة وقيمة، تاريخ طويل من النجاحات الرهيبة في المبيعات والإدارة، وبعدين حوّل على الموارد البشرية في الآخر. قاللي ما تستعجلش، وما تستهونش، صناعة الدوا حاجة تانية، مافيا كده، زي فيلم الأب الروحي. أوعدك هتتعلّم كتير، بس كمان عايزك كل يوم تصلّي ركعتين شكر عشان الفرصة اللي بتاخدها معانا، وكمان عشان الأخطاء اللي هتعملها واحنا هنتسامح معاها.حرق دمّي، بس ماشي، هأورّيك أنا جامد إزّاي.

نزلت الملعب، وما طلعتش جامد قوي. أيّامي الأولى كانت ضرب نار، اكتشفت إن الحاجات اللي شكلها سهلة ومملّة دي كلها بلاوي ومفرقعات وألغام ومطبات. ممكن تقعد أسبوع بحاله في مشكلة تحويل بنك، أو تحقيق عشان خناقة بين اتنين، أو تفاوض مع نقابة عشان مواعيد أوتوبيسات. ده غير الكمّ الرهيب من المخاطبات الرسمية والاستفسارات والشكاوي والبلاوي. غرقت أنا، بس شويّة شويّة فهمت اللعبة، وبدأت أستوعب، غالبًا عشان ناس من القدام تعاطفوا معايا وبدءوا يساعدوني بدل ما يغرّقوني. وبعدين جت الموقعة الكبيرة. استحواذ على شركة عالمية في نفس مجالنا، وده معناه ناس كتير تمشي وناس تقعد، وإجراءات وملفات ودمج وفصل، والكلام ده على بلاد كتير. فيلم يعني. برضه دخلت بقلب جامد مع شويّة استهتار على شويّة غرور. سهلة دي، وفيها سفر ودلع كمان. بعد ما الشركة أعلنت عن الاستحواذ وخلّصنا موضوع الناس اللي ماشيه، دخلنا في ترتيبات الناس اللي قاعدة. 192 واحد وواحدة في 10 بلاد. لن تتخيل حجم التعقيدات. كل بلد نظام مختلف في الحوافز والمرتبات والمزايا والعمولات. وجوَّه كل بلد أنظمة كتيره لكل موظف، ومواعيد مختلفة للقبض من غير أي منطق. ولو حاولت توحّد الأنظمة تلعب مع أسد القوانين ومكاتب العمل والنقابات. دخلت في الموضوع بكل ذمة وحماس. جبت قوانين العمل في كل بلد من العشرة، اللي هي طلعت خلطبيطة قوانين فرنسية على إنجليزية على هندية على ملوخية، وطبعًا كلها تتميز بقمة التعقيد والبيروقراطية. وبعدها عملت حملة اتصالات ومكاتبات واجتماعات مع محامين وخبراء قوانين عمل في العشر بلاد برضه، عشان أكتشف في الآخر إن اللي على أرض الواقع مالوش أي علاقة بالقوانين، شويّة نصّ القانون وشويّة روحه والباقي كله مالوش تعريف، كله أرواح.

3 أسابيع بأواصل الليل والنهار، عشان أوصل في الآخر لملف عبقري. تفاصيل ومواعيد وأسماء، وتكاليف وتحويل عملات وإجمالي مستحقات لكل فرد ولكل بلد. ومنظومة مجرمة للإقلال من أعداد الأنظمة وتوحيد مواعيد الاستحقاقات. وكمان ضمانات نتيجة المفاوضات مع النقابات. بعتْ الملف لمديري على الميل. وقعدت مستني حفلة التكريم. طلعت حفلة تريقة. كلّمني أول مرة، وقاللي اتفضّل على مكتبي، وإدّاني درس في الجدية والاحترافية والإتقان. لسّه بأقول عن المنطق والقواعد قاللي إزّاي يا ابني الخط هنا في الخانة دي مختلف عن الخط اللي في الخانة اللي هناك. وحياة والدك؟!! أكيد حضرتك بتهزر!! طبعًا ما قلتهاش بس عشتها جدًّا جوّايا. حضرتك اأنا عامل إنجاز في الملف، ومجهود أسطوري وكفاح رهيب. . ولا الهوا. بطّل العبارات الدرامية دي وروح صلّحها يا خالد. رحت أغلي. صلّحتها ورجعت جري.

بص وقاللي ليه هنا الحروف كبيرة وهنا صغيرة؟ طبعًا حالة من الشلل الدماغي، وحياة والدك!! بقى سبت كل الشغل الأسطوري اللي أنا عامله وبتكلّمني في اختلاف الحجم. الراجل ده أكيد مجنون. بس مديري.. في الآخر مديري... رجعت تاني. والمرة دي كلّمت مراتي وانفجرت معاها. الراجل ده هيجنّني. بس حاضر، وحياتك ما هاسيبك. اللي بعدها كانت لقطة المعادلة، إزّاي مفيش معادلة في الخانة دي. سعادتك لأ أنا حبيت أجرّبها وأتأكد إنها مظبوطة. وكالعادة ردّه كان ساخر ومعاه موشّح؛ فأنت بقى هتروح ورا الملف لكل مكتب ومسئول وتشرح له إنك كنت بتجرّب المعادلة؟ روح غيّرها يا شاطر. مرة تالتة وخامسة وعاشرة. وكل مرة أعمل حاجة ويطلّعلي حاجة تانية.

الأول كنت على أعصابي، وبعدين بدأت أبقى مكسوف من نفسي، أخطاء بلدي قوي بصراحة، وتدريجيًّا بدأت أهدا. عجبتني اللعبة. وبقيت كل مرة مستني هو ممكن يطلّع غلطة إيه بقى. وفي مرة منهم لقيتني أنا لوحدي باقول له أنا لقيت غلطة زيادة، وصلّحتها. 18 مرة. 5 ساعات. وصلنا في الآخر. وأنا كمان وصلت. كنت متخيل إنّه مع آخر تسليم هياخدني بالحضن ويعتذرلي ويشكرني، بس سبحان الله يا أخي، لقيت نفسي أنا اللي تقريبًا بأعيّط وبأخده بالحضن وأشكره. في حياتي ما اتعلّمت قد اليوم ده. فكر مختلف عن الجودة والإتقان والمراجعة. عن تعلّم النظام. عن الصبر وعدم الاستسلام. عن التركيز في أصعب الظروف. عن عدم قبول الغلط لو نقدر نعمل الصح. آخر كذا مرة وأنا بروح له المكتب كنت رايق وبضحك. وهو كمان. كإنه فتح جديد بالنسبة لي. يااه.. كنت عايش طول عمري مفتقد لأبسط قواعد الدقة والإتقان.. والاتنين يغيّروا حياة أي مخلوق. لو عايز.. كانوا 18 مرة. بس يستاهلوا. التفاصيل الصغيرة التي يكمن فيها الشيطان.. درس العمر..

5 - لمّا تعامل الكبير المظلوم..

اللي اتعوّد على الشغل في الشركات المتعددة الجنسية بيتعب قوي. شكلها من برّه حلو، آخر دلع، عربيات واجتماعات وسفريات وبدلات. لكن من جوّه الوضع مختلف، ألعاب وصراعات وسياسة ومقالب، وكتير بتوصل لقطع أرزاق وتشويه سمعة وفضايح كمان. الضغوط لا تنتهي، وناس كتير بتعتبر إن ضمان مستقبلها في المكان معتمد على إنهاء مستقبل غيرها في المكان. أسهل إنك تثبت فشل غيرك عن إنك تسعى للنجاح. واللي مش بيعرف يبيع برّه مع العملاء والسوق، بيحطّ كل طاقته ويسخّر ذكاؤه في البيع واللعب جوّه. وتزداد الألعاب والصراعات في حالتين؛ حالات الاندماج والاستحواذ، وحالات الانكماش والتقليص. في الحالتين بيبقى فيه وظيفة واحدة وموجود عندنا اتنين أو أكتر بيشتغلوها، ونتيجة للدمج أو التقليص بنحتاج واحد بس في المكان. المفروض في اللحظة دي المعايير بتكون واضحة وصريحة، الخبرات والكفاءات التنافسية، والنجاحات التاريخية في دور مماثل، ومدى انسجام الشخصية مع البيئة بتاعت الشركة، والقدرة على لعب أكتر من دور وبمهارات مختلفة، والسمات الشخصية والثبات الانفعالي والتعامل الاحترافي تحت الضغط. المفروض، بس مين قال المفروض هو اللي بيحصل.

حصل استحواذ لشركة عالمية كبيرة في نفس المجال بتاعنا، بقيمة 60 مليار دولار. في منطقتنا بتاعت الشرق الأوسط كنّا بندمج إدارات وفرق في 7 دول كبيرة، ومنها دول بتدير دول أصغر تحت مظلتها. وفي كل دولة فريق عمل كامل من رئيس تنفيذ ومديرين كبار ورؤساء قطاعات. الشغل المبدئي اللي اتعمل كان جميل قوي، شفنا السيرة الذاتية لكل حد فيهم، وبصّينا على التاريخ والإنجازات وأي جزاءات أو ملاحظات. وبصّينا معاها على خطط الشركة في المرحلة الجديدة وطبيعة الاحتياجات والتحديات، والشكل الأمثل للهيكل التنظيمي والمهارات والخبرات المطلوبة على كل المستويات. وبعدين عملنا مقابلات مع كل المديرين الموجودين في الشركتين، وعملنا تقييم فردي وجماعي وكلام كبير. المناقشات كانت غنية وممتعة وموضوعية للغاية، وعملنا ترشيحات نهائية لكل الوظائف ومين هيقعد ومين هيمشي. بس يا سيدي، وبعتنا كل حاجة للناس الكبار قوي، ورجعت النتيجة، صدمات.

تقريبًا 70 في الميّة من الاختيارات معكوسة، وناس كتيرة فوق الممتازة راحت في الوبا، وناس كتير عليها ستين ملاحظة سواء احترافية أو أخلاقية لقيناهم في قايمة المبشّرين بالبقاء والترقّي كمان. سألنا عن المنطق والأسباب، والرد كان الآية الكريمة بتاعت ما تسألوش. هتزعلوا، أصل فيه اعتبارات أخرى. عارف أنت زي ما نقعد 5 سنين من غير جمهور في ماتشات الكورة عشان الاعتبارات الأمنية، الجملة الحاسمة اللي تمنعك من أي حوار أو اعتراض، شششششش... ولأني لسه جديد معاهم ومندفع وأهوج، لقيت نفسي باعترض واتحمس واسأل، مديري الله يكرمه تقريبًا كتم نفسي وطردني برّه الاجتماع، وبعدين قعد معايا ساعتين يفهّمني الدنيا عاملة إزّاي، مافيا يا خلّود. خلّيك إنت على جنب، القرار مش بتاعك. قول لضميرك إنك قلت رأيك في حدود سلطتك، والباقي مش عندك. شكل الجملة دي هتتعبني كتير في حياتي، مخرج حلو كل ما تتزنق في المواقف بتاعت الضمير والمبادئ. بس يا ريت الموضوع يقف عند كده، دوري الحقيقي كان لسّه بادئ. العبد الفقير إلى الله كان مسئول عن الموّال بتاع البشر كله، دورنا إحنا بقى كان إننا نرتب كل المستندات والأوراق، حسب قوانين العمل لكل بلد في الشرق الأوسط، وحسب العقود بتاعت كل واحد، اللي طبعًا كان فيها مهرجانات. وكمان رتبنا كل الشيكات والمستحقات لكل واحد هيمشي، وكمان ملف كامل لكل واحد هيقعد، عشان يعرف هيروح فين ويشتغل مع مين وإزاي. وبقية الخطة كانت إنّي في خلال 5 أيّام ألفّ 7 بلاد في المنطقة العربية، أقعد وأخلّص مع كل واحد كبير ماشي. واسيب المديرين الصغيرين للشباب اللي معايا. الدنيا مشيت زي الكتاب.

خلّصنا كله ورجعت على مصر. أم الدنيا وقوانينها. كنت باستقبل كل واحد هيمشي في مكتب مقفول خصّصوه ليّا. واحد ورا التاني اشتغلت. لغاية ما قالولي فيه واحدة مديرة عاملة مشاكل ورافضة تمضي وبتهدد بالبوليس والمحاكم. قبل ما اتكلم معاها طلبت الملف والتاريخ. لقيت فيلم. الست كبيرة، سنًّا وخبرة ومقامًا. بس بهدلوها على مدى السنين، ونزلوا بالمستوى الوظيفي بتاعها. شادية، كانت على رأس اختياراتنا المبدئية في الأول، وكنّا شايفينها هي مستقبل الشركة في مصر لسنين قدّام، بس الكبار طيّروها. فكرت بسرعة أكلّم المدير الكبير اللي اختار إنها تمشي. لقيته قافل دماغه قبل موبايله. قلت لنفسي هو وضميره، والقرار مش بتاعي، وهمّا أدرى، بس صوت بيزنّ جوّايا وبيقوللي المرة دي أنا أدرى،

الملف بتاعها كان في إيدي. طيّب، أنفذ بكل جدية، بس على الأقل أعاملها بشكل مختلف. رحت لها مكتبها. استغربت واتبسطت. قالت لي أنا مديرة صغيرة، إيه اللي جابك عندي. قلت لها كبيرة في المقام ولازم أجيلك لحد عندك. دقيقة وكانت دموعها فيضان. حكت لي على أيّام عصيبة عاشتها، وكمّ مرات إهانة وظلم، وعن إحساس أمل لمّا عرفت إن الشركة اتباعت لأكبر شركة في العالم. كانت بتحلم بعدل وإنصاف وفرصة جديدة. وانطلقت في حواديت رحلة العمر، الإنجازات اللي عملتها، والتحديات اللي عدّت منها، والمواهب اللي ربّتها، والخطط اللي كانت جاهزة بيها...

مش محتاجة تقوليلي يا بنتي، مذاكر أنا كل الكلام ده، ولسه بأقوله من أسبوع. بس بدل ما أقول كده اكتفيت بابتسامة بلهاء على وشّي. وكمان مش قادر أقول الكلمتين المحفوظين، بتوع اختلاف الظروف، ورؤية الإدارة. مش قادر أتكلّم خالص. سمعتها بكل الاحترام وهدوء، وفضلت ساكت بعدها. وسبحان الله هي اللي أنقذتني، بابتسامة قنوعة وامتنان (أشكرك يا خالد إنك سمعتني وسمحت لي اني أفضفض). كانت مفوّضة أمرها لربّها من الأول، بس قالت على الأقل أخرج بكرامة. مش موظف صغيّر يمضّيني في الضلمة. قلت لها ذنبك عندي. اعتذاري واحترامي. ولو كنت اقدر افتح الباب تاني كنت فتحته. دقيقة وطلبت منها تيجي معايا في وسط المكتب. جمعت الناس وقلت كلمتين حلوين عنها. وعن الاختيارات اللي مش دايمًا بتكون مرتبطة بكفاءة لكن بطبيعة إدارة ومرحلة. إنتي خارجة من عندنا، لكن متأكد اننا لمّا نتقابل تاني هتكوني في منصب ومكانة أعلى بكتير، اللي انتي تستحقيه فعلًا. تصفيق حاد من كل الناس، ولمّا اتكلّمت هي كان كلامها شكر وفخر وامتنان.. خلّصنا ولقيتها جايّة ورايا مكتبي. فين الورق عشان أمضي.. احترمتني وقدّرتني.. وده عندي بالدنيا.. وهو البني آدم إيه غير كرامة وجبر خاطر.. لو بس نقدّر الإحساس وكرامة الناس.. أمّا العدل بقى فأرجوك بلاش. مين قال إن فيه عدل في الدنيا.. ماكانش يبقى فيه آخرة. يا رب الضمير ينام.. شويّة بس..

6 - لمّا تسرق الملاليم..

عندنا مشكلة كبيرة في كل الشركات، الصراع الدائم بين القديم والجديد. شركاتنا أغلبها عتيقة، وكانت شغّالة بنظام الراجل الكبير والطابونة، اللي عايزه يكون. المرتبات على الكيف، والتقييم غير موضوعي والأساس هو الرضا والثقة والحب والكره. وبعدين لمّا تيجي تغيّر وتطوّر وتصلّح، تلاقي عندك معضلة كبيرة؛ لازم تجيب ناس جديدة محترفة وفاهمة، والجديد عايز مرتبات حقيقية وموازية للشغل اللي هيعمله، معاها نظام حوافز ومزايا منطقي ومرتبط بإنتاجية ومعايير أداء. وأوّل ما تجيب الصنف ده، تبدأ الصدمات والإحباطات للحرس القديم، اللي بنى المكان واستحمل وشال البلاوي والتاريخ.

ولسه شغّالين بنظام الفتات، والمكافأة وقت الرضا وحسب المزاج. لمّا بدأت معاهم عشت الفيلم من أول يوم، كنت محتاج ناس جديدة تسندني، اتنين تلاتة، وطبعًا لازم ييجوا بسعر السوق، وده معناه يخبطوا في القدام. وأنا ماكانش عندي مشكلة، عامل حسابي إننا نجيب الجدَّاد، ولمّا الناس القديمة يشتكوا ساعتها أجبر الإدارة إنهم يوافقوا على تعديل المرتبات ونظام الحوافز. وحصل المتوقع، من أول يوم للناس الجديدة لقيت الفريق القديم كله في مكتبي، احتجاج وانفعال وبكاء وشحتفة. وأنا بكل الحماس والجدية قلت لهم على الخطة بتاعتي، وشرحت لهم إننا إن شاء الله هنقدر نعدّل مرتبات ومزايا وحوافز في آخر السنة. كالعادة محدش مصدّق، ياما سمعنا الكلام ده قبل كده، وكالعادة قلت لهم اسألوا عني، هتعرفوا إن اللي باقوله باعمله، ولو ما عملتوش مش هتلاقوني وسطكم. تقبّل على مضض، وبعدين عودة للعمل، وبجدية والتزام.

لكن لفت انتباهي اتنين. الأولى اعترضت اعتراض عنيف لكن مش بخصوص الفلوس، بسبب تقييمي ليهم انهم كلهم تعبانين. فقلت لها ورّيني نفسك. وورّيتني نفسها مع الأيام. وأما تاني واحدة بقى فكانت أكترهم رومانسية، ما اعترضتش خالص، رغم إنها كانت بتاخد أقل فلوس فيهم. ابتهال، من أول يوم اشتغلت حاصرتني بالود والحماس والجدعنة. من الناس العتيقة اللي بقالهم سنين، مسئولة عن المرتبات والمزايا. كل ما اسأل عن أي حاجة ألاقيها تسبق وتجاوب. كل ما أدوّر على معلومة تنتهي عندها. كل حاجة سهلة زيادة عن اللزوم. قلقت منها. معاها اتنين بيشتغلوا، جرّبت اسألهم عن أرقام وفلوس، ولقيت عندهم صفر معلومات. قلقت أكتر، الست قافلة على الموضوع بالضبّة والمفتاح. قلت لها البيزنس هيكبر ولازم نجيب حد يسندك في المرتبات والحسابات. ألوان الجحيم رقصت على جبينها. قعدنا شهرين في اعتراضات وهمية. وبعدها 3 شهور بتجيب ناس من طرفها وانا بارفضهم. وبعدين 3 شهور هي بترفض ناس محترفين أنا باجيبهم. غيّرت الخطة. قلت لها هنجيب شاب خام تمامًا. علّميه. ماشي. الولد كان خام، بس نضافة ودقة وضمير. بدأ شغله معاها وانا بدأت شغلي معاه. هي جلساتها معاه تعليم محدود ومحاولات غسيل مخ، وانا شغلي يا دوب بافكّره باللي هو عارفه؛ الأخلاق والدقة والضمير. وتدريجيًّا بقيت اطلب تقارير محتاجة مهارات مش عندها، كمبيوتر ولغة وتحليلات. عشان تعتمد عليه غصب عنها. لكن ابتهال فضلت قافلة باب الأرقام والمعلومات.

لغاية مرة نادرة الست تعبت قوي، واحتاجت أجازة. فرصة ذهبية؛ هي غابت من هنا، وأنا كلّمتها وقلت لها لازم نفتح النظام الإلكتروني، وقنوات البنوك وحسابات العاملين. رعب الدنيا عندها. طب بكره، طب بالليل، طب هو مش هيعرف. ما ينفعش يا تيزة، هما كلهم ساعتين تلاتة. على مضض بعتتلي المعلومات بتاعت فتح النظام. وكان يوم وليلة تاريخيين. الولد طلّع مواهب مختزنة عنده من أول يوم شغل. في البداية كله كان باين سليم. وبعدين فتحت معاه؛ اختلاس، من النوع البلدي قوي. في كل مرتب بيبقى فيه فروق بالجنيهات والخمسين قرش والعشر قروش. إنت عمرك ما بتاخد بالك منهم. وهي عايشة عليهم. لمّا يكونوا أكتر من ألف موظف كل شهر تفرق كتير. الست كان عندها مرتّب عادي ومرتّب سوبر. قبل الفجر الملف كان كامل. والمستندات والأدلّة والفروق والبنوك. على الضهر كان مديري جايبها عنده وبيواجهها بالمستندات. والراجل برضه حبّ يدّيها فرصة لغاية آخر لحظة. سألها لو كان عندها أي معلومة أو حاجة تحب تقولها، عشان هيحصل تفتيش كبير من المركز الرئيسي وبعدين من المراقب المالي، تحب توضّحي أي حاجة. ابتسامة واثقة مع نفي تام. وفي لحظات كانت المواجهة، ومعاها عياط وشحتفة بعد فوات الأوان. الاختيارات أحلاها مرّ، الاستقالة الفورية وإقرار بالجريمة مع خصم تاريخي من مكافأة نهاية الخدمة. أرحم مليون مرة من البديل؛ فضيحة وسجن ومحاكم. رحلتها من عند المدير لمكتبها لباب الخروج

أطول من الطريق الدائري عصر يوم الاتنين. محدش قادر يكلّمها.. وهي مش قادرة ترفع عينيها.. والغريبة يا أخي إننا في نفس اليوم كنّا بنعلن تعديل المرتبات للفريق القديم، وزميلتها اللي كان إعتراضها على التقدير كانت واخدة ترقية ومرتب مضاعف وهي تقريبًا في آخر سنين العمل قبل المعاش. مش لازم تطلب عشان تاخد، ممكن شغلك يتكلّم عنك، ولو ماقدّروش هنا، غيرهم هيقدّر ويدّيلك اللي تستاهله. بس بلاش السرقة والاستعجال. كان زمان ابتهال واخدة حقها بالحلال.. أصله كله مكتوب، بالقيمة والتوقيت، بس شكلنا إحنا اللي بنختار ناخده حلال ولّا حرام.. تسأل نفسك لو كان الموضوع يستاهل.. شكله كان يستاهل.. تاني يوم كانت بتكلمّني وتطلب نتقابل برّه الشركة. سألت مديري وقاللي روح بس معاك حد، محدّش ضامن. رحت لوحدي، مش مجرمة هي، غلبانة. وقعدنا ساعتين، آه على الوجع.. حكتلي عن الحياة والالتزامات والضغوط، وعن مرتب فتافيت بتاخده بقالها سنين، وعن ألف حالة شافتها قدّامها لناس ما تستاهلش وأقل منها، سبقوها في المناصب والفلوس والمزايا، وعن ألف وعد من مدير واتنين وتلاتة، خدوا منها عينيها، واترقّوا وفاتوها. سألتها بتحكيلي ليه، قالت لي عشان ده حقّك عليّا، كنت ظالماك وفاكرة إنك جايّ تنصب وتكسب وتهرب زيّ اللي قبلك. ما صبرتش أنا ولا جرّبتك، وفي الآخر خسرت.

باشكرك، لكن مش قادر أتعاطف معاكي. ممكن يبقى فيه ألف عذر. مصاريف وبيت ومدارس وحياة. لكن قدّامها الكرامة والسمعة والنظام. وقبلها وبعدها الضمير.. ما تساويش.. راحت في الوبا.. خسارة..

7 - نقتله يا ريّس..

طول عمري بأهرب من اللعب مع الكبار، وخصوصًا بتوع السياسة، مش قدّها أنا، وبعدين التمن غالي، عيلة وسمعة ومستقبل. بس حظي وقّعني في واحد منهم، مش حظي قوي بصراحة، الإغراء كان كبير، والفلوس حلوة والمنصب جذاب. بدأت معاه الشغل، وأنا بأبهره بشغلي وإنجازاتي السريعة، وهو بيبهرني بعلاقاته المتشعّبة ونفوذه وتأثيره على أصحاب القرار. قعدة الصبح معاه كانت تعليمية بالنسبة لي، يعرض عليّا فيديوهات البرامج بتاعت التوك شو الليلة اللي قبلها، ويبدأ يوقّف الصورة ويشرح لي كل موقف ومعناه وتداعياته (الراجل ده شكله هيعلا جامد، شوف المعلّم الكبير طوّل في السلام عليه إزّاي، أمّا ده بقى فخلاص اتقرت فاتحته، يعني هيروح في ستين داهية). وأنا أسمع وأبحلق وأعمل عبيط، وأقول في سرّي ربنا يسعدهم ويبعدهم.

الراجل الكبير طلع لعّيب كبير في الحزب واللجان، والبيزنس بتاعه أغلبه معتمد على العلاقات والخدمات والتغاضي عن المخالفات، وأنا واللي زيّي كنّا جايّين عشان نحوّلها لمنظومة احترافية بجد، من غير ألعاب ولا علاقات. مهمة ولا أصعب، في ظل الخرابة الداخلية من فرق عمل شبه معدومة ومجموعات غريبة الأطوار اللي يجمعها إنها صاحبة نفوذ في مكان ما، أو لها صلة قرابة بمسئول، أو مرتبطة بقوة انتخابية في دايرة ما، وطبعًا كلنا عارفين أهمية إنك تكون ابن الدايرة، الانتخابية. ما علينا، اشتغلنا باللي تحت إيدينا، يوم فوق وخمستاشر تحت، وتدريجيًّا الدنيا بدأت تتحسن ويبان معالم للشغل.

لغاية في يوم صيفي حار كلّمني من إيطاليا وهو بيصيّف مع العيلة. مذعور وبيفكّر ما يرجعش. قريت اللي مكتوب عننا في الجرنال بتاعه؟ كان بيتكلم على صحفي كبير قوي، والراجل ده شغّال الله ينوّر، كل فترة يصطاد رجل أعمال كبير، ويبدأ يلفّح كلام عليه، ولو مفيش استجابة للتلقيح يقلب تصريح، وبعدين تجريح؛ كل أنواع الهجوم والاتهامات، من أول غسيل الأموال لغاية تجارة المخدرات لغاية العلاقات مع الفنانات وما يمنعش الفنانين، لغاية الخيانة العظمى والتخابر مع دول عدوة. الظاهر إن الصحفي بدأ عملية الابتزاز المعتادة، والراجل الكبير كان سؤاله واضح؛ ندفع له ولّا إيه؟ طبعًا لأ! بكل حماس فهّمته الكلام بتاع الكاتب المحترم. لو دفعت مرة، عمرك ما هتعرف تخرج من المستنقع. وإنت ما عملتش حاجة غلط. ولّا إيه.. ما تخوّفنيش وحياتك! فيه ستين طريقة محترفة نمنع بيها النوع ده من الابتزاز. ارجع وأنا معاك.

رجع، وفي أقل من أسبوع كنت عامل خطة متكاملة للتسويق والترويج المحترف. وإزّاي الراجل الكبير يختفي من الصورة، ويظهر مكانه كل كبار المديرين اللي عنده. وإزّاي الصورة تبان إنها مؤسسة محترفة مش دكّانة فردية. وجبت شركة محترفة في مجال العلاقات العامة والصورة المرتبطة بتعملها لدول مش بس لشركات. منظومة كاملة عشان الراجل يطمّن، وعملناله عرض متكامل، وهو سمعنا بحماس شديد وطلب يومين للتفكير. لكن بعد يومين طلبني في اجتماع في مطعم برّه الشركة. رحت لقيت مجموعة غريبة جدًّا؛ شيخ من بتوع برامج الفتي في الفضائيات. ومذيع توك شو داخل بيقول عايز أحلّي بقّي قبل ما نتكلّم. وواحدة حلوة ماعنديش أي فكرة جايّة مع مين، غالبًا من النوع اللي بيعمل جو في المكان. وصحفي من بتوع اللسان الطويل اللي تخاف تسلّم عليهم. والراجل الكبير، وجنبه قاعد شريكه الصامت دايمًا.

بدأنا الاجتماع. طلع مجلس حرب. العنوان هو؛ إزّاي نتخلص من تهديد الابتزاز بتاع الصحفي. وبدأت الأفكار الصادمة والمناظر المخجلة؛ الصحفي المرموق مصرّ ياكل الأول عشان يعرف يفكّر، والشيخ بيقول مبدئيًّا أي حاجة نتفق عليها لازم نحلّي بقّنا عشان تبقى حلال، والشريك الصامت أساسًا كل ما يحاول يتكلم الراجل الكبير بيبهدله ويفكّره إنه ماكينة فلوس وبس. الاقتراحات مخيفة؛ نجيب ملف قضية الشذوذ اللي عليه؟ مش هينفع، فلان محتفظ بيها للزمن. طب نفتح ملف تسجيلات العمالة مع الأمريكان؟ مضروبة. طب بلاغ في أمن الدولة إنه جماعات؟ صعبة دي، هو غالبًا شغّال معاهم. لحظة صمت وبعدها نطق الشريك ووجّه كلامه للراجل الكبير؛ وعلى إيه كل ده، ما نقتله يا ريّس. زلزال على راسي، من غير تفكير قمت وقلت لهم؛ يااااه، أنا نسيت أصلّي العصر. وقمت وقلعت الجزمة، وصلّيت، وأنا بارتعش، وغالبًا ما كنتش متوضّي. وسامع الراجل الكبير بيهزّق شريكه؛ ده كلام يا أخي، إحنا عمرنا ما عملنا كده. وبعدين خالد لسّه جديد معانا. ما ينفعش الكلام بالطريقة دي. دقّات قلبي هديت شوية، سلّمت ورجعت قعدت. الراجل الكبير حسم الموضوع؛ خلاص، الحل بسيط. هنعمل حملة إعلانية كبيرة عنده. اللي هو يعني

هنرضخ للابتزاز. قبل ما يسألني قلت له عين العقل.. بعد إذنكم ورايا إذاعة.

خرجت وعقلي طواحين مجنونة. محتاج أفضل عنده قد إيه لغاية ما أقدر أمشي من غير قلق. ما غير ما نقتله يا ريّس. شهرين. عدّوا شهرين، وفي يوم رومانسي بعتّله رسالة حزينة رقيقة بريئة، باعتذر فيها لعدم قدرتي على الاستمرار. حطّيت فيها كل الأعذار الواهية الممكنة، من نوعية الظروف العائلية والحالة النفسية والالتزامات المادية والشد اللي في العضلة الخلفية. طلبني في مكتبه، وكانت قعدة تاريخية، عارف إنت الصوت لمّا يبقى هادي قوي لدرجة إنك تبقى هتموت من الرعب من كل همسة بتسمعها. قاللي إنت خفت يا خالد، وحقك تخاف، بس ما ينفعش تخرج بسرعة كده، السمعة والصورة المرتبطة وكل حاجة، وأنا بصراحة معتمد عليك في التغيير. بما إن الصراحة راحة، لقيتني بأقوله بكل صراحة؛ حضرتك قاعد في بيتك براحتك ولابس فانلة وشورت مقطّعين، أنا جايّ عايز ألبّسك بدلة رسمي وحركات، وإنت عايزني أبقى زيّك. لا أنا هأبقى زيّك، ولا إنت عايز تلبس البدلة. فقالي طب خلّيك معايا اسمًا بس، وتأخر نص الفلوس، لفترة كده لغاية ما الناس تنسى. فقلت آسف، مش هأقدر، فلوس من غير شغل مش حلوة، والاسم موجود لوحده من غير وجودي قلق جدًّا، ما أضمنش. أرجوك، نخرج بالمعروف. شوية كلام قليّل بعدها عن الالتزام بالسريّة لفترة معيّنة، وطبعًا قلتها والتزمت بيها من غير تفكير. مش قدّ نقتله يا ريّس أنا. خرجت وأنا باحلف إني مش هاعملها تاني. مش هاشتغل مع النوع ده. ما كنتش عارف إني هانسى. وهاعملها تاني. دايمًا بنبقى ملتزمين قوي بعد العلقة والعقاب، وبعدين مع الوقت ننسى ونحطّ صوابعنا تاني في الكهربا. ما كنتش متخيّل إن بتاع نقتله يا ريّس هيبقى بعد كده كبير قوي في البيزنس والإعلام، ورجل البرّ والتقوى. بس الدنيا كده. ما علينا.. المهم إنّي خرجت. والراجل ما ماتش..

8 - 200 المبدأ على تثبت لمّا ..جنيه..

حلوة البدايات لمّا تكون من غير توقعات. طلبني عشان مقابلة في ليلة باردة في أواخر رمضان، كنّا خسرانين ماتش قبل النهائي في الدورة الرمضانية، وزي العيال الصغيّرة زعلانين قوي. رحت شركته، ثروت بيه، مكتب تعبان قوي في حتة عشوائية شويّتين، أكيد مش شركة محترمة قوي يعني. قعد معايا وقاللي عن أحلام وطموحات كبيرة جدًّا، وفي الآخر سألني رأيي، وقلت له حضرتك نصّاب جدًّا. غالبًا كنت متأثر بالهزيمة الكروية فالوضع عندي قالب على صراحة تصل إلى البجاحة. الغريب إنه وقف وأخدني بالحضن وقاللي يا خالد أنت راجل صريح وذكي، وأنا مش ممكن أسيبك. هاعترف لك بكل حاجة؛ أنا فعلًا ياما نصبت على الناس، بس خلاص دلوقتي وقت التغيير الحقيقي، وأنت اللي هتساعدني وتنقلني نقلة تانية بأفكارك. وأنا طبعًا بأحب آكل بوداني، وأدلّع نفسي بالكلام الحلو، صدّقت ووافقت وخلال أسبوعين بدأت. وفي أقل من سنة كنا في السما؛ بيزنس ومشروعات وفلوس، والعشر موظفين بقوا ستين، والمقر بقى اتنين والاتنين جامدين وحلوين. والفريق اللي معايا كبر قوي، وأغلبهم شباب صغيّر ومتحمس. وأنا بأحب أعلّم الشباب، والبنات منهم بيتحمسوا زيادة في التعليم، ويشكروا بشدة عند الاستفادة. وأنا أحب الدلع والشكر برضه.

لغاية في يوم ما جت رحلة طويلة لأوروبا، للترويج لمشروع لينا. والمفروض إن كل مشروع جديد بيمسكه حد من الشباب، والدور كان عليها؛ سارة، أول مرة تسافر معايا، صغيرة ومتحمسة. ومراهقة وعاطفية، وطموحة فوق الخيال. كلامها قبل السفر ما طمنّيش. رحت لصاحب الشركة وقلت له بلاش أنا، جنّتني مش خالصة على رأي فيفي عبده، والبنت متحمسة زيادة، لو سمحت نلغي السفر. قاللي برافو عليك، خلّيك إنت على جنب وأنا هاسافر مكانك وهاربّيها. بعد السفر بيومين كانت بتكلّمنا من الأوضة بتاعته. مش عايز أقولّك على الصدمة والإحساس بالخزي والعار والمسئولية، والغضب الرهيب تجاه راجل المفروض أب ليها وليّا كمان، دي خيانة أمانة يا ثروت بيه. يوم رجوعهم كان معركة. انفجرت فيه بكل حماس الشباب، علّمونا إننا ما نخلطش بين الحياة الشخصية والعمل. قاللي دي غلبانة وطلبت إني أتبنّاها، يا راجل! قلت له السمعة والصورة وكل حاجة بمشاعرها، وإغراءات الكبار والبيزنس والحياة ممكن تدمّرها، ارفدها لو سمحت. قاللي معاها شغل مهم، شويّة بس وأخلص منها. قلت له يغور الشغل جنب المبادئ. المقبرة مليئة بناس كان لا يمكن الاستغناء عنهم، يبقى ارفدني أنا. قاللي معلش اصبر شوية وكله هيظبط، وبعدين انت حبيبي وكل حاجة في الشركة، انت اللي نقلتنا من الخسارة لقمة النجاح.

خرجت من عنده مش مستريّح، الريحة مش حلوة. والأيام بتعدّي والوضع بيسوء، والبنت رايحة في سكة ندم، بتستعرض علينا في الغلط، وبتغرق فيه يوم ورا التاني. عن نفسي بطّلت أكلّمه خالص، التعامل بينا بقى بالورق ومن بعيد لبعيد، وهو مش زعلان ولا حاجة. النجاح بيزيد والفلوس بتجري في إيديه، وهو بيدلّعني بالكلام والوعود والحماس؛ إنت شريك المستقبل، كل فلوسك اللي عندي هتبقى نصيبك في الشركة، إنت ابني اللي ما خلّفتوش. وأخوكم كالعادة يعشق الكلام الحلو، وبينسى بيه كل البلاوي وسحب الشك اللي مالي السما. استمرّينا كده حوالي سنة، وبعدين في يوم بعد نهاية مشروع كبير كمّلناه بنجاح ساحق، طلبني في مكتبه، وكانت المواجهة. قاللي إنت فاكر نفسك ربنا؟ إنت مش الخير وأنا الشر، ومش من حقك تعمل فيها الطيب قوي، ما أنت نفسك عمّال تتدلّع في الإذاعة ومع فريق البنات اللي عندك، كلنا صنف واحد يا خلّود. لو مش عاجبك مع السلامة. كرامتي نقحت عليّا قوي، مين ده اللي بيبهدلني كده، ما فكّرتش في فلوسي اللي عنده ولا أي حاجة، كرامتي فوق كل شيء. باندفاع الشباب الطايش قدمت استقالتي في نفس اللحظة، وتاني يوم 10 مديرين وشباب من الشركة مشيوا ورايا. والراجل افتكرها مؤامرة منّي وقرر إنه ياكل عليّا فلوسي، شقا 3 سنين كان يساوي ملايين. ولا فرقت معايا. ما كنتش ناوي أتحمل الغلط. خرجت ومعايا الولاد والبنات. وقعدنا سنتين بنشتغل في حاجات استشارات وتسويق. والدنيا تفتح يوم وتقفل عشرين، والرصيد عمّال يقلّ؛ صبر ومال وأعصاب وإيمان بالحق وثقة بالنفس والقدرة لسّه فاكر ليلة رأس سنة موحشة، وأنا ومراتي رايحين نشتري حاجات من محل بقالة، وشنطتها تتسرق وفيها دفتر التوفير، وآخر ميتين جنيه في الحساب يفضلوا معلّقين شهر لغاية ما نعمل دفتر جديد. وقفنا في البرد والمطر بنبكي بكل حماس وجنون، ضغوط سنتين من الكفاح والعذاب والتفكير المؤلم، وسؤال لا يتوقف باسأله لنفسي إذا كنت اتصرّفت صح، ولّا كان أحسن أمشي مع التيار، ولّا حتى كنت أسافر مع

البنت واللي يحصل يحصل، ولّا أنا اللي سلّمتها للراجل وضيّعت مستقبلها. فيه أوقات الضلمة بتخنق، خصوصًا لو معاك عيلة وبيت وناس في رقبتك، وخصوصًا لمّا تبقى تايه بين الصح والغلط. وساعتها بتدعي بكل قواك. بدل ما تستسلم لهواجس الشياطين، وإنت عارف كمان إنه أحلك الظلمات بتيجي قبل الفجر. غالبًا بيكون اختبار للإيمان، بتنجح فيه وإنت مش عارف. وسبحان الله فتحت، تاني يوم سرقة الفلوس بمكالمة من غريب، قاللي سمعتك حلوة في السوق، بتشتغل بإيديك وكلمتك واحدة. عايزينك في مشروعات إعادة هيكلة. لسّه فاكر يوم المقابلة الأولى، استلفت من والدتي عشان أشتري بدلة.. واشتغلت، ونجحت، والأزمة عدّت..

مفيش حاجة مش بتعدّي.. خسرت سنتين فلوس لكن كسبت نفسي.. وثروت بيه بعدها بسنتين مات في حادثة بشعة. والحدوتة كملت بمكالمة من ابنه الكبير، بيقوللي اللي حصل لأبويا ده ذنبك، ولازم أدفع لك فلوسك وحق ولادك. خير والله.. لكن ما دفعش.. إدّاني معاد والتاني وبعدين اختفى.. سبحان الله.. ربّي رايد إن ذنب أبوه ينتقل له.. لو بس نعرف تمن اختياراتنا.. عن نفسي اخترت ودفعت ثمن اختياري.. بس مكسبي أكبر بكتير من التمن اللي دفعته.. اللي مش قد السفر ما يسافرش.. وأنا مش قدّه..

عايزني أروّح؟ - 9
عن النظام والالتزام..

الاسم كان شركة عالمية متعددة الجنسيات، والواقع كان طابونة الحاج عبد الغفار، تاريخيًّا كانت شركة قطاع عام، واستحوذت عليها الشركة الأوروبية الكبيرة، ولأن المديرين الكبار كانوا مستمتعين بالوضع زي ما هو، فالنتيجة إنهم حاولوا يقتلوا أي محاولة تطوير من الأجانب. وبقت قصة متكررة لمّا كل أجنبي ييجي مصر عشان يعمل أي تغييرات، والراجل يقضي يومين يكتشف فيهم كل البلاوي، وبعدين آخر ليلة ياخدوه في عشاء غير تقليدي تمامًا، مغلّف بالمشروبات، ومزيّن بالرقصات والراقصات، ومصحوب بحوارات غسيل مخ، الخلاصة بتاعتها إن مصر بالذات وضع مختلف، وإن أي تغيير لو حصل هيقضي على الشركة تمامًا. فضلوا كده لغاية في يوم الريحة فاحت قوي، فساد وبلادة وروتين ومكاسب معدومة، الأجانب طيّروا المدير الكبير المحلي، وجابوا راجل أجنبي مش بتاع هزار، جزار وجايّ ينضّف. والراجل قلب السوق ووصل للعبد الفقير إلى الله، وقعدنا. قاللي أنا عارف سمعتك بتاعت التغيير، والوضع عندي مزري وخطير. وأنا باعشق الحاجات دي. كنت لسّه سايب شغل بالدولار وآخر دلع، وبدون تفكير قبلت الشغل معاه، بنص المرتب وضعف المسافة، بس التحدي حلو ويستاهل.

أيامي الأولى لقيت كل البلاوي موجودة، من تسيب وإهمال، لغاية ألعاب واختلاس، لغاية موظفين شغّالين بالاسم معانا وبييجوا ويمضوا ويروحوا يشتغلوا في حتت تانية، ده غير تقسيمات الجماعات الدينية جوّه المصنع والأمراء اللي بيقسّموا الصلاة لفرق وطرق وحركات. ما كنتش عارف أبدأ منين، وكل ما أقرّب من حد من الكبار في موضوع كبير ألاقي القضية بطريقة ما تموت وتختفي في الأدراج، ولو أصرّيت على التحقيق ينتهي بالبراءة للجميع زي قضايا الفساد والإرهاب كده، وأطلع أنا المجرم والباحث عن الشهرة والمنظرة. طب نعمل إيه؟ افتكرت الفيلم الشهير بتاع مكتب المحاماة بتاع توم كروز. الراجل حاول يوقّع المافيا بكل الوسائل وفشل، وفي الآخر انتصر عليهم بقضية بلدي قوي؛ سرقة نص دولار دمغة في كل جواب، بلدي قوي بس جابت نتيجة. دوّرت عندنا على الدمغة بتاعتنا، ولقيتها؛ الحضور والانصراف. الشباب كلهم كانوا شغّالين بنظام عيد رياضي في الدقهلية، يعني ييجوا الساعة حداشر وينزلوا يقعدوا على القهوة وبعدين يمضوا انصراف الساعة تلاتة، ده لو فيه إمضاء أصلًا.

بس يا سيدي، قررت ألعب لعبة المواعيد، وعملت سياسة ولا أروع، دقة وتنظيم ومرونة، ومنظومة إلكترونية للتطبيق وآليات للقياس، ومعايير للثواب والعقاب.و رحت منزّل معاها سياسة لأخلاقيات وسلوكيات التعامل ومن ضمنها ارتداء الزي المناسب لأيام الشغل العادية، مع السماح بزي غير رسمي ليوم الخميس والمواقع. في الأول الناس ما صدّقتش، قالّك الراجل بيهزّر ولّا إيه، مش ده بتاع إعادة هيكلة؟ ده طلع بتاع شئون عاملين. أخدوا الموضوع بضحك وهزار. في نهاية الشهر الأوّلاني للتطبيق كانت فيه ثورة عارمة في المكان، كلهم بما فيهم المديرين الكبار لقوا مخصوم منهم أيام كاملة، ومعاها إنذارات ولفت نظر وحركات. مش هزار يعني. في الأول لقيت مقاومة رهيبة من ناس المفروض محترمة قوي، كل واحد بيحاول يقنعك إن حالته النفسية هتنهار لو وصل في معاده. واللي يجيب شهادة من طبيب مسالك بولية إنه لو صحي بدري نص ساعة قلبه ممكن يقف. واللي يعمل مأمورية كل يوم من 9 لغاية 9 ونص وهو أساسًا وظيفته محاسب ما بيسيبش المكتب إلا لو مات. طبّقنا بكل حزم. وخصمنا بكل ذمة بعد أول شهر. والثورة تضاعفت. مش باخاف. اللي عامل الواجب صح مش بيخاف. عملت اجتماع لكل المديرين، وسمعت الأول كل الاعتراضات عن الظلم وعدم المشاركة وعدم التمهيد. وبعدين بدأت ألعب براحتي، وأطلّع المستندات والأوراق؛ بتاريخ كذا عملنا اجتماع نناقش السياسة قبل ما نكتبها. وبتاريخ كذا وكذا عملنا قعدات مع كل المديرين عشان نعمل السياسة مناسبة لظروف كل العاملين والمواقع. وبتاريخ كذا بعتنا لكل المديرين النسخة النهائية قبل إقرارها. وبتاريخ كذا بعتنا السياسة بعد إقرارها وفتحنا الباب للّي عايز يسألنا أو يفهم.

طب إيه بقى يا حلوين. صمت القبور. وبعدها شوية تعليقات من نوعية (أصل محدش هيعرف يغلبك، أصل إحنا ما كنّاش متخيّلين إنك هتنفّذ بجد، طب هو حضرتك مش لاقي حاجة تانية غلط غير المواعيد). كل كلامكم صح يا حلوين، وأنا برضه صح. اللي يلعب صح ما يخسرش. هنيجي في معادنا ونمشي في معادنا،

وبعدين نبقى نشوف بقية البلاوي، أنا هنا بتاع المواعيد واللبس وبس. قبل الاجتماع ما يخلص لقيت الشاب الوسيم داخل القاعة، ساعة ونص بعد المعاد. يا راجل. وكمان لابس فانلة من بتوع فرقة سمير صبري في السبعينات، وبيشرب قهوته وهو ماشي. إيه الجمال ده. القاعة كلها سكتت وبتتفرج عليه. وعليّا كمان، هتعمل إيه في التحدي الساخر ده.. قلت له الاجتماع خلاص بيخلص. والاجتماع أساسًا عشان احترام المواعيد. سألني بضحكة هو فيه حاجة غلط ولّا إيه. بهدوء قلت له؛ طبعًا. حضرتك جاي ساعة ونص بعد المعاد. وكمان مش ملتزم بقواعد الزِّي للشركة في يوم عمل عادي. لحظات صمت وابتسامة صفرة ومعاها سؤال كمان؛ يعني عايزني أروّح؟ وكمان صمت مخيف. وبكل بساطة قلت أيوه لازم تروّح. بس قبل ما تروّح روح الأول الشئون القانونية. تحقيق صغيّر. نعرف أسباب عدم الالتزام. من كل النواحي. ذهول في المكان. وأنا كمّلت. معاه يا عبير لو سمحتي. خرج وعينه في الأرض. وأنا رجعت للناس، والصوت اللي كان هادي بقى بيهزّ المكان.

مفيش هزار يا شباب. لمّا نقول حاجة هنعملها. تاني يوم على الفيس بوك لقيت مدير في المصنع حاطط صورته وهو داخل الساعة 8 بالثانية. وكاتب إن الجدع بتاع الموارد البشرية علّمنا الأدب. الدقيقة بربع يوم. مش عيب. المهم تلتزم. والأحلى إنك تلتزم بمزاجك. بس محدش هيستنّى مزاجك. من يومها ودارت العجلة، في أربع شهور كنّا موفّرين ما يوازي 700 يوم عمل كانت بتروح على إنها شغل وهي قعدة قهوة في الحسين أو سنكحة برّه الشركة والمصنع والحياة. فقّلنا السنة بأعلى أرباح في عشر سنين، غالبًا عشان الناس جت في معادها. ولمّا جت في معادها، اضطرت تشتغل. الاحترام لا يتجزأ. اعملها بمزاجك..

السمعة على المحك - 10..

أجمل حاجة فينا كبشر إننا بنشوف نفسنا دايمًا جامدين جدًّا، وإننا أبطال العالم، ونستاهل ضعف المرتب وضعفين المزايا، ووظيفة أعلى ومكتب أكبر. لمّا بدأت معاهم الراجل الكبير قاللي أعمل حسابي على هجوم رهيب من الطلبات والتهديدات بترك المكان والانتقال للعمل لدى المنافسين، وقلت له أنا عامّة مش باستجيب للأفلام دي، بس أرجوك اسندني في الأول لغاية ما أعرف الناس. ولا الهوا، الراجل الكبير نفسه كل يوم يبعتلي هدية، موظف كبير أو صغيّر ومعاه جواب ممضي من الراجل الكبير بيقوللي فيه يا ريت نعدّل المرتب فورًا، وإلّا الراجل هيمشي فورًا!!

أول واحد قعدت معاه ساعتين، وبعد أول ربع ساعة من الحوار عن نجاحاته وإنجازاته، بقية الحوار تحوّل لمحاولات مخلصة مني إني أقنعه بإنه يمشي فورًا ويروح للمنافس. الراجل كان بلاطة تمامًا. بعد كده لقيت أغلب الحالات من نفس النوعية، قررت أقفل الباب لغاية ما يكون عندي تقييم موضوعي ومفصّل لكل الموظفين، اللي هو آخر السنة وعليك خير. احتجاجات وزعل وتهديدات بالتقاعس، وأنا قابلتها بابتسامات وتهديدات مماثلة بالتحقيقات والرفد، ومعاها التزام صريح مني بالمراجعة الوافية لكن بدون وعود بأي زيادات أو ترقيات. ما أعرفكوش لسّه يا شباب. وقد كان، اشتغلنا أنا والفريق الجميل بتاع المزايا والمرتبات، وعملنا دراسات سوق تفصيلية، ومعاها عملنا أقوى نهاية للسنة بتقييم أداء تفصيلي ومملّ وموضوعي للغاية لكل موظف، وتناقشنا مع الشباب في المقر الرئيسي في أوروبا وأخدنا الموافقة على الرقم الإجمالي.

أول يوم في السنة الجديدة كنّا موزّعين جوابات بالمرتبات الجديدة والترقيات لكل موظف، وبعدها عملنا حفلة فول وطعمية صغيّرة، احتفالًا بحاجة ما حصلتش من خمس سنين، أخيرًا عدّلنا مرتبات 3000 موظف من 3800 ، وفي سنة صعبة جدًّا كمان، وبأعلى درجات الموضوعية. ما لحقتش أتهنّى، الراجل الكبير طبعًا. بعتلي رسالة على الموبايل في نص الليل، كلمتين: هنسحب جوابات المرتبات الجديدة من كل الموظفين. صدمة عمري. كلّمته فورًا. هو حضرتك رئيس مجلس الإدارة وعلى عيني وراسي بس سؤال: إنت اتجننت! حضرتك لو عملت كده يبقى بتقضي عليّا وعلى سمعتي. قاللي أصل جالي كذا حد زعلان، ومش عاجبهم الزيادات ، فأنا قلت لهم هي أكيد فيها غلطة وهنصلّحها. انفجرت فيه. غلطة إيه بس! داحنا بقالنا شهرين شغالين فيها، وإنت عارف عملنا إيه، وفي سنة عصيبة وميزانية محدودة للغاية. والأزمة المالية ضاربة كل البنوك وأولهم احنا. ورغم كده عملنا منظومة موضوعية. وربطنا الزيادات بتقييم الأداء والخبرات ومتوسط مرتبات السوق والمستوى الوظيفي، وكمان التطور المتوقع لكل موظف وموظفة. أرجوك ما تقتلش معنويات وسمعة فريق عمل بحاله بجرّة قلم. سكت شوية وقاللي خلاص. بكره الساعة 5 إحنا عاملين اجتماع لأكبر 100 مدير في البنك في فندق جنبنا في حاجة خاصة بالتسويق. هأسيبلك أول نص ساعة، لو عرفت تقنعهم يبقى مش هاغيّر أي حاجة. قفلنا. الساعة كانت 11 بالليل. بالفّ حوالين نفسي. هأعملها إزاي. أساسًا كان بقالي يا دوب 4 شهور في المكان، وكنت عامل مهرجانات تغيير وإعادة هيكلة. مش متأكد الولاد أساسًا هيقفوا معايا كلهم ولا لأ. ومش عارف هالحق أعمل حاجة ولا لأ. ومش مستوعب أساسًا هاقنع المديرين إزاي إن الزيادة اللي عمر ما حد بيرضى بيها فعلًا كويسة.

حسّيت فجأة إني أغبى وأضعف خلق الله. في اللحظات دي بتبص حواليك، والعيون الغايمة بتحاول تتعلق بأي بريق نور. مراتك. كلمتين من قلبها. مش إنت بتعمل اللي عليك؟ حتى لو أغبى الناس بس بتعمل كل اللي في وسعك. سيبها على الله. هديت.. وسبتها على الله. صلّيت ركعتين ونزلت أجري شويّة وأطلّع الطاقة وأرتّب الأفكار. نصّ ساعة وكانت الصورة مترتبة في دماغي. كلّمت أهم اتنين عندي في الفريق، بكره الصبح يا ولاد 7 صباحًا في مكتبي. عندنا مهمة مستحيلة. أخدنا نص ساعة نرتب أفكارنا ونتفق هنعمل إيه. وهما زوّدوا حاجات جميلة. تحليل أرقام ومقارنات وتفاصيل مهمة. نصّ النهار كنّا خليّة نحل شغالة، وسط أجواء شائعات تحرق الدم، عن رئيس القطاع اللي عمل غلطة عمره في المرتبات وهنقرا عليه الفاتحة الساعة 5. واحنا شغّالين وبناكل فول وطعمية وكله ميّة ميّة. 2 الضهر كان معاد الصدمة اللي بعدها. الكمبيوتر بتاع ياسر ضرب، الشغل كان كتير وتقيل، كل اللي عملناه وجمعناه في 7 ساعات راح. قبل ما ننفجر في البكاء انفجرنا في الضحك. اتفقنا نعملها بطريقة مختلفة، ومين عارف يمكن تبقى أحسن. خمسة إلا عشرة كنا بنجري في الشارع من البنك للفندق عشان ندخل في معادنا.

بدأت الكلام بكل هدوء، في قلب قاعة بتغلي تحفز وانتظار. افتكرت تاني كلام مراتي. أعمل أقصى ما عندي، وأنا عملته خلاص. لعبت ماتش العمر. مقارنات بمستويات أداء، وتساؤلات راجعة للكبار اللي عمرهم ما عملوا تقييم صح للي تحتهم. وربط ما بين مرتبات سوق ومرتبات موظفين، وربط بين مستويات خبرة واحتمالات ترقي وزيادات مرتبات. 30 دقيقة منطلق زي المدفع الرشاش. في اللحظة اللي خلصت فيها لقيت القاعة كلها واقفة وتصفيق حاد. ولا الحلم. ماسك دموعي بمعجزة. أنا صح والله. ربي مش ممكن يخذلني. كرمه كبير ونصره أكبر.

لسه بأبص حواليا عشان فريقي يطلع معايا، لقيته واقف جنبي بيتلقى تحية المديرين. مين يا سيدي بقى؟؟ الراجل الكبير. الراجل اللي كان ناوي يطربقها عليّا. وفي لحظة أخد الميكروفون وانطلق في وصلة رومانسية : إحنا لما قررنا أنا وخالد نعمل المنظومة دي، كان هدفنا كذا وكذا وكذا وشششششششش... يا رااجل! إنت وخالد؟ كلام ودوشة كتير قوي.. ما سمعتوش وما حبّيتش أسمعه.. ما يهمنيش. أنا عارف وفريقي عارف. والمديرين أكيد عارفين. ولو محدش عارف مش مهم.. الأهم إن ربنا عارف وعالم. كسبنا.. حتى لو أغبيا.. عملنا اللي علينا وكسبنا.. مش مهم مين اللي ركب معانا العربية.. المهم إننا إحنا اللي سايقين..

11 - المطحنة.. لما تجهز كل مرة..

أول يوم ليّا في الشغل سألني بكل بساطة؛ أنت سبت ربّنا برّه؟ نعم، أفندم؟! أصل البنوك ما تعرفش ربّنا، ما عندناش هزار، كل يوم تحدي جديد، ودورة كاملة لكل العمليات، ولازم تتأكد من فريق عملك في نهاية كل يوم، عادي جدًّا إنك تنقص واحد أو اتنين في مشاكل أو أخطاء أو قضايا. أستغفر الله العظيم، عادي كده؟ عادي، كالعادة تحمست وقلت أنا لعّيب كبير وأقدر أعملها. وبدأنا حملة مرعبة من عمليات الإصلاح والهيكلة والتطهير، جوّه وبرّه. كان علينا مبدئيًّا 54 ملاحظة من أكبر جهة رقابية في البلد، وقدّامنا شهرين ننضّف البيت، وعشان نعمل كده كنّا بنوصل الليل بالنهار عشان نعرف الغلط فين ونصلّح من الجذور.

بس يا ريت اللعب والتنضيف كان من بره بس، أو حتى جوّة الإدارة بتاعتي وبس. مشكلتنا الأساسية كانت مع الراجل الكبير، وحش من بتوع أفلام الرعب. يوم لمّا يقول كلمة حلوة تبقى حاجة زي (أنت فاشل تمامًا)، وأول اصطباحة في الحوار التليفوني معاه كل يوم كانت كلمته الخالدة ؛ خالد أنا مصدوم فيك! في الأول كنت بازعل واتعقّد من نفسي وأقول أنا إيه اللي بيخلّيني وحش قوي كده، وبعدين اكتشفت إن ده العادي بتاعه، وإنه غالبًا ليلة جوازه قال لعروسته أنا مش طايق شكلك. كان جزء من مسئوليتي في العمل إني أساعد الراجل الكبير إنه يتغيّر ويهدا. كان قليل الأدب قوي.. وكان صوته عالي قوي.. وكل اجتماع مجلس إدارة كان بيقلب دم، والنتيجة إن الفريق القيادي كان بيتغيّر كل ست شهور، وبالتالي السمعة كلها تسوء والوضع يبقى رديء. قالوا يللا يا بطل تعامل معاه، إنت بتاع قيادة وتغيير وتأثير بدون سلطة وحركات.

أيوه بس يا ولاد أنا لسّه جديد.. ومش مستعد ألبس أي حاجة مش بتاعتي. خصوصًا بعد ما حضرت أول اجتماع. لقيت الدنيا ماشية بتسلسل متكرر. حد يتكلم ويعرض تقرير، الراجل الكبير يزنقه في سؤال، المزنوق يبص حواليه ويختار أي حد مش موجود أو أي حد جديد، ويرمي التهمة والغلطة عليه. لو حد مش موجود الراجل الكبير يبهدله في غيابه. ولو حد موجود الراجل الكبير يبهدله في حضوره. من أول اجتماع شفت رجالة بشنبات بتعيط، وستّات عايزين يدوبوا في مكانهم من الإحراج. في العادي باشيل مسئولية أخطائي أنا وفريقي. لكن مش مع ده. كلمة واحدة من بتوعه وأكيد هاستقيل. هاشتمه الأوّل وبعدين هاستقيل. وأنا مش قد برد الاستقالة والصحراء بتاعت الالتزامات والقروض. قررت ألعب أكبر جيم بوكر في حياتي. عمري ما لعبتها لكن كنت أعرف إنها لعبة توقعات وأعصاب وقراءة أفكار.

اجتماع مجلس الإدارة كان كل يوم اتنين، وأنا اتفقت مع فريق المديرين اللي معايا نجتمع كل يوم حد. نلعب لعبة التوقعات. كل واحد يقدم تقرير عن كل اللي بيحصل في الإدارة بتاعته داخليًّا وخارجيًّا، واللي بيحصل على مستوى العمل والبيزنس، عمليًّا وإنسانيًّا وعاطفيًّا وكله. وبعدين نشوف الريح في أي اتجاه، ونقط الضعف عندنا فين. ونوقفها. وبعدين نشوف نقط الضعف عند القطاعات التانية فين، ومين فيهم ممكن يحدف الكارثة علينا. فيلم كبير بس لازم. مش مستعد أشيل بلوى والموضوع ينفجر. وبقيت أدخل الاجتماع كل يوم اتنين جاهز ومسلح. وولادي كل واحد فيهم قاعد بره قاعة الاجتماعات معاه ملف المستندات والأدلة لكل موضوع ولغم محتمل. وأنا مسجل نمر ولادي على النمر السريعة الرقمية على الموبايل. ويبدأ الاجتماع، ومع كل موضوع أشوف الدفّة رايحة فين، وأول ما الموضوع يسخن ويحدف علينا أدوس الرقم، والباب يخبّط ويدخل حد من الولاد بتوعي ومعاه الملف. وساعتها أقوم أنا بالواجب بسرعة شماريخ تالتة شمال. قبل ما الراجل الكبير ينطق أكون قاتل الموضوع. اجتماع واتنين والناس كلهم بدءوا يقلقوا مني. إيه يا عم في إيه. كنا فاكرينك هادي وبلسم وكده. أنا كده والله وأكتر من كده، بس الكرامة ما تستحملش يا شباب.

في تالت اجتماع سخنت أكتر من كل مرة. حسّيت الراجل الكبير كان ناوي يغلط بكلمة. انقضّيت عليه بذوق بس بسرعة وحدّة. وقّف الاجتماع وقاللي تعالى معايا مكتبي. سألني إيه الحكاية، إنت مالك سخن ومنفجر على طول كده، ومين الفرقة اللي دايمًا جاهزة وراك. حكيتله الفيلم كله. قلت له مش هاستحمل ربع كلمة منك. ومش ناوي أردّ وأخسر أخلاقي، وبعدين اضطر أستقيل. وأنا أساسًا على أعصابي، وكل يوم بأوصل المكتب كأني رايح المدرسة ومرعوب من الأبلة. ضحك لغاية ما عينيه دمّعت، وبعدين فتح معايا في الكلام. حكالي المنطق بتاعه. الناس مش بتيجي غير كده. أنا بانفجر عشان أطلع أحسن ما عندهم. أصلي

لو مسكت لساني مش هامسك إيدي. وأنا كمان فتحت معاه وفيه. حكيت له حواديت كتير عن شركات كبيرة وتقيلة وفيها بلاوي زي عنده وألعن. وخرجوا منها بالأدب والاحترام. والعمل الجماعي والتحفيز. الترغيب أكثر تأثيرًا من الترهيب. الكلمة الحلوة تعيش أطول من الإهانة. جرّب تلعب معاهم مش عليهم. قاللي بس هما قابلين الإهانة وواخدينها عادي. قلت له لو تسمع كلامهم في غيابك. أرجوك غيّر أسلوبك وأنا معاك. شغلتي ودوري أسندك في الرسالة الصح. خلّينا نجتمع المرة الجاية في البيت عندك. عزومة مشويّات ومعاها ورشة عمل لرؤية السنتين الجايين.

وافق على مضض. ورحنا عنده البيت. محدّش كان مصدّق لغاية ما خلصنا الأكل. ما كانش كتير، الراجل ظابط الموضوع بحيث كل واحد ياخد ربع فرخة وصباع كفتة بس. مش مهم عندي. الكرم ده مش قصتي. قصتي الفريق وروحه. إنك تشتغل مع الراجل وإنت مستريّح. قالولنا زمان لما الناس بتمشي بتكون بتسيب مديرها مش الشركة. واللي بيقعد برضه عشان مديره. كانت أكتر مرة شفت فيها الناس بتضحك من قلبها. بعد الصدمة والذهول والشك والحذر، الناس طلّعت جمالها اللي جوه. والراجل الكبير طلع بني آدم هو كمان. كلنا كده. بس فينا اللي بيستخبى ورا ستار عدوانية مش بتاعه. الخوف بيقلب شر. والدنيا مش مستاهلة.. خلينا ندور على الخير اللي جوه.. الفطرة كده..قعدت سنة الراجل ما شتمش فيها.. بقى رومانسي قوي، لدرجة إنه اتجوّز السكرتيرة.. كنت عايزه يهدا بس مش للدرجة دي.. على رأي الفيلم؛ ما تبسطهاش أكتر من كده..

12 - الإغراء.. لمّا تشتري نفسك..

كان بقالي معاهم 8 شهور. من أغنى وأصعب الأوقات في حياتي. كل يوم كان فيه تحدي جدًّا. لغم بينفجر أو قضية تتفتح. وكله كوم والراجل الكبير كوم تاني، نموذج للمصلحة والسياسة، داهية يعني. وأنا مستمتع بالكفاح والتحديات، والنجاح حلو، والانتصارات الصعبة حلوة. والفلوس حلوة برضه. وبعدين في يوم لقيت مكالمة الساعة 6 صباحًا. مديري القديم في شركة الدوا. قاللي عارفك بتصحى بدري. عايزك ترجع عندنا تاني. إنت سبتنا عشان طالع تعمل بيزنس صغيّر. لو رجعت للشركات الكبيرة يبقى إحنا أولى. بيتك وفريقك. وتكمّل اللي كنت بتحلم بيه. وعلى فكرة هترجع بمرتب أقل أكيد من مرتبك دلوقتي. وحوافز أقل وأقل كمان. إحنا مش بنك. وعلى فكرة برضه لازم تبيع عربيتك اللي اشتريتها هناك. المستوى ده مش عندنا. معلش هتخسر ربع تمنها في 8 شهور. بس أنا محتاجلك قوي.

كان أخويا الكبير، مش بس مديري. يوم المقابلة الأولى بتاعتنا إدّاني درس في ألف حاجة، وقعد يعدّد أخطائي في الكلام، لدرجة إني توقعت إني أكيد مش هاشتغل معاه، وفي الآخر قاللي هتبدأ من الأسبوع الجايّ. اشتغلنا مع بعض 5 سنين، وعملنا نجاحات كبيرة قوي، وياما سندني في إنجازات عملتها وأخطاء وقعت فيها. وأنا من ناحيتي شلت عنه همّ الضغوط والمشاكل اليومية والعمل التقني والفني كله. كنّا أصحاب، يحكيلي عن أحلامه وإحباطاته، وبأشتكيله إحباطي وغضبي من عدم التقدير، وكان لوحده بيحاول مرة واتنين إنه يجيبلي حقي وأكتر، بس كان فيه مشكلة بسيطة، إن المكان اللي أنا أستحقه مليان. وهو اللي قاعد فيه، مقفولة يعني. لمّا سبت المكان كان بمباركة منه، راجعنا مع بعض العرض اللي جالي ونصحني وسمعت كلامه، الناس النضيفة الجدعة دي كنز ما يتسابش. آخر معرفتي بيه كانت الحادثة بتاعتي، كنت بين الموت والحياة 48 ساعة، قالولي إنه ما فارقش قعدته جنب السرير بتاعي، عن كمية الدعاء والسور القرآنية اللي قراها جنبي، لغاية ما فقت ورجعت للحياة.

بس الرومانسية شيء والواقع شيء تاني، ده مستقبل وحياة وفلوس. والكلام برضه مجنون. عرض لازم أرفضه بكل الصور. الغريب إني ما رفضتش. قلت له سيبني أفكر. أصل القصة مش فلوس وبس. قعدت أحطّ قدّامي معايير اتخاذ القرار؛ الفلوس، المستقبل، السلّم الوظيفي، التحديات، الراحة النفسية، الوقت والطاقة المستنزفة، التوازن مع احتياجاتي الإنسانية من رياضة وعيلة وأصحاب، وفريق العمل اللي هاشتغل معاه. حاجات كتير. لقيت الفلوس في كفة والباقي كله في كفة تانية. عليّا التزامات وقروض وبلاوي. والفلوس لما تتوفّر تجيب راحة نفسية برضه. والعربية الفخمة قوي اللي لازم أبيعها واخسر فيها. والبرستيج الجامد بتاع الجيش اللي شغّال تحت إيدي، خمسة وستين بني آدم. قعدت يوم واتنين وتلاتة بافكّر. لغاية يوم اجتماع مجلس الإدارة المعتاد، اللي هو بنجيب فيه عربية إسعاف واقفة تحت ومعاها عربية مطافي. نفس الألغام ونفس الموقعة ونفس الصراع ونفس الانتصار ونفس الأعصاب المحروقة وأنا خارج مستنزف وخلصان. وأنا نازل على السلم كلّمت مراتي. حكيت لها القصة كلها، وكالعادة هي السند والضمير. ما فكّرتش كتير هي. قالت لي اشتري نفسك وراحتك. لو على الفلوس مش إنت اللي بتجيبها. الرزق مكتوب. رجعت مكتبي وبعتّ للراجل الكبير بابلّغه بالاستقالة. كانت الساعة 11 الصبح. على الساعة 6 لقيته داخل مكتبي ومعاه اتنين من مجلس الإدارة. تعالى عازمينك عشا مفاجئ. رحت لقيت المجلس كله، كأنه كمين. الأول كلام عادي وهزار وبعدين دخلنا في الجد، أقوى عملية إغراء تعرضت لها في حياتي، عروض من اللي قلبك يحبها. إنت صحيح بقالك 8 شهور بس هتاخد مكافأة عن السنة كاملة. احترامي للعرض بس ما ينفعش، أنا رب البيت بتاع الموارد البشرية ما ينفعش أكسّر النظام. الله عليك يا خالد، عشان كده مش هنسيبك. طب إنت راجع عشان فريقك القديم؟ هنجيبهم يشتغلوا معاك هنا. طب والناس اللي هنا؟ ولا يهمك، إنت تقرر مين يمشي منهم، ولو حبّيت يمشوا كلهم مش عيب. ببساطة كده يمشوا كلهم؟ طب لو متأثر بيهم قوي ممكن ننقلهم في الأقاليم. بدأت أقلق أنا، والراجل حسّ بالقلق وقرر يدخل بالكارت التقيل؛ الإعلام وإغراء الأضواء. . طب نفسك ترجع الإعلام؟ هنعمل رعاية لبرنامج جديد ليك. يا رااجل؟!ده أنا ماضي على تعهّد بالتوقف عن العمل الإعلامي تمامًا طول ما أنا معاكم، فجأة هتعملولي برنامج؟ طب عايز إيه، الراجل الكبير بدأ يتنرفز، زعله وحش. يعني عايزني أترجّاك! مفيش قلب ولا إحساس. وأنا باتفرّج عليه وغصب عني بأقارن حياتي اليومية معاه وحياتي مع مديري القديم. القديم برضه سخن وعصبي ومتفجّر على طول، والعادي بتاعه وهو لسّه يكون في الجراج إنه يصرخ باسمي بأعلى

صوته، وياما اتخانقنا ومسكنا في بعض. بس لأ، بني آدم هو. مش بيلعب بالوشوش والكلام، اللي في قلبه على لسانه. كانت دي الكلمة الحاسمة. فعلًا مفيش قلب. بس عندك مش عندي. قلت له من أسبوعين في موضوع زيادة المرتبات كنت هترميني تحت القطر وتقرا عليّا الفاتحة. لو حافظها. البيزنس ما فيهوش قلب. إنت محتاجني أكتر ما أنت عايزني. فرق كبير. أنا راجع بيتي عشان قلبي هناك. عشان أشتري نفسي. ضحك وقاللي ما تزعلش مني. بس إنت مغفل. هتخسر كتير. ضحكت أنا كمان. أصل الموضوع نسبي. علّمونا زمان إن الناس مش بتسيب شركات ولا وظايف، لكن بتسيب مديرها.

المدير المحترم نعمة، اللي بيعلّمك، أو بيدّيك فرصة تتعلم، واللي بيسندك ويحميك من غير ما تعرف، واللي بيطلّع عينك في وشّك لكن بيقول فيك شعر في غيابك. وأنت مش كده، مش زيّي، يمكن أحسن مني بكتير، لكن أنا مش عايز أعيش مع ناس مش زيّي. ولو على الفلوس ياما راحت وجت، أصل كله مكتوب. الرزق مكتوب، ناس وفلوس وصحة وراحة بال.. أهي هي دي بقى.. راحة البال.. مش ناوي أبيع نفسي للفلوس. هامشي خلاص..

13 - قدّامك شهرين.. التصفية..

كان أول أسبوع بعد رجوعي لبيتي، الشركة اللي اشتغلت فيها سنين. تخيّل إنت بقى الفرحة والحماس وقعدات الذكريات، بقالي سنتين بعيد، وراجع على شهر عسل، سايب ورايا الفلوس والدلع والنجومية، وجايّ على منصب أقل لكن براحتي وبمزاجي. أتدلّع بقى شويّة. ما لحقتش. تالت يوم طلبني مديري، قاللي تعالى اسمع بقى الوضع كله. هيدمجوا إفريقيا والشرق الأوسط في منطقة واحدة كبيرة، يعني المناصب القيادية التمانية بتوع الموارد البشرية هيبقوا أربعة. طبعًا فيه مناصب كتير هتتلغي، وناس كتير لازم هتمشي، ومبدئيًّا منصبك ده خلاص هيروح. وإنت وشطارتك تقدّم في منصب من الجدَّاد.

طب إحنا بنلعب قدّام مين بقى، الفريق الجنوب الإفريقي، وبتوع إفريقيا جامدين قوي وبيلعبوا سياسة وتربيط مع نيويورك. واللعب مش معاهم بس. فيه ناس كتير هتقدّم في الوظايف من كل مكان في العالم. أصل الإغراء كبير، الوظايف الجديدة هتكون في دبي يا سيدي. دش بارد على نافوخي. يا رااجل. دي صدمة قاتلة. أنا لسّه سايب البنك، عشان ألاقي نفسي في الهوا كده! مفيش وقت للكلام الكتير، قدّامنا شهرين. وبعدها القيادات الكبيرة هتيجي من أمريكا على المغرب. يقابلوا كل المتنافسين ويختاروا. مذبحة يعني. يللا يا خلّود إنت الوحيد اللي يقدر يعملها وينقذ الناس اللي هنا. أصل لو إنت طرت في الموضوع ده، بتوع جنوب إفريقيا هينسفوا الفريق بتاع مصر وهيلغوا أغلب الوظايف هنا. حلاوتك يا مولانا. أنا كان مالي بس يا ربّي.

خرجت من عنده دماغي فيها براكين. طب أكلّم البنك تاني وأحاول أرجع؟ عيّل وغلط.. مستحيل طبعًا. مالهاش حل. المكتوب اختياري. دخلت مكتبي وجمعت فريق العمل كله. كانوا كلهم عارفين ومستنّيين. هنعمل إيه يا خالد.. هنموت؟ هنضيع؟ لا يا حلوين. هنعمل الحاجة الوحيدة اللي بنعرف نعملها. نشتغل. بس إحنا قدّامنا شهرين. لا يا حبايبي. قدّامنا ساعتين. كل واحد يطلع بأفكار لمشروعات حقيقية بتاعت موارد بشرية. مشروعات تفرق مع الناس في كل البلاد اللي إحنا ماسكينها. ورّوني إنكم تستاهلوا القتال. نعمل اللي علينا ونسيبها على ربّنا. ساعتين وقعدنا. الولاد غرّقوني بالأفكار. الخوف بيشلّ لكن العمل بيحرّر. قعدنا وناقشنا واخترنا. وكل فكرة عملنا ليها فريق عمل وقيادة مختلفة. لازم كل واحد يبان. مش رومانسي قوي، لكن عشان أنا كمان أظهر من خلالهم. الكبير بيبان بشغل ناسه. وكل فكرة اتحطّت في شكل مشروع وأهداف وخطوات وجدول زمني ومعايير قياس. وتاني يوم أعلنّاهم كلهم في الشركة وفي كل البلاد اللي إحنا مسئولين عنها. وتالت يوم كنت باعت للست الكبيرة في نيويورك. باسألها بكل براءة عن مساندة في مشروع من المشروعات. الفضول قتلها. ساعة وكان عندها ملف كل المشروعات. ساعتين وكنّا بنتكلم على التليفون. انبهار مبدئي مع شك في القدرة على التنفيذ. إنت لسّه جاي أساسًا. وأنا باوضّح إني جاي أكمّل اللي بدأته زمان. قالت لي هاتفرّج عليك. قلت لها اتفرّجي علينا كلنا. كل يوم هيجيلك إنتي أو فريقك اتصال أو سؤال من حد تاني من عندي. أصل كل واحد مسئول في حتّته. خليّة نحل احنا. وفعلًا كنّا كده.

العمل بيخلّينا ننسى القلق. انطلقنا في شغلنا، وشغلنا قلبنا وعقلنا وريّحنا نفسنا من القلق والضغوط. ربّنا قال وسيرى الله عملكم. مش نتيجة عملكم. بس الدنيا مش وردية قوي، وكالعادة اللعب بيبقى من جوّه قبل برّه. ناس من الحلوين اللي في فريقي كانوا قلقانين زيادة، معلش يعني هو خالد هيحبّنا أكتر من نفسه، تلاقيه مرتّب أموره وفي الآخر هيبيعنا. منهم واحدة تحمست جدًّا لدرجة إنها بعتت للولاد بتوع جنوب إفريقيا تحكيلهم عن المشاكل اللي عندنا ونقط الضعف اللي ممكن يستغلوها. بلدي قوي بس عادي، فيه كام واحد وسطنا زي والي عكا اللي خان العرب أيام صلاح الدين. بس المشكلة كمان كانت في مجموعة جنوب إفريقيا: منافس ولا أخطر، وأخلاقيات ولا أسوأ. مجموعة سيدات معلمات مفتريات من أصول أوروبية عشوائية، وعندهم عنصرية غير طبيعية تجاه العرب والأفارقة على حد سواء. والمجموعة شغّالين مع بعض بقالهم سنين، والألعن والأضلّ كانت طبيعة الكبيرة بتاعتهم؛ جولواز، اللي هي ست مش مظبوطة يعني، وكمان إشاعات رهيبة عن علاقتها المريبة بواحدة تانية من الفريق القيادي بتاعهم. واحنا مالنا، دع الخلق للخالق، لكن اللي في العادي بيبقى نقطة ضعف، في الشركات العالمية بيبقى نقطة قوة وإرهاب. الستّ مهما عملت من بلاوي أو أخطاء بتطلع براءة، والسبب إنهم أكيد بيضطهدوها، عشان ظروفها إنها ستّ جولواز. تكتشف برضه حضرتك إن العالم المتحضر بيدّي فرص أكتر مليون مرة لو الراجل أو الست

مش راجل قوي أو ست قوي، أو مش راجل خالص أو ستّ خالص. ناقصين احنا، كنت متأكد إنهم عاملين خطة يهاجمونا فيها، ويخوّفوا الأمريكان مننا، والأمريكان متعوّدين أوّل ما يخافوا يختاروا على طول. برضه مش قصتنا، مهما هاجمونا ما كنتش ناوي أهاجم أو أركّز على أخطاء عندهم، ما أعرفهمش أساسًا. ركّزنا في الشغل، وشهرين وكنّا في المغرب.

كازابلانكا الجميلة. داخلين الاجتماعات واحنا هاديين ورايقين. عندنا قصة نحكيها. مش رايحين نتكلّم عن نفسنا. رايحين نتكلّم عن شغلنا. وبنتكلّم بفخر وذهول كمان. مش مصدّقين القماش اللي طلّعناه في شهرين. أمّال لو اشتغلنا كده على طول كنّا عملنا إيه. لسّه فاكر آخر يوم في الاجتماع وأنا قاعد أقرا قرآن في سرّي، والست زميلتنا اللي كانت بايعانا دي عمّالة بتتفرج عليّا مش مصدقة، وبتقوللي بعدها إنت أكيد بتقرا عليهم مش لينا. بعد آخر جلسة في الاجتماعات مديري الجميل جمعنا في غرفته، وأخدنا كلنا بالحضن واحد ورا التاني. ماكانش له مصلحة في أي حاجة، كان ماشي خلاص، لكن الزعيم مش بيرحل قبل ما يحارب معركته الأخيرة والكبيرة، واللي هي دايمًا بتكون المعركة اللي بتخلّد اسمه. كنّا فرحانين وراضيين، عملنا اللي علينا، وأثبتنا نفسنا لنفسنا. لو عملنا نصّ الكلام ده في أي مكان هنكون النجوم، ولو الشركة مش حاسّة بقيمتنا يبقى هي اللي خسرانه. والجميل إن الشركة كانت حاسّة ومقدرّة، في نفس الليلة لقيت اتصال من الست الأمريكية الكبيرة، قالت لي عايزينك في أعلى منصب، تبقى مسئول عن إفريقيا والشرق الأوسط. وكمان منصبين من الأربعة الكبار من فريقك. وإنت اللي هتحطّ الهيكل وتختار الناس.

تعاملت معاها بوش هادي وبلا انفعالات. كأني كنت متوقع. وعملت فيلم كمان وقلت لها طب إدّيني وقت أفكّر. وخرجت بهدوء وبرود. وعند أول باب مقفول دخلت. ورقصت. وبكيت. يااااه... كان ممكن يكون كابوس.. كل ثانية في الشهرين كانت موت بطيء. وكل ثانية تفكير ورعب من المصير كنت باحاربها بشغل أكتر وجري أكتر. وبافكّر نفسي. كله مكتوب.. بس إحنا نعمل اللي علينا.. الكابوس بقى حلم واتحقّق.. الحمد لله..

14 - النقابة.. معدتي والكشري..

اللعب مع النقابات عمره ما كان سهل. أول تجربة ليّا معاهم كانت سودة، محاولة إعادة هيكلة لشركة قطاع عام تم خصخصتها، يوم ما رحت أول مرة لقيت الأبواب قفلت ورايا بالجنازير الحديد، واكتشفت إني رهينة في لعبة مفاوضة مع الحكومة، والنهاية كانت تراجع للإدارة بتاعت المصنع وقيامهم بدفع 100 مليون جنيه حوافز عن مصنع بيخسر بقاله خمس سنين، أعشق التمثيل المشرف. أيامها اللي كانوا بياخدوا بالهم منّي بتوع النقابة، وأبهروني بالمنطق والعقل والوعي وكل حاجة. مستعدين نشتغل مجانًا بالسنين، بس الكابتن رئيس مجلس الإدارة يعمل زيّنا، مش عايزين حوافز ولا بدلات، بس البهوات ما ياخدوش مقابل حضور لجان ووجبات. اشمعنى دايمًا كلمة مؤثرة. والجميل إنهم إيد واحدة. تلاقيهم دايمًا منظمين ومتفاهمين، وبيتكلموا كلام إحنا مش فاهمينه. وعادة كل كلمة بأقولها معاهم بيمسكوها عليّا وتطلع غلط وعيب وحرام، وإهانة واستهتار وتحقير. ويا ويلك وسواد ليلك لو حاولت تلمس أي ميزة أو حافز ليهم. بس كان لازم ألمس الرعاية الصحية. الولاد كانوا عاملين الموضوع عيد رياضي في الدقهلية. ماكانش فيه شركة متخصصة، لكن كان فيه طبيب داخل الشركة. والراجل طيب ومش عايز يزعّل حد. وكل الموظفين ما شاء الله عيّانين بكل الأمراض. وبيصرفوا كميات رهيبة من نفس الدوا. ويا ريت مثلًا بيبيعوه ويكسبوا فيه. بيركنوه عندهم للزمن. وطبعًا الصلاحية بتخلص بس الولاد عادي خالص بيستخدموه ويموتوا. ما ينفعش كده.

عملت الواجب بتاعي صح، دراسة شاملة للسوق والمنافسين بيعملوا إيه، والأرقام والتقارير والتحليل. وجبنا عروض من شركات كبيرة للرعاية الصحية في السوق. وعملنا عروض ومقارنات وممارسات ومناقشات، وانتهينا لأحسن شركة فيهم. والتغطية هتكون شاملة وأعلى في القيمة كمان لكل فرد من أفراد أسرة الموظف. قلت لمديري ومضينا وكل حاجة، قاللي استنّى لما أبلّغ النقابة. قلت له خليني أنا أقول لهم وأناقشهم وأقنعهم. دي حاجة حلوة وعايز أفرحهم. قاللي إنت مش فاهم حاجة، لو بلّغتهم لوحدك هياكلوك. إقناع إيه يا أبو إقناع، لازم بالعافية. انفعلت جدًّا وقلت له كلام كبير عن التحضر ووعي العمال والنقابة ودورها الوطني المتوازن وكده. الراجل تعامل معايا كأني مجنون. قاللي هأسيبك معاهم 5 ساعات بس. وبعدين هأدخل أنقذك.

قال خمس ساعات قال. طبعًا كنت متأكد إني هأخلص في ساعة بالكتير. تقريبًا ده اللي حصل. بدأنا 10 صباحًا، وحوالي الساعة 8 بالليل كنت في مكتب مديري بأترجّاه. وحياة أغلى حاجة عندك انجدني. أسوأ اجتماع في حياتي. الشباب بتوع النقابة اتسّلوا عليا. الشركات العالمية دي أساسًا صهيونية وجايّة تخلّص على شبابنا، وعايزين يجمعوا معلومات عن حالة الشعب الصحية. يا رااجل! سعادتك همّا مش محتاجين، كله باين وصريح، إحنا ملوك الأمراض المزمنة والمستوطنة، والشعب كله بيدخل ينام بدري ويجيب عيال يستضيفوا نفس الأمراض. وبعدين يا جماعة إنتم أصغر واحد فيكم داخل على الستين مستريح، يعني الأهم دلوقتي مستقبل وتغطية العائلات بتاعتكم. طب دكتور الشركة هنقطع عيشه كده، ده عشرة عمر. ولا تقلقوا، هنعمله مستشار. طب المستشفيات دي كلها مدلعة وبعيدة عننا. يا مدام دي أحسن مستشفيات في البلد، واحنا كده كده دافعين، وفيه كمان عيادات صغيرة وفي كل منطقة، ولو حضرتك عايزة ممكن نضيف مستشفيات وعيادات تانية. طب ايش يضمنلي إن الدكتور الخواجة ده هيعرف يكشف عليّا. ده مش خواجة يا حاج، ده مصري زيي وزيك بس متعلم بره. متعلم بره؟ وأخلّي راجل غريب يكشف على مراتي! ما قدرتش بقى. قلت لهم يا شباب أنا كشركة في الحالتين اللي عازم ودافع من جيبي. والموضوع كله مش فرض عليَّا. وبدل ما أعزمك على كشري هأعزمك على كباب وكفتة وسمك وجمبري، عندك أي مانع؟ الحاجَّة ردّت بمزاج : أيوه عندي مانع، أصل أنا معدتي ما بتجيش على الجمبري والكفتة، بتيجي بس على الكشري. وعلى فكرة، إحنا أساسًا ما نعرفش إنت مين، وأنت ما عملتش محضر للاجتماع من الأول، وما بدأتش بآيتين من القرآن الكريم، يعني أنت كمان من العلمانيين اللي جايّين يبوّظوا الدين. وعلى فكرة، إحنا مش منقولين من هنا إلّا لمّا نعرف الحوافز السنة دي قد إيه، وليه مفيش أرباح بقالنا سنتين، وعندنا مشكلة في ورق الحمام في المصنع؛ نوع خفيف قوي وبيتقطّع بسرعة.

مسكت نفسي بمعجزة من الرد، الكلمة التالية مني كانت أكيد هادخّلني السجن. كده خلصت. لو قعدت معاهم كمان عشر دقايق هاطلع كافر وحرامي. دخلت لمديري وأنا مسلّم نمر. أنا غلطان يا معلّمي. قاللي

اوعى تعمل كده تاني. تعالى معايا اتفرّج واتعلّم. دخل عليهم زي الوحش. إنتم إيه اللي مقعّدكم هنا لغاية دلوقتي! اللجنة المفروض ما تزيدش عن ساعتين! مخصوم منكم يوم عمل. يللا على بيوتكم. وهو خارج من الأوضة لف بشكل سينمائي وقال لهم: نسيت أقول لكم، من أول الشهر الرعاية الصحية الجديدة هتبدأ. اللي هاشوفه بيقرب من العيادة القديمة هانسفه. فاهمين؟! وسبحان الله يا أخي كله قال آمين.

واحنا خارجين مديري طبطب على كتفي وقاللي ما تزعلش، اللي اتربّى على الكرباج صعب تسيبه يختار لوحده. محتاج يتربّى من جديد، وغالبًا محدش هيربّيه، محدش عايز حد يناكف فيه. وبعدين أنت ما تعرفش بقية الخلفيات؛ العادي إنهم متجوزين مرة واتنين، وعلاج أسري معناه الفضايح تبان، أو في أحسن الأحوال يضطر يختار بين أسرتين، يبقى الأفضل نختار لهم احنا، لغاية ما يكبروا ويتعلّموا يختاروا لوحدهم. أحلى حاجة القيادة بالخوف ونظرية القطيع.

اخص على كده. هاموت واعرف المشكلة فين. بأحب عبد الناصر وفيلم الغلابة والمحتاجين، بس غالبًا النظرية كانت بعيدة عن التطبيق حبّتين. كان نفسي فيلم الديمقراطية والحوار والكلام ده يجيب نتيجة. لسه شوية. شويتين تلاتة.. لما الناس تعرف أساسًا إن الجمبري أفيد وأحلى من الكشري.. ما علينا..

15 - لما تدير بقلبك..

كلمّني وقاللي سمعت عنّك كل الخير، عايز أقعد معاك عشان فرصة شغل. كانت أصعب أيّام حياتي، وحسابي في البنك واقف على ميتين جنيه، والدنيا آخر لخبطة وسواد. عمري ما كنت اشتغلت في شركة كبيرة، ومش متعوّد على لبس رسمي أو غيره. بافتكر النهارده منظري وأنا لابس بنطلون زيتي وقميص من بتوع الصين الشعبية وداخل عليه بكل ثقة. حكيتله على شغلي، وكان عارف ومذاكر. عرض عليّا أشتغل استشاري معاه، بمرتب ماحلمش بيه. طب حضرتك عارف إني عواطلي دلوقتي؟ يعني ممكن تدّيني مرتب أقل عادي وأنا مش هازعل. ضحك وقاللي وليه أضحك عليك، حقك تاخده حسب قيمتك وقيمة الوظيفة، مش حسب أحلامك سواء كانت متواضعة أو مجنونة.

دخل قلبي من أول لحظة. بدأت الشغل معاه، الشركة صغيّرة لكن أحلامها كبيرة، والراجل بيعمل فيها حاجات ما شفتهاش في حياتي، اجتماعات منظمة كل أسبوع، وأهداف وخطط واستراتيجيات، وقعدات دورية مع كل واحد فينا عشان مستقبلنا وطموحاتنا، وبيسمعنا ويتقبل النقد والأفكار والاعتراضات، وياخد بكلامنا حتى لو مختلف معاه، الأغلبية تحكم بجد، إيه الجمال ده. بس الرومانسية الزائدة برضه ليها تمن، والناس كلها لمّا تتدلّع ساعات بتطمع، والراجل الكبير كان طيب وجدع ومش عايز يزّعل حد، والنتيجة إنه كان بيدفع التمن هو والشركة. لقينا نفسنا بناخد شغل كتير، وبنعمل نتايج عبقرية، لكن في الآخر الحساب دايمًا مدين. وضع عصيب ماديًّا. قعدنا معاه وقلناله ما يصحّش كده. بتيجي على نفسك عشان ترضي كل اللي حواليك، وعمرك ما بتقول كلمة ممكن توجع حد من الفريق، حتى لو صح. إوجعنا بقى يا أخي. اضرب كمان عشان أتوب.

كنا في أول ديسمبر، واتفقنا كلنا إننا لازم نحط ميزانية متكاملة وتوقعات لأهدافنا المالية، والفلوس هتدخل إمتى ومن أي نوع من العمليات والمشروعات والعملاء. عشان ما نغرقش أكثر من اللي إحنا فيه. كل واحد مطالب على الأقل يجيب وينفذ شغل ب 3 مليون جنيه. يوم الاجتماع كل واحد فينا جاي جاهز بخطة واستراتيجيات وأرقام ونوعيات عملاء وتوقيتات. إلا حسن. كان أكترنا شبابًا وأحسن واحد فينا تعليمًا. قلنا ده اللي هيكسر الدنيا. دخل علينا دخلة ولا الألتراس. عرض نتيجة للسنة الميلادية. حساباته أكتر من واقعية. قالك فيه 52 أسبوع جمعة وسبت، يبقى نشيل 104 يوم، وزود عليهم 30 يوم أجازة سنوية، وضيف عليهم 6 مرضي، أصلنا هنعيا أكيد. وكمان 15 يوم تقريبًا أجازات رسمية وأعياد. يا رب كتر أعيادنا. يتبقى كده 200 يوم. في العادي بتاعنا ممكن نعمل 3 زيارات في اليوم الواحد. وعشان الدنيا زحمة ونقدر نوصل فايقين يبقى نخليهم زيارتين في اليوم. والغي لو سمحت يوم الخميس عشان ده كله للإعداد والتخطيط. يبقى باقي 150 يوم في السنة، بـ 300 زيارة. المعدلات العالمية بتقول إن العميل الواحد محتاج من 5 لـ 10 زيارات لغاية ما يقتنع ويقبل العرض. خلينا في العشرة الطيبة. يعني بنتكلم على 30 عميل محتمل. بس استنّى يا جميل. أول ما ناخد شغل من عميل يبقى لازم أيام كاملة عشان التنفيذ. والعملية الواحدة بتاخد 50 يوم تنفيذ تقريبًا. يعني ربنا يكرمنا لو قدرنا ناخد عميل أو اتنين بالكتير. والعقد بحوالي 100 ألف، يعني إن شاء الله وبعون الله نعمل ييجي 200 ألف جنيه. اللي هو أقل من مرتبه.

لحظات صمت وذهول. وبعدين تصفيق حاد عشان عرض الساحر، وانفجار في الضحك لدرجة البكاء. غالبًا هنقفل الشركة. الراجل الكبير ما قدرش يناقش أساسًا. انتهى الحوار وانتهينا كلنا. يا دوب قال لزميلنا يا ريت تراجع أرقامك وطريقة تفكيرك. والزميل وعده بكده. يومها ما عرفتش أنام. من الفجر كنت في مكتبه باتخانق معاه. حضرتك مديري بس الأهم من كده أخويا وحبيبي. إنت ما تستاهلش مننا كده. أرجوك غيّر طريقتك، كلنا هنروح في داهية. مش هانسى حضنه ليّا في اللحظة دي. قاللي أنا عامل الشركة دي عشان لحظات زي دي يا خالد. أكيد أنا صح، حتى لو خسرت فلوس، مش إنت بس اللي كلمتني من امبارح، أكتر من واحد في المكان، ودي عندي بالدنيا، إنكم عايشين كأنه بيتكم وهمّكم وحياتكم. الفلوس بتيجي وتروح، لكن البشر حاجة تانية، هنطلع من الزنقة بكره أو بعده، لكن أنا طلعت بيكم من النهارده. مجنون هو أكيد، لكن الطيور على أشكالها تقع. في نفس اليوم كنت باعيد الخطة بتاعتي بالكامل، وبأعمل ضعف الأهداف وفي زمن أقل. هنعملها إن شاء الله. وفي نفس اليوم كنت قاعد مع الزميل صاحب النتيجة والأجازات، بنعيد التخطيط ونحوّلها من قطاع عام لقطاع خاص وأعمال بجد. وكانت سنة من أعظم ما يمكن. فريق من 7 أفراد عملوا شغل بتاع 70، والبني آدم فينا كان بيعمل عدد أيّام شغل مع العملاء لا

يقل عن 600 يوم، يعني فعليًّا شغل اليوم الواحد بيتعمل في ربع يوم. ما تسألنيش إزّاي.
المعادلة ما تجيش بالورقة والقلم. لكن تيجي بالحب. مش هزار على فكرة. حبنا للراجل الكبير خلّى كل واحد فينا ينحت في الصخر. حتى الجدع الطيب بتاع الأجازات. عملها وانتحر تقريبًا، وفي آخر السنة كان سايب الشركة ورايح شركة عالمية، بالسمعة الحلوة اللي اكتسبها معانا. راح هناك وبقى حوت كبير، تخيّل إنت لما تكون محترف ومنتج وكمان نصّاب. الشركات الكبيرة بتحب الجداول والحركات، والأعذار ساعات كتير ليها قيمة أكبر من النتائج. اعتقادي إن الراجل الكبير كان فرحان من جوّه. من ناحية شاف واحد من ولاده ناجح وسعيد، ومن ناحية تانية شال من على أكتافه عبء القلق على عضو مش منتج قوي.
الكوميدي في الموضوع إن الراجل الكبير حاول يقنع صاحبنا يقعد. بجد وبذمة. فاكر يومها إني دخلت له وقلت له إنت مش طبيعي! ربنا بيوفر لك فلوسك وإنت مصرّ تضيعها. قاللي أصله طيب يا خالد.. طيب.. الطيبة عمرها ما فتحت بيزنس لوحدها. معاك إنت بس ربّك بيسترها. خمس سنين عشتها معاه. عالحلوة والمرّة معاه.

وأنا ماشي كانت موقعة درامية، إزّاي أسيبه وهو معتمد عليّا. طلب نتقابل في قعدة أخيرة، رحت وأنا شايل همّ الحوار والضغط، وسبحان الله يا أخي، الراجل كالعادة بيحرجني ويجبرني على احترامه. لقيت القعدة كلها تخطيط لمستقبلي في الشركة اللي أنا رايح لها. نصائح عملية وإعداد للمفاجآت ومعلومات عن كيفية التعامل مع المحترفين في النصب والعصابات. إيه يا أخي جمالك ده، والرد الجميل كالعادة، مش هاجبرك تقعد معايا يوم غصب عنّك، هاخسرك في الشغل لكن عايز أكسبك طول العمر. الباقي كله كان بكاء وشحتفه، وتاني يوم كنّا زيّ ما احنا، أصحاب وأخوات وحبايب. ما عدّاش عليّا موقف صعب في حياتي إلّا وكان هو جنبي، ومفيش مرة احتاج مني نصيحة أو رأي إلّا وكنت معاه ووراه. نادرة جدًّا الناس بتاعت القلوب دي، المحترفة بإحساس، اللي بتبني عشان بكره ويمكن كمان عشان آخرتها قبل دنياها. في حياتك كلها ممكن تقابل واحد ولّا اتنين من دول. لمّا تقابلهم، أرجوك ما تسيبهمش..

16- لمَّا تحارب بالأدب عشان حقك.. التصفية

كان مشروع كبير ومعقد للغاية. الشركة أجنبية، وبقالها 15 سنة مشغّلة ناس على قوة شركة عمالة، بالبلدي دي عشان ما يشيلوش مسئوليتهم ويخلصوا منهم وقت ما يحبوا. والناس دي ليهم حقوق وفلوس، وعمرهم ما هيعرفوا ياخدوها. وبيقارنوا نفسهم باللي زيّهم شغالين في الشركة الأجنبية بنفس الوظايف. والمشكلة كل سنة بتتفاقم، لما ييجي مدير ويعرف يسرسب كذا واحد منهم جوه الشركة الأجنبية، وغالبًا اللي بيدخلوا دول بيبقوا أقل ناس تستاهل، اللي همّا بيشتغلوا قليل ويتخانقوا ويبلطجوا كتير، واللي همّا ليهم أصحاب ومعارف كتير. وتبدأ الإضرابات والمظاهرات، والموضوع يقف تاني.

لما دخلت كان ده أول لغم جاهز للانفجار، والشركة الأجنبية كانت كمان داخلة على مرحلة تصفية عمالة قريب، يعني مش وقته خالص. بس أنا قلت لنفسي إمّا دلوقتي أو ننسى الموضوع تمامًا. كالعادة بدأنا بالخطة وفريق العمل، قلنا مش هينفع نعين كل الناس، يبقى لازم نحطّ معايير منطقية. لازم نقسم الوظايف لوظايف أساسية بالنسبة للشركة، وهي دي اللي لازم تدخل في التعيين، ووظايف خدمية ومساندة، ودي اللي في الآخر هتتلغي. وقلنا إننا هنجيب موافقة على الوظايف مش الموظفين، ولما نجيب الموافقة على الوظايف، نبدأ نقيّم الناس اللي بيشغلوا الوظايف دي. حطينا معايير لتقييم الموظفين، أداء ومهارة وأخلاق وسلوكيات. عرضنا الموضوع على المديرين الكبار. ضحكوا علينا وقالولنا في المشمش، ما تضيعوش وقتنا ووقتكم. ماعنديش أنا الكلام ده. قلت لهم ده حق الموظفين الغلابة علينا، وكمان عشان الطلعة الجاية ليهم هتبقى دمار. افتكروا إنكم بتوعدوهم بقالكم سنين. ممكن أسيبهم عليكم. وافقوا على مضض.

لكن البدايات كانت مؤلمة جدًّا. قبل ما نتكلّم في أي معايير لقينا قوائم جاهزة بالأسماء مين يقعد ومين يمشي. يا رااجل! من أوّلها وسايط وتظبيط! نزّلت منشور لكل المديرين؛ الاختيار هيكون بناء على لجان من كل الإدارات، وبناء على تقييمات السنين اللي فاتت، عشان حضراتكم تفكّروا قبل ما تطلبوا تعيين واحد واخد أقل تقديرات وعامل أكبر الكوارث.

رجعنا لنقطة البداية، وبدأنا التقييمات والتعريفات في كل قطاع وكل إدارة. 500 وظيفة وحالة في 7 قطاعات. والموافقات لازم تيجي من 7 مديرين كبار بره مصر في سويسرا. عملنا الحسابات والخطة والعرض. وحسبنا التكاليف المالية والتبعات القانونية. ورسمنا مسار التطبيق عشان ما يحصلش مشاكل. وحسبنا التعويضات للي ماشي بالقانون. وبدأنا الرحلة الطويلة. لو أحكيلك عن كم المرات اللي اتخانقنا فيها واحنا بنراجع الأسماء، والمفاجآت لمّا تكتشف إن فيه مدير شايف إن وظيفة عامل النضافة مهمة للإنتاج أكتر من العامل الفني اللي واقف على الماكينة، ده غير المدير اللي اختار 8 مع بعض من نفس العيلة عشان يتعيّنوا، وزميله الجميل اللي جاب أسماء ناس أساسًا مش شغّالين معانا ولا جوّه ولا برّه. إبداع والله. بس إحنا مصرِّين ومصححين، ومستعدين نراجع مرة ومرتين.

بعدها جت المرحلة الأصعب بتاعت الفلوس؛ فرصة تتعرف على المديرين من قريّب. تضحك وإنت شايف مديرين عايزين يضمنوا حقوق اللي ماشي قبل اللي قاعد، وقلبك يوجعك وإنت شايف غيرهم بيساوم ويفاصل عشان يبان إنه وفّر فلوس للشركة. في الآخر وصلنا للقائمة النهائية، وخلّينا كل مدير يمضي إنها اختياراته، وإنه عمل كل الاختيارات بناء على المعايير العملية والاحترافية والأخلاقية. بطريقة ما وسبحان الله وصلنا في الآخر. خلصت في زمن قياسي 5 شهور. قدمنا المشروع بالكامل للأجانب، وأخدنا الموافقات ووفّرنا الفلوس، وبدأنا التطبيق وتعيين المقبولين وإبلاغ اللي ماشيين. وفي يوم في اجتماع مع مجموعة هتتعيّن، وبعد ما شرحت اللي هيحصل، لقيت واحد من الواقفين بيقوللي عايز أعرف ليه أنا هأمشي. في الأول دخلت فيه شمال. قلت له مش مفروض تكون مع المجموعة دي، اللي هيمشوا بنبلّغهم في اجتماعات منفصلة. فاجئني باعتذار مهذب وتبرير إنه كان خايف ما يقابلنيش بعدها. وخرج من المكان. هزّني أدبه وأسلوبه المحترم. خلّصت بسرعة وطلبت أقابله.

حسام. شغّال أمين مخزن. اختاروا تلاتة من اربعة واستبعدوه. ولمّا سأل مديره كان الرد المعتاد إنه مش قراره، الوحشين بتوع الموارد البشرية همّا أصحاب القرار. شياطين الإتش آر. وأنا عامة عندي قاعدة في الموضوع ده؛ اللي يجيب سيرة الإتش آر بيروح النار. في لحظة جبت مديره وقمت معاه بالواجب، فهّمته

إن المدير القوي هو اللي بياخد مسئولية القرار، لمّا يرميها على غيره يبقى المرة اللي بعدها بيفقد سلطته وقوته. اعتذر رسمي وبعتلي بيعترف إنه أخطأ في الاختيار. بعد إيه يا ابني، مش هينفع نرجع في كلمتنا مع اللي اخترناهم. رجعت لحسام، احكيلي يا ابني عن نفسك. الوحيد في الأربعة اللي معاه شهادة. مش شهادة واحدة، طلع خريج ثانوي صناعي، وبعدها دخل في كورسات كمبيوتر وعلّم نفسه البرمجة، وكمّل تعليم مفتوح وبيخلّص آخر سنة في حقوق. إيه يا ابني الجمال ده. إزاي يمشّوك ويسيبوا البلاوي التانية. قلت له ابعت لي كل المستندات بتاعتك. فكّرت أشوف له شغل بره، الولد يستاهل أحسن من أمين مخزن، ورغم كده راضي وقابل.

رجعت للفريق بتاعي وقلت لهم فيه أي وظايف ممكن يدخل فيها. قالولي ممكن عندنا في إدارة المصنع، ودي مش محتاجة أي موافقات من بره. إنت كفاية. مضيت ورقه في نفس اليوم. الولد ما صدقش. كلمني مرة واتنين. ما رديتش عليه. مكسوف أنا. منه ومن نفسي. كنا هنسيب واحد زيّه يخرج مظلوم بسبب قلة ضمير مديرين وإهمال مننا. في آخر السنة كنا في زيارة للمصنع مع الرئيس التنفيذي للشركة في العالم. الراجل قال شعر في التنظيم والنواحي الإدارية. وأنا قلبي بيرقص وأنا عارف إن حسام لاعب دور كبير في القصة دي. آخر يوم ليّا في الشركة كان آخر واحد يسلّم عليا. لو أقولك على الفخر اللي في عينيه. وهو كمان عارف اني فخور بيه. بيشكرني وبأعتذر له. خايف وباسأل نفسي ظلمنا كام واحد زيّ حسام. والله عملنا على قد ما نقدر. وكل مدير مسئول عن اختياراته وضميره. بس دلوقتي وقتك يا حسام. احترامي ليه. حقك بتسعى ليه بالأدب والاحترام. بعدين ربك بيسبب الأسباب. الله عليك يا حسام..

17 - فرصة تانية..

الدنيا ما بقيتش زي زمان، في أي مكان. والخليج ما بقاش أرض الأحلام، فلوس ودلع ومزايا وتحويش. بقى صرف وضغط وتحديات وصراعات، وأهل بلدك أصعب في التعامل من الأغراب. ياسر ماكانش قادر خلاص. بعد 10 سنين كان عايز يرجع من الخليج وبأي طريقة. تعب وعيلة وضغوط منافسة هناك. وولاده دخلوا في سن المراهقة، وما أدراك ما المراهقة هناك، مجتمعات مفتوحة وفيها كل الإغراءات، للمراهقين الصغيّرين وكمان الكبار. وقت الرجوع للوطن، وخصوصًا في وقت الوطن بينادي على ولاده المحترفين. والراجل فنيًّا وعمليًّا وإنسانيًّا ممتاز، والسيرة الذاتية منوّرة بخبرات تقيلة وأسماء شركات كبيرة.

في يوم لقيت رسالة منه على الميل، أنا في أجازة في مصر لمدة أسبوعين وعايز أقابلك وأعرّفك بنفسي، سمعت عن التغيير الكبير اللي إنت بتعمله، وإن شاء الله أشتغل معاكم. عجبني أسلوبه والثقة، قابلته، الراجل جامد ومحترف، لكن القلق كان على الشخصية. طيب وجدع وخدوم ومتواضع. والنوع ده ياكلوه في الملعب الصعب بتاع الصناعة ومحترفين الألعاب. صعب يا ياسر، إحنا بالذات ملعب أسود، لو ما قتلتش هيقتلوك. قاللي أنا محتاج الوظيفة ومحتاج أرجع، ومستعد أموّت نفسي عشان أثبت إني كويّس وقدّ الثقة. حبّيته، وقلت له هتقعد مع الراجل الكبير، زي تعميد النار كده، لو عدّيت يبقى خير.

الراجل الكبير بيحب دايمًا يعمل مقابلة نارية، تقريبًا يولّع في اللي قدّامه، ولو صمد يوافق عليه. الراجل الكبير قال له عندي مشكلة معاك؛ إنت خفيف قوي وهياكلوك، نفس اللي سمعه مني. ياسر وعد وقال أنا جامد جدًّا وهاعرف أتعامل. يمين شمال اتفقنا ندّيله فرصة. مضينا العقد وبدأ يشتغل والأيام الأولى كانت غريبة جدًّا؛ ساعات نسمع عنه انه قمة في التواضع وساعات نسمع انه عنيف وعدواني جدًّا. بدأت أربط بين اللي بيحصل وبين كلام الراجل الكبير معاه. جبته مرة واتنين وتلاتة. قلت له إنت مش محتاج تثبت إنك جامد بالعنف الزيادة. ومرة واتنين وتلاتة يقول حاضر ويرجع لنفس الأسلوب. وزاد عليها كمان خوف متصاعد من كل اللي حواليه، القديم والجديد. غلبان هو، وعنده حق. كانوا بيلاعبوه بكل ما عندهم، وكل شويه لغم ينفجر. وعشان ينتج ويطلع قماش، بدأ يسيب كرسي الإدارة، ويشمّر وينزل الملعب. تدريجيًّا بقى فواعلي. والإدارة مش كده.

الشغل بيكمل بس بالطريقة البلدي، اللي إحنا جايبينه عشان يبطلها ويشتغل منظومة واحتراف. لقينا نفسنا داخلين على نهاية شهور الاختبار. الراجل الكبير قاللي ياسر مش نافع. وأنا قلبي وقع في رجلي. عارف ظروفه ومشاكله، مراته وولاده على وصول. هيبقى في الشارع، وعارف كمان إنه مش ذنبه قوي، مش طبيعي إن حياتك كل يوم تبقى محاولة تفادي ألغام وتحليل لكل كلمة من فريقك عشان فيها سمّ قاتل. فكّرت ألف فكرة، ورجعت للراجل الكبير وقلت له كمان 3 شهور اختبار. وعشان نعملها لازم بموافقته واختياره، يستقيل ويسيب ويرجع بعقد جديد. صعبة بس ممكنة، عايز أضمن حق الشركة ومش عايز أبهدل ياسر كمان. الحمد لله الراجل الكبير وافق. لكن الموقعة كانت معاه هو. جبته في مكتبي وقلت له. اعتبرها فرصة تانية يا ياسر، وأنا معاك وفي ضهرك. صمت وبعدين ذهول، وبعدين انفعال وبعدين انفجار وبعدين انهيار. مهرجان عواطف وانفعالات. ونتفق ونختلف ونتخانق ونقوم نحضن بعض. في الآخر قال لي ادّيني فرصة أفكّر. قلبت أنا على الوش التاني بتاع الصرامة والحسم، عارف أنا موضوع التفكير ده، بيبقى فيه محامين وناس بتسخّن وتصطاد في الميّه العكرة، وأنا يا ابني مش عايز الريحة تفوح والكبير يعرف، ساعتها ربع الفرصة اللي قدّامك هتبقى سراب. بس ماشي، اختيارك، قدامك لبكره الصبح، يا تمضي يا تبقى بره. واحنا خلاص بعتنالك رسمي بإنهاء الخدمة وعدم التجديد، الحركات البلدي بتاعت شئون العاملين، يعني إنت دلوقتي في الشارع يا ياسر، ارجع بقى للبيت.

خرج تايه وعينيه زايغة، وأنا قلت للولاد بتوعنا خلّيكو قريبين منه، خوفًا عليه ومنه. بتبقى صعبة قوي لما تكون في موقف مع وضد، كأنك بتحارب نفسك. وفعلًا قضينا بقية النهار والليل في ألعاب معاه، ما بين مكالمات تهدئة وزرع ثقة، ومكالمات وحوارات وإنذارات بعدم إثارة الشغب والمتاعب. تاني يوم الصبح كان باعت للراجل الكبير شبه تهديد، ظلمتوني والإجراءات غلط وهآخد حقي. متخيّل موقفه ومتعاطف معاه، بس مرة واحدة الإدارة تنكسر تبقى النهاية، عندنا حالات كتير مستنيّة الانكسار. الموقف اتكهرب تمامًا. قلت لهم محدش يكلّمه، الطلعة دي عليّا. وكانت مكالمة نارية في حياتي ما عملتش زيّها، كلام من غير قلب وشبه تهديد بإنه هيدفع التمن غالي. لو عايزين نقضي عليك كنا عملناها، ولسّه ممكن نعملها،

وممكن عمرك ما تشتغل في مصر تاني. يا رب تفهم يا ياسر، أنا شايل كفني معاك، وواخد المسئولية قدام الراجل الكبير عشان خاطرك. مكالمة عصيبة، وأنا أساسًا مش شايفه قدّامي ولا عارف تأثير كلامي عليه. شويّة شويّة هدي، وفي لحظة نادرة قاللي أنا مش عارف أعمل إيه.. قلت له سيبك من الدوشة وتعالى مكتبي وأنا ملتزم معاك إني أحميك. لما جالي كان في النزع الأخير للمقاومة، مضى كل الأوراق وهو بيستحلفني إني أقف جنبه. مش محتاج تحلّفني يا ابني، حاطط نفسي مكانك والله، بس نشتغل صح بقى. في كل مكان هيلاعبوك ويحاربوك، وفي كل مكان عايزين منك نتايج ونظام واستدامة. التحدي الحقيقي إنك تعملها في نفس الوقت، تبني منظومة وتحقق نتايج، تحارب وتنصّف وكمان يحبّوك. تشمّر وتنزل الملعب وفي آخر اليوم تلبس بدلة البيه وتتكلم استراتيجيات. مش سهلة. بس الكبار كده. وإنت كبير، وأنا معاك إن شاء الله. خرج قلقان بس متحمس. وكلّمني نفس الليلة 5 مرات، وكل مرة باردّ واجاوب على نفس الأسئلة، واكرّر نفس الإجابات، واعيد نفس التطمينات.

كان لازم ارد، عشان يطمئن إني فعلًا معاه. اتفقنا على إنه قبل ما يعمل أي حاجة كبيرة يرجع لي ، ونتناقش ونتفق. واتفقنا إنه يعمل زي اللي كان بيعمله برّه مصر، اجتماعات دورية وأهداف وخطط لفريق العمل بتاعه، وتقارير محددة عن الإنجاز والمشاكل ومؤشرات الأداء، كل واحد يشيل الليلة بتاعته. وبدأ يشتغل، ويستمتع، ويوفّر طاقة وحرقة دم، ويصطاد أخطاء غيره وياخد القيادة صح. في الأول كان بيرجعلي في القرارات والتحركات، وشويّة وخلاص امتلك القيادة والسيطرة، وفي أسبوعين بالظبط كان عامل شغل ما عملوش في الشهور التلاتة الأولى. وكل يوم بيعدّي إحنا كلنا بنهدا ونتفائل معاه وله.. كمّل واستقر وأنتج يا ياسر. نتقابل ويسألني الراجل الكبير مبسوط؟ وأنا اضحك واقول له إنت عارف أكتر مني دلوقتي، يا سلام يا ياسر لو كنت عملتها من الأول. بنرجع مصر ونقول بلاش نطبّق اللي اتعلّمناه ونجحنا بيه برّه، عشان وضعنا مختلف. ولمّا بنعمل كده بنفشل ونغرق، ونغرّق البلد معانا، ونخلّي وضعنا مختلف بجد. درس صعب يا ياسر، بس عدّى. ما تخافش، اعمل اللي عليك، وطبّق اللي اتعلّمته.. وربك ليه جنوده اللي هيسخرهم ليك..

18 - لمّا الإخوان طلبوني..

كنت راجع متحمس وعايز اعمل مليون حاجة للبلد، عشان عارف البلاوي اللي إحنا فيها قد إيه. متفائل كنت ولا زلت، لكن كل اللي حواليّا كانوا شايفين اني مجنون، واحتمال كبير أكون منافق أو صاحب مصلحة. كنت شغّال في واحدة من أكبر شركات العالم، وبعد أربع شهور بس كنت واخد جائزة خاصة لأفضل نجم صاعد في كل الأسواق العالمية، يعني مستقبل شكله مُبشِّر وكله جميل. بس تعمل إيه في القلب وما يريد.

من أول يوم ثورة واحنا كلنا برّه البلد هنموت ونرجع. عارفين البلاوي، بس عارفين إن كل كارثة وكل بلوى معناها فرصة للتغيير والنجاح. وبعدين الصورة من برّه كانت رومانسية قوي؛ الناس كلها بتحب بعض، وكله بينضّف الميدان ومعاها يشيلوا كل الأحقاد اللي جوّه النفوس، صورة لمصر جديدة كلها بتحب بعض. وقت ما قررت أرجع كان فات سنة، والصورة كانت أكثر سلبية وسواد. مع كل مليونية كانت غصّة جديدة في القلب، ومسمار زيادة مصدّي في نعش الأمل والرجاء. كان الإخوان مسكوا البلد. بس أنا برضه ما كنتش خايف. واحنا برّه كنّا بنقرا ونسمع ونشوف علامات كلها مبشّرة. كل البرامج بتستضيفهم، وكل القوى السياسية والرسمية بترحب بيهم. والرسالة القوية إن الإخوان جزء من الثورة وان الإخوان اتغيّروا خلاص. ماشي. مش عيب. أحلامنا كانت كبيرة ومجنونة وساذجة. وأنا أساسًا باعشق عبد الناصر، مع الاعتراف بأخطائه العظيمة وأعماله العظيمة، وعارف عن تاريخ الإخوان الأسود معاه، لكن كنت مستعد أصدَّق أي حاجة وقتها، أكيد كلنا كويّسين وحلوين. رجعت، والوضع كان أكثر سوادًا مما تخيلت، والناس في كل مكان بتقوللي إيه اللّي جابك هنا، وأنا كمان بدأت أفكر نفس التفكير. قرارات الإخوان كانت رديئة جدًّا، وتفسيرها الوحيد هو الغرض والمرض. وفي يوم لقيت مكالمة من راجل شغّال في مجال التدريب والتطوير ، عنده شركة صغيّرة قوي، بس دايمًا متحمس ومقبل على الحياة. قاللي فيه فرصة نقعد مع الناس في الرياسة ونطرح أفكار ومشروعات. وهمّا عايزين يقعدوا معاك. يا راجل! بس همّا عارفين اني أنا ناصري، يعني أبعد ما يكون عن فكرهم. قاللي وأنا كمان ماليش دعوة بيهم (طبعًا طلع تبعهم جدًّا بعد كده)، أصلهم عايزين ينفتحوا على كل الأفكار. خير وبركة.

بعد خوف مبدئي، كلّمت ناس أصحابي شغّالين كلهم في شركات عالمية ومحترفين إدارة، قعدنا وجهّزنا أفكار من وجهة نظرنا عملية وعبقرية عشان تشغيل أكتر من مليون شاب. وتوكلت على الله ورحت الرياسة. دخلت على مجموعة من الناس أول مرة أشوفهم. ساعة في انتظار مستشارين الرئيس. ساعة مقلقة ومُقبضة. كل واحد فيهم بيحكي حكايات عن مواقف بهدلوا فيهم ناس محترمة ودكاترة جامعة ومسئولين كبار سابقين. طول عمري بأحب الغلابة وشايف نفسي منهم، بس باقلق جدًّا من عمليات التشويه والبلطجة الجماعية. والانتقام المبني على الطبقية. حسّيت كأنهم بيخلّصوا ثأر قديم وبيطلّعوا عُقد دفينة. ماشي، شوية وهيهدوا، بس يا رب ما تكونش زي الثورة الفرنسية كده، يهدوا بعد ما يحرقوا نص البلد. وبعدين دخل المستشارين، كلهم نسخة طبق الأصل، الدقن والابتسامة الصفراء المستهترة بالضيوف والواثقة من السيطرة. توقعت انهم يسمعوا مننا إحنا مين أو أفكارنا إيه، لكن اللي حصل إنهم كان عندهم جدول.

مقدمة الأول عن تاريخهم في الكفاح والتضحيات، وبعدين حزنهم من سوء الفهم اللي بيحصل والناس اللي بتهاجمهم، وبعد المقدمة الرومانسية سمعت أغرب طلب. عايزينك تساعدنا في رسم رؤية لشخصية الشباب المصري كمان 10 سنين. أفندم؟ رؤية إيه حضرتك، سعادتك مش شايف الشارع المصري مولّع والشباب كله عواطلي ومبلطج في الطرقات؟ الرؤية دي هتبقى حقيقة لمّا نشوف المليون شاب دول بيشتغلوا ويمتلكوا مشروعات صغيّرة بتاعتهم، وبيعملوها بقلب وحماس وجدية والتزام وإنتاجية ودقة. هي دي شخصية الشباب المصري اللي إحنا عايزينها. وقّفني بكل برود وقاللي لا حضرتك، ما تشغلش بالك بالمشروعات وغيره. إحنا عندنا ناس شغّالين عليه. قلت له مش باين خالص. الناس دي فاشلة تمامًا ومفيش نتيجة على الأرض، حضرتك مفيش مشروع واحد في البلد إلّا مشروعات النهضة، ودي ما طلعتش بره مقر المرشد. قاللي ما تقلقش، لسّه هنسيطر على مفاصل الدولة وبعدين كله يبقى تمام، إحنا معانا خبراء محترفين. معلش آسف تاني، مضطر أوقّفك تاني، طبعًا كنت بأقولها وصوتي بيرتعش، مش بطل أنا، على قدّي وخايف ومرعوب خصوصًا من كلمة مفاصل الدولة دي. حضرتك أنا أعرف واحد صاحبي

معاكم، الراجل خبير في الاقتصاد، وحضراتكم اخترتوه يكون مسئول عن المشروعات الصغيّرة، حاجة عمره ما سمع عنها. طب إيه؟ ولا كأني قلت حاجة. رد بارد للغاية، كل شيء جايز، وبعدين كمّل بكل ثقة، إحنا عارفين الشخصية ومواصفاتها، مش منتظرين توصيف لها. أمّال حضرتك عايزني في إيه بالظبط. عايزينك تشارك في عرض الشخصية وتسويقها. يا سلام، يعني حضرتك مش عايز مني أي منطق أو تحليل أو تصوّر أو أي حاجة؟ منظر يعني، عشان الصورة تطلع حلوة. آسف. مش هاقدر.

الجو تكهرب. ليه بس كده يا دكتور. حضرتك خبير استراتيجي ويهمّنا دورك في المنظومة، قبل ما نطرح الموضوع للحوار المجتمعي. كمان؟ حوار مجتمعي. كملت كده. بكل هدوء وابتسامة صفراء انسحبت. قلت لهم ربنا يوفّقكم إن شاء الله. بس أنا في المرحلة دي مش بتاع استراتيجية ولا غيره. أنا فواعلي. عايز ابني بلدي. وطريقنا غالبًا مختلف. خرجت قلقان وخايف. وبرضه بأحمد ربنا. مش عايز أكون ديكور. ومرعوب من ناس واخدانا في سكة مش حلوة خالص. حلم الثورة قلب كابوس.. تاني يوم كلّمني الشخص اللي كان الوسيط، حكيتله بكل غضب وحزن، وهو كمان زعل جدًّا، وقاللي إنه هم كمان مستحيل يتعامل معاهم، محترم قوي يا أخي. وقتها ما كنتش مستوعب موضوع الخلايا النايمة، عرفتها بعد سنة، لمّا الثورة قامت والإخوان طاروا، ولقيت الراجل ده ومراته وولاده واخدين إقامة ووراها جنسية أمريكاني، عادي كده، اللي هي الفيزا الأمريكاني اللي الأمريكان نفسهم مش بيعرفوا ياخدوها. أسبوع بعدها وطلعت كتبت على الفيس بوك عن تجربتي مع الرياسة، بكل واقعية وصراحة. كنت عارف إني باقطع كل الحبال. بس الحقيقة إنها كانت مقطوعة من الأول، أنا بس كنت متفائل لدرجة الغباء.. ماكانش زمن التفاؤل خالص.. أيّام صعبة..

19 - لمّا قلبوا عليّا في السعودية..
عن الغرور..

دورة تدريبية في السعودية.. جامد أنا في الحاجات دي. شغلتي سنين طويلة. واخد شهادات عالمية وتراخيص مفترية، وعندي خبرات مالهاش مثيل، من حقي يعني اكون مغرور. والشركة السعودية كبيرة قوي والحاضرين مديرين كبار، بس على مين. كالعادة، ولأني باعمل مليون حاجة، سافرت وأنا مش مستعد قوي. قلت الموضوع بسيط وياما عملته، هاظبّط الشباب بكل سهولة، بعد فترة من العمل، ومع تكرار النجاح، تبدأ تفقد الإحساس بالقيمة، وكمان بتنسى إنت بتعملها إزّاي، لغاية ما تقع في المحظور.

بدأت الدورة، ماشية معقول، عادي يعني، وأنا أساسًا مش مهتم بأي حاجة غير نفسي، عايز اعمل عمرة، ومحتاج الاقي مكان بيذيع مباريات بطولة أفريقيا عشان ماتش الأهلي، الدورة التدريبية دي أمر مفروغ منه. أول يوم عدّى، وأنا أساسًا مش شايفهم، حتى الغدا باسيبهم والعب في الموبايل. بس بقيت الاحظ حاجات مش حلوة. اللي بيلعب في المحمول، واللي تقريبًا نايم، واللي بيطلع يروح الحمام يرجع تاني يوم. فيه حاجة غلط. بس الطبيعة البشرية بتخلّينا نشوف الغلط عند غيرنا بس، وده اللي حاولت اعمله في الأول. بقيت افكّر واقول مفيش فايدة في العرب، وإيه اللي حصل لأحفاد الرسول عليه الصلاة والسلام، وطبعًا همّا عشان عندهم فلوس مش حاسّين بالقيمة خالص. بدأت أنا كمان اقلّل في الكلام، مش لازم اشرح زيادة، وممكن الغي ألعاب وتدريبات متطورة ونماذج محاكاة، على قدّ فلوسهم، ما يستاهلوش. في نص اليوم التالت ما قدرتش. بعد أول بريك ومع أول واحد بيلعب في المحمول، انفجرت فيهم، وادّيت محاضرة طويلة عن الالتزام واحترام القيمة، وإزّاي انهم عندهم فلوس وماعندهمش أدنى قدرة على استغلالها في الخير. ومع هجومي عليهم استعرضت قدراتي وازّاي همّا المفروض يحسّوا بيها ويستفيدوا منّي. في اللحظة دي أبواب جهنم فتحت في وشّي.

بصراحة إحنا كنّا فاكرينك أجمد من كده. إيه اللي إنت بتقوله ده. كله كلام قديم ومكرّر. وبعدين الأمثلة اللي بتقولها مالهاش دعوة بالبيئة السعودية خالص. إنت جيت هنا غلط. غسلوني وبهدلوني، كلام عمري ما سمعته في حياتي. كان قدّامي طريقين. الأول إني اقلبها موقعة ودم، والغي الدورة كلها ولا يهمني. مين دول عشان يهاجموني. وأكيد الغلط من الإدارة بتاعتهم اللي ادّتني معلومات غلط عنهم. والطريق التاني إني اسكت. واسمع. وأواجه الحقيقة. وأعترف أني مقصّر. ما حضّرتش كويس. والمادة شكلها بقت قديمة ومستهلكة. وقفت ساكت دقيقة، هتوجعني بس مالهاش حل. الاعتراف أول خطوات العلاج. رفعت راسي وقلت لهم كلامكم على راسي يا شباب، ليكم حق في كل حاجة، الغلط من عندي، كنت فاكر إنكم ما اخدتوش الكلام ده قبل كده. خلّونا نعتبر الكورس هيبدأ من دلوقتي. قولولي تاني انتم مين ومناصبكم إيه بالظبط، وطبيعة عملكم يوم بيوم، واحكولي عن كل الدورات التدريبية اللي حضرتوها قبل كده.

الاعتذار كان له فعل السحر، أصل الاعتذار من شيم الكبار. وحلو لمّا تحسّس الناس بأهميتهم، لمّا بدأوا يتكلموا عن نفسهم الحماس زاد ودخلوا في المود. مع الهدوء والتقبّل دخلنا في الألعاب بتاعتي أنا بقى، كنت جاهز بحاجات جديدة لنج، أحدث ما هو موجود في عالم الإدارة، حاجات أنا عارف إن عمرهم ما سمعوا عنها. بدأت اسألهم عن خبرات ومهارات ونظم إدارة متطورة، وكل ما اقول حاجة جديدة عليهم، ألاقي العيون تلمع. محدش مش عايز يتعلم حاجة جديدة. بعد ساعة حماسية وممتعة وصلنا لبريك الصلاة والغدا. فورًا رجعت لجهاز الكمبيوتر بتاعي، وبدأت اطلّع مادة مختلفة تمامًا، فيها أحدث مواد الإدارة والموضوعات اللي عينيهم لمعت معاها. وبالمرة كلمّت بنتي في مصر وطلبت منها تفتح كمبيوتر تاني في البيت، وتبعت لي حاجة واتنين وتلاتة. في نهاية الساعة كنت جاهز بمادة اليومين ونص الباقيين.

دخلوا الشباب، واستلمتهم بتدريب حي، تدريب أكيد محدش فيهم يعرفه ولا يقدر يخرج منه كسبان. مش سهل أنا برضه، خصوصًا بعد العلقة اللي أكلتها منهم. قاعدة أساسية، أول ما اللعيب بيخسر قدّام الكل، بيبقى حاطط كل تركيزه بقية الماتش عشان يعوّض ويكسب تاني. وده اللي حصل. مع كل ماتش صغيّر وتدريب عملته، كانوا بيندمجوا ويعيشوا أكتر مع الدورة التدريبية. وكمّلتها بإني بالليل سهرت على النت، وجبت موضوعات كتيرة عن السوق السعودي، ومشاكل أكبر الشركات في المجال بتاعهم، والشكاوى المتكررة منهم، ومشاكل الموظفين بتوعهم. تاني يوم اللي بيهاجم بقى بيدافع، وكل واحد بقى بيحاول

يثبت قدراته ومهاراته. في البريك بقيت اقعد واتغدّى معاهم. مش عايز اقولك على العلاقة الإنسانية اللي بتتولد في لحظات، مش أحسن منهم أنا، كلنا ولاد تسعة. قبل نهاية أول غدا معاهم كانوا مرتبين ليّا موضوع العمرة كمان، يا جمالك يا سعودي. الدنيا بقت وردي، الموضوع بقى فعلًا ورشة عمل غنية وعملية. والشباب اللي كان بيزوّغ في نص النهار، بقى مكمِّل معايا لغاية الساعة خمسة، والأجمل إن نصّهم بقوا يكمّلوا بسهرة مسائية في الفندق على شاي وشيشة وقهوة، عشان نتناقش في موضوعات وخبرات عملية وحتى تطويرهم الشخصي. وبالمرة فتحنا في الملفات الشائكة، عن مصر والسعودية، والعرب والتاريخ، وقلنا اللي في القلب.

على فكرة كلام بتاع مصر الأخ الأكبر ده حقيقي، بس للكبار فقط. الأجيال الجديدة ما شافتش الكلام ده، من التمانينات شافوا مصريين من نوع تاني جايّ عندهم، جايّين ياكلوا عيش وخلاص، من غير رسالة تعليم وتطوير ونقل معرفة، مش نفس المهندسين والدكاترة والمدرسين اللي كانوا خير سفراء لمصر زمان. والسعودي اللي كان بييجي مصر من نص السبعينات كان بيلاقي مصر تانية، بتاعت الشقق المفروشة والليل وآخره. والشباب اللي طلع في التسعينات والألفية الجديدة شاف مصر بتاعت الأفلام، الانحراف والفساد والبلطجة واللحم الأبيض اللي تمنه رخيص قوي. للأسف بنهين نفسنا جامد. كنت فخور بتغيير الصورة ولو على قدّي، وباحمد ربّي إن كل واحد فيهم فاكر على الأقل واحد مصري محترم تعامل معاه في حياته. آخر يوم وآخر محاضرة خارجين بالأحضان وبجو حب وحماس وثقة وعرفان وتقدير. وانا باضحك على روحي وباحمد ربّي. كان كابوس، والحمد لله قلب حلم جميل. باقول لنفسي ما تستهترش. وما تعاملش كل الناس حاجة واحدة. وحسّ بالقيمة قبل ما تطالب غيرك إنه يقدّرها.. الحمد لله..

20 - لمّا قلبك يموت؛ الصحرا..

في الصحرا قدّامك اختيار من اتنين؛ إما إنك تكون قمة في الجنون، أو قمة في الإيمان. كنت صغيّر ولسه مخلّص جامعة، ومفيش شغل في القاهرة خالص. قضيت 7 شهور بادوّر على شغل من غير واسطة، وفشلت طبعًا. أبويا الله يرحمه ماكانش بتاع وسايط، ووالدتي نفس النظام، رغم مناصبهم المحترمة ولله الحمد. الواسطة جت غصب عنهم، راكب الأسانسير مع واحد جارنا وصاحب ابويا، طلع رئيس شركة بترول كبيرة، وادّاني كارت توصية قابلت بيه مسئول كبير.

المسئول كان ناقص يجيبلي شوكولاته وعسلية، الواسطة يا جماعة. سألني تحب تشتغل فين، إيه رأيك في القطاع الشمالي؟ اللي هو إيه بعد إذنك؟ إسكندرية وكده، ما سمعتش أنا كلمة كده دي، وقفت عند كلمة إسكندرية، وكل أحلامي تجسدت في الوظيفة دي، شغل على البحر وسهر طول الليل، وحب اسكندراني بقى ونعيش. مش بالظبط يعني، طلعت مش إسكندرية، طلعت كده. القطاع الشمالي ممتد لغاية الحدود مع ليبيا، والموقع في قلب الصحراء الغربية، مكان محدش داسه من أيّام الحرب العالمية التانية. موقع شركة بترول لسه ما طلّعش حاجة، والإمكانيات تحت الأرض، والعمالة محدودة وتعبانة قوي.

مدير الموقع قالها على بلاطة؛ ما تحترمنيش قوي، ممكن بكره تبقى إنت مديري لو واسطتك بقت احسن من واسطتي. اشتغلوا يا ولاد بأقل القليل، ولو قدرتوا تغشوا في الأسمنت يا ريت. كنّا لسه صغيّرين، وأخلاقنا لسه عالزيرو. طبعًا قلنا مش هنغش، ودخلنا في فيلم يومي دراماتيكي؛ نصلّي الفجر ونطلع على الموقع في عز الضلمة ووسط الكلاب الضالة والتعالب والتعابين، ونبدأ بقى نلّم بواقي شكاير الأسمنت اللي ضربت اليوم اللي قبله، عشان نعوض بيها الكميات الأقل المصروفة رسمي من المخازن. كنا مبسوطين ومتحمسين للمغامرة وفكرة العمل الأخلاقي، بس برضه كنا على أعصابنا ومتوترين وزهقانين، عيال لسه في أوائل العشرينيات، والمكان صحرا بلا نهاية، ومفيش أي وسيلة للمتعة أو الترفيه، ولا تليفزيون ولا راديو، والمحطة الوحيدة اللي بتوصل طشاش هي راديو اسرائيل (كالعادة حصار لينا بكل الوسائل). ومفيش ستات ولا غيره، الأنثى الوحيدة اللي كنا بنتغزل فيها هي الخنفساء، ونستمتع بحركاتها الرشيقة، ونقول شعر في السيقان والقوام. ظروفنا كانت صعبة قوي..

وفي يوم جمعة بقى، والدنيا هادية، ما قدرتش. كان يوم خفيف والشغل قليل، وكان عندي 10 عمال يومية تبعي، أنا اللي باقرر في آخر اليوم وأمضي على إذن الشغل بتاعهم. في اليوم العشوائي الغريب ده، تملكتني روح شيطانية عابثة، والعيال كانوا قدّامي قمة في السكينة والبلادة والاستفزاز. في لحظة طيش ندهت على اتنين فيهم وقلت لهم يا ولاد أنا بافكر انكم ما تاخدوش فلوس اليومية النهارده. لحظات صمت.. وبعدين انفجار في الشحتفة والاستعطاف، والنبي يا باشمهندس، طلباتك، أوامرك، مستعدين نعمل أي حاجة بس ناخد اليومية. كانت اليومية وقتها ولا حاجة، بس واضح إنها كانت بالنسبة لهم كل حاجة. وأنا عجبتني اللعبة. إحساس رهيب وطاغي إنك تتحكم في حياة حد.. ومخيف جدًّا لو تخيلت إنه حد بيعمله فيك. بس ساعتها ما تخيلتش، كنت فرحان باللعبة.

الأول قلت لهم كل واحد يكتب اسمه وسنّه على ورقة... صفر. خلاص يبقى مفيش فلوس. مزيد من الاستعطاف. طب مسائل حساب، انتو المفروض كبار وفاهمين. ولا الهوا. طب إيه بقى.. آخر فرصة، هتجروا في سباق لغاية أول جبل هناك، واللي يرجع الأول ياخد الفلوس. الولاد انطلقوا بكل حماس، وأنا نسيت.. نسيت اللعبة والولاد والفلوس والسفالة اللي انا كنت فيها. وفات ساعة واتنين وتلاتة، والشمس بدأت تغيب. وبعد ما كلت وشربت ونمت في الصحرا باتفرج على السما وبافكّر في مستقبلي وظروفي. وفجأة افتكرت الولاد، واترعبت. المكان مش سهل، قلب الصحرا والألغام العتيقة والتعالب والديابة وكل حاجة.

جريت لغاية الجبل الأولاني، مفيش حد هناك. جريت على مدير الحملة الميكانيكية في الموقع، وقلت له على اللي حصل. الراجل رعبني أكتر. قاللي يابني اللي بيروح هناك ما بيرجعش. أخدنا عربية جيب وانطلقنا بين الجبال، وبعد تاني جبل لقينا واحد فيهم راجع، منظره ولا أسرى الصهاينة في 1973. صوته كان بيحشرج وهو بيقوللي (أنا ما جدرتش اكمل بعد الجبل التاني، هتديني الفلوس يا باشمهندس!). طبعًا يابني، المهم صاحبك فين؟ كمّل على الجبل اللي بعده! أخدناه وكمّلنا رحلة البحث، ووقتها بس بدأت

اشوف إنسان قدّامي واسمعه واعرفه. ظروف غير آدمية، وحياة عصيبة في قرية صعيدية صغيّرة عمرها ما شافت ميّة أو كهربا، وعمرهم ما داقوا اكل غير عيش وملح، بس كده، عيش وملح، قرية ما فيهاش رجّالة، كلهم بلا استثناء كانوا شغّالين في العراق وليبيا، واللي بيرجع منهم بيرجع في نعش. ناس دخول الجيش بالنسبة لهم هو قمة الفخر وقمة النجاح، مش زي أصحابنا وحبايبنا اللي بيقلبوا الدنيا عشان واسطة تجيبله إعفاء، أو يدوّر على أي مرض وهمي ينزل بيه ويبقى عسكري بدل ظابط.

الطريق قصيّر اللي إحنا تايهين فيه بين الجبال، لكن الحوار مؤلم ومليان صدمات وصور وعبر، مصر تانية غير اللي انا عايشها، وشعب حقيقي شايل حمول عمري ما تخيلتها، وأنا اللي أكبر مشاكلي كانت إن الأكل في المطعم مافيهوش تنوع، وإن مفيش ستّات حلوة نشوفها أو نعاكسها، وإرّاي نعيش من غير ماتشات الأهلي والمنتخب. عارف انت لمّا تشوف نفسك عريان، وتكتشف إن الناس كلها شايفاك كده على طول، بس محدش بيحب يحرجك قدّام نفسك. وحشة قوي..

وصلنا للشاب التاني بعد كمان ساعة، كان شبه منتهي تمامًا، وطبعًا أول سؤال سأله كان عن اليومية. آه يا ربي.. ورجعنا في رحلة صامتة تمامًا. وبعد ما الولاد نزلوا، قعدت قدام مدير الحملة، باعيّط.. بكاء بلا توقف.. أنا طلعت وحش قوي.. اللي أنا واخده هزار ودلع هو حياة كاملة لغيري.. والفلوس اللي بالعب بيها بالنسبة لهم فتح بيوت بعيش وملح. فكرة إنك تذل حد عشان لقمة عيشه تخليك أقل من أسوأ أنواع الحيونات. عمري ما هاعملها تاني.. ويا رب ما تحصلش فيَّا.. عشان كما تدين تدان.. طلعت وحش قوي..

21 - عن القرايب وأصحاب المصايب..
لمّا تمشّي قريبك..

بيقولّك إن الشركات العالمية فيها نظام وأخلاق ومبادئ. مش دايما. الدنيا علمتنا إن كلنا فاسدون. بس فيه فساد كفء وفساد غير كفء. في حالات الفساد الكفء الناس بتسرق وتنهب بس بتعمل الشغل وتظبّط الصورة. أما حالات الفساد غير الكفء فالناس بتسرق وتنهب، وما تعملش الشغل، وغالبًا بتتمسك وهي بتسرق.

الشركات العالمية من النوع الأولاني ده، بتاع الفساد الكفء. وده بيقتلك لمّا تكون ماسك الموارد البشرية، بتاع المبادئ والأخلاق والنزاهة. والناس كمان بتتوقع منك إنك دايمًا هتحقق العدالة وتنصر الأخلاق. وإنت أساسًا بتقول يا رب اطلع منها سليم ومش خسران نفسي وضميري، ويا رب الدنيا تمشي سهلة وما يحصلش حاجة فيها الاختيارات والاختبارات.

وكالعادة اللي إنت بتهرب منه بيطاردك. أول شهر بعد دخولي لقيت موضوعين سخنين وماشيين مع بعض. الأول موضوع مدير طالع رحلة. مفيش حضور ولا مواعيد ولا التزام بأي حاجة. بس حبيب الراجل الكبير. بتوع السهر بالليل والكأس والمزاج والروقان. ولأن الراجل الكبير محترف، كان عارف يبيع الفكرة، ويظبّط الصورة. كنت أنا بقى في النُّص. كل شوية يجيلي استفسار من الشركة الأم في أوروبا، يسألوني عن الدلّوعة، ويبعتوا شكاوى مجهولة كلها معلومات واحتجاجات، عن الجدع اللي مش بيشتغل وفي الآخر بياخد أعلى المناصب والمكافآت. والراجل كمان مش عاتق، داخل في حواديت رومانسية من اللي قلبك يحبها، أو ما يحبّهاش بصراحة، قصص عاطفية مع أي واحدة في الإدارة، ووعود بالجواز مهما اختلفت الديانات أو كانت الست متجوزة أصلًا، لعّيب كبير. وفي النهاية الست تعرف وتيجي تشتكي، وأنا أقوم بالتحقيق، وابعت المستندات. وفي الآخر تروح للراجل الكبير، والموضوع يموت بكل شياكة.

وسبحان الله يا أخي، في نفس الوقت، طلع الموضوع التاني، عماد. كان راجل جامد قوي، ساب الشركة وراح رئيس مجلس إدارة لشركة وطنية كبيرة. من الناس اللي بنوا الشركة بمزاج، طول عمره كان بيحقق نتايج تاريخية، وهمّا عايزينه يرجع ويبني صف تاني ويطلّع مواهب. وبالفعل قبل ورجع، في نفس الوقت اللي أنا كنت بابدأ فيه الشغل معاهم. أول ما عرفت بلّغتهم فورًا؛ عماد قريبي، عشان بس تعارض المصالح والحاجات دي. شكروني وقالوا مش مشكلة طول ما كل واحد في إدارة. وبدأ عماد بكل حماس، اشتغل في البناء وتحقيق النتائج، القطاع اللي هو مسئول عنه كان معقّد جدًّا، واللي يصلحوا في فريق العمل بتاعه يتعدّوا على الصوابع، وعماد ماعندوش مشكلة، وسريعا ما كان بيبني فريق وبيحسّن النتايج. بس كان عنده مشكلة واحدة؛ ما كانش بتاع سهر ومزاج ودلع، مش تبع الشلّة، ولا الخروجات بتاعت بالليل، اللي هي بعد اجتماعات البيزنس بتمتد وتحلوّ وتروّق. وفي ليلة مزاج حلوة بعد اجتماع طويل في دبي، كانوا أخدوا القرار ينهوا عقده، يجيبوا مكانه واحد تاني من الشلة، مصر جميلة ومغرية، وفلوسها حلوة للأجانب. وكالعادة بالخبرة واحتراف الألعاب، كان الورق كلّه مظبوط والحالة مستوفية كل المستندات.

بلّغوني بالقرار، وبكل براءة وبساطة رفضت. يا جماعة الراجل عدّى الشهور التلاتة بتاعت الاختبار، لو مشي دلوقتي لازم ياخد بقية مرتب السنة كاملة، اللي مستعد يتحمل مسئولية الفلوس وإنه أساسًا عيّن عماد غلط يتفضل يقول. وطبعًا محدش يشيل مسئولية الفلوس أو القرار الغلط. اضطروا يأجلوا القرار، قدّامنا 9 شهور، ولادة وتعدّي لغاية تاريخ تجديد العقد أو إنهاؤه. وأنا من ناحيتي قعدت مع عماد وقلت له خد بالك وظبّط أمورك مع مديرك ومدير مديرك. شكرني وكمّل في العمل والسعي، والنتايج برضه استمرت في التحسّن، بس القرار كان منتهي. في آخر السنة بلّغوني تاني، والمرة دي مش لازم مستندات، من حق أي مدير عدم تجديد العقد وخلاص. الراجل بتاع الموارد البشرية بيشيل الليلة بتاعت المواقف الصعبة، خصوصًا مع المناصب الكبيرة، لازم احضر لقاء الاستبعاد مع الراجل الكبير. حطّ نفسك مكاني بقى، قريبي قوي، وأنا أساسًا مش مقتنع باللي هيحصل، يعني لا عايز ولا مقتنع. بس النظام ما بيقولش كده. النظام بيقول إن القرار بتاع الشركة. وأنا بامثّل الشركة، يبقى قراري.

الراجل الكبير كان مستمتع باللعبة، عارف موقفي تجاه صاحبه وحبيبه بتاع المشاكل والتحقيقات، وعارف

إن عماد قريبي ومحترم ونضيف. ما حاولتش ازوّغ، وقت الاجتماع كنت حاضر ومجهّز شوية عبارات رومانسية وحماسية وكده. لكن الموقف كان أسوأ بكتير من توقعي. الراجل الكبير يا دوب فتح الحوار وقاللي كمّل يا خالد، وأنا بدأت اتلعثم بقى. كلام كبير من بتاع إنه ممكن تكون لعّيب عظيم بس لا تنسجم مع فرقة عظيمة، وإمكانياتك كبيرة بس إحنا محتاجين حاجة تانية في الوقت الحالي. كلام كلام.. وهو بيسمع بهدوء، لكن كل ثانية بتعدّي لونه بيروح وتعبيرات الوشّ بتتقلص، كأنه ماسك بركان غضب وألم. بعد ما خلّصت قاللي شكرا يا خالد، بس ماكنتش أحب نكون سوا في موقف زي ده. وجّه كلامه للراجل الكبير(ما كانش لازم تخلّي خالد يحضر ولا يتكلّم في موقف زي ده. مالهاش دعوة باحترافية ولا شغل، ده تخليص حساب، وكده إنت كمان بتبوّظ علاقة عائلية من غير أي منطق). انطلق عماد بكل هدوء يوضّح الإنجازات اللي عملها، ويفكّر الراجل الكبير بانعدام المساندة له، بالمقارنة بالدعم الرهيب اللي بياخدوه ناس فاشلين، والراجل الكبير صمت القبور بقى. وأنا عن نفسي باغرق في العرق والخجل. بس برضه، الالتزام التزام.

بعد ما خلّص كلامه، لقيتني بَرُد بكل هدوء وحزم وأدب. قيمتك عندي أعلى مليون مرة من شغل أو تقييم، وانا نفسي حصلت معايا مرة واتنين قبل كده، وعمري ما شفتها فشل شخصي. وعلاقتنا العائلية تتعدى كل حواجز الشغل والمواقف دي. بس في الآخر الشركة، اللي هي احنا، شايفة إننا ننهي العلاقة. خلص الكلام. واتفقنا على الخطوات وطريقة الإعلان. وخرجنا أنا وهو، مع بعض ومش بنكلّم بعض.. وفي سرّي بالعن الظروف اللي خلّتني اشيل الليلة دي.. والعن الظلم اللي يخلّي الوحش يكمّل والكويّس يطير، وكله بالورق والنظام.. وصّلته لمكتبه، وقبل ما افتح حوار قاللي مفيش حاجة تتقال، مش ذنبك. المرة دي ما قلتش حاجة.. كنت عارف اني خسرته خلاص.. مش بس شغل، شغل وعيلة.. الأيام اللي بعدها جالي مرة واتنين وتلاتة، بيسأل على حقوقه وأوراقه، وكل مرة كنت باعمل كل ما في وسعي إنه ياخد كل حقوقه وأكتر، والراجل الكبير غالبًا لأنه حسّ بالذنب هو كمان، بقى يوافق على كل الطلبات بلا نقاش. آخر يوم كان حفلة رتّبناها لعماد أنا والفريق بتاعه، رحت وقلت كلمة حماسية عاطفية للغاية، قدّام وشوش جبس ومشاعر ميتة. إحساس رهيب وإنت بتتكلم وعيون الناس تقولّك يا كدّاب. شلت ليلة مش بتاعتي. المرة دي خسران خسران. الدنيا كده.. مش حلوة..

22 - لمّا كدب عشان يشتغل..

كانت وظيفة صعبة قوي، معصلجة معانا في التعيين. الشركة صعبة والدور صعب والتحديات عصيبة. شركة محلية كبيرة هي نسخة طبق الأصل من بلدنا. كبيرة وغنية وملخبطة ومنهوبة وعاطفية وعشوائية. كان بقالنا فترة شغّالين بذمة في إعادة الهيكلة، والنتائج كانت غير مسبوقة ما شاء الله. بس التغيير السريع الضخم بيبقى له مشاكله السريعة الضخمة. من أول مقاومة الحرس القديم لغاية ألعاب الحرامية اللي كانوا مستخبيّين، ومرورًا بضعف إمكانيات الإدارة والتخطيط والتنظيم؛ تخيّل لمّا تكون كل يوم بتاكل إنت ومراتك فول وطعمية، وتفاجأ إنك عازم 1000 بني آدم على كباب وكفتة وسمك وجمبري، وإنت أساسًا عمرك ما عملت الكميات دي ولا شفت النوعيات دي في حياتك. مهرجان.

عشان كده طلباتنا في البشر ما كانتش سهلة. الفهلوي النضيف. الاستراتيجي الصنايعي. القائد ولاعب الفريق. كوكتيل نادر وصعب. والوظيفة دي بالذات كمان اللي فاهمين فيها قليّلين. بنتكلم على مدير تكاليف، اللي هي المفروض روح أي شركة وخصوصًا لو صناعة. في البداية قلنا عايزين بطل العالم، وجالنا ناس جامدين قوي، بس أول ما نقعد ونتكلم معاهم نلاقي فضيحة، الولاد بيكتبوا حاجات في السيرة الذاتية عمرهم ما عملوها، ولا حتى فاهمين معناها. مش هانسى الجدع اللي كتب إنه معاه شهادة معتمدة من معهد اللغات الميتة في السويد، وهو فاكر انها شهادة كبيرة في المحاسبة، ليه كده يا ابني؟

قابلنا ورفضنا فوق التلاتين واحد من أكبر شركات البلد المحلية والأجنبية، والشهادة لله ما كانوش كلهم وحشين. بس الراجل الكبير مصرّ على بطل العالم، واحنا بنقول يا جماعة لو بطل العالم يبقى مش هييجي عندنا، محتاجين نفكّر ونحلم على قدّنا، على الأقل ننفذ بالتدريج. مرة واتنين انتهينا فعلًا لناس كويّسة ومضينا معاهم، والناس دي كانت تبدأ معانا يوم ولّا يومين، وبعدين تروح تجيب سجاير أو ورقة بوسطة وما ترجعش. طبيعي، الملعب عندنا ملخبط قوي ومحتاج حد غير عادي في الصبر والصمود والتحدي.

وفي يوم بنقابل واحد لوظيفة أعلى، جت الفكرة؛ ليه ما ياخدش الوظيفة إياها، المشئومة المُعلّقة دي. الراجل الكبير طرح السؤال، وأنا قلت مستحيل يقبل، وممكن يقوم ويقلب الترابيزة. الراجل أساسًا تقيل والسيرة الذاتية مليانة. لقيته موافق في لحظة. طب إنت متخيل المرتب هيبقى قليل طبعًا، مدير أكيد بياخد أقل كتير من رئيس قطاع. قاللي إن شاء الله هاكبر معاكم. مستغرب انا، طب إنت دلوقتي المفروض شغّال في السعودية وراجع أجازة، ينفع تبدأ معانا امتى. بكره لو حبّيت. يا راجل!! طب إيه، هو فيه أي مشاكل هناك، يعني حضرتك سرقت حاجه أو قتلت حد؟ لا خالص، أنا بس عايز ارجع، اتخنقت هناك، وممكن ابعت من هنا استقالة. طب يا ابني إحنا أساسًا لسّه ما اتكلّمناش في المرتب. مش مشكلة، أنا قلبي مستريّح ليكم وللمكان.

كان مفروض نقلق شويتين تلاتة. ما قلقناش. كنا عايزين نقفل الوظيفة دي بأي طريقة، قلنا لنفسنا الراجل عايز يرجع بلده وخلاص، وتخيّلنا النواحي العاطفية والعيال في الغربة ويعني إيه كلمة وطن. وتاني يوم كانت البداية. مفيش ساعتين وجاتلي مكالمة من المصنع. حد طلع يعرفه كويس. قاللي الراجل مش قدّ كده. قلت عادي، آراء مختلفة في البشر، بس الكلام جاب بعضه وعرفت إنه في مصر من 5 شهور. يا راجل!

قلقت أنا. القلق اللي كان مفروض يظهر من أول لحظة. رجعت للسيرة الذاتية وقلت اكلّم آخر شركة كان فيها، عامة مش بنسأل في آخر شركة كان فيها إلّا بعد ما يمشي منها، عشان ما يحصلش مشاكل لو في الآخر ما اشتغلش معانا. مديرها طلع صديق طفولة ودراسة، وأمتعني بكمان صدمة؛ الراجل ده كان شغّال عندنا لمدة 3 شهور بس، ومن 7 سنين. ووظيفة صغيّرة. أمّال كان بيعمل إيه في السعودية طول الوقت ده؟ خلّيْت حد في الفريق يكلمّه ببراءة ويقول له عايزين الشهادات التخصصية اللي إنت أخدتها، الأصول بتاعت الشهادات لو سمحت، عشان فيه منها شهادات بتحتاج 5 سنين وانت واخدها في شهرين، بكره الصبح تجيبها معاك. بكره ما جاش خالص. كلّمته بنفسي وقلت له مستنّيك في مكتبي، القعدة إياها، وانت عارف وانا عارف. قلت له إحنا سألنا وعرفنا إنك ما كنتش مع الشركة دي أساسا. تلعثم ودخل في حوارات ملخبطة. كمّلت عليه وواجهته بوجوده في مصر من مدة، استقالة إيه اللي قدمتها في يوم، وأجازة إيه اللي بقالها 3 شهور. أجواء قلق وتوتر شديد، وكدبة تجيب وراها كدبة. قعدت اسمع بهدوء شديد، وفي الآخر قلت له: قدّامنا طريقين. نكمّل في الأعذار ولو طلع الكلام مش صحيح نحوّل الموضوع

لتحقيق وفضيحة، وساعتها انسى إنك تلاقي شغل في حتة محترمة في مصر، أو نقفل الحكاية من دلوقتي وكأنك عمرك ما دخلت هنا أساسًا. فكّر واختار. العين في العين بتقول إنه مفيش هزار. سبته خمس دقايق وخرجت برّه المكتب. لمّا رجعت كان أخد القرار، قاللي طب خلاص يبقى خير، نقول إننا عمرنا ما شفنا بعض واسيب المكان. في 5 دقايق كان بره المكان والإجراءات منتهية.

كنت هاموت واسأله عملت كده ليه. فيه كدب مفقوس قوي. تاني يوم بعتلي رسالة طويلة، مش بيقول فيها أي أعذار أو أسباب للي عمله، مجرد بيحكيلي حكايته في الحياة. لو أقولك على كمّ المشاكل اللي الناس بتعدّي فيها. السيرة الذاتية بتبقى مليانة كلام كبير، بس اللي جوّاها أغلبه بيكون فشر عشان يعجب الشركات، وغالبًا محدش يسأل قوي. والظروف مش سهلة، والحياة مكلفة وصعبة، والنفس أمّارة بالسوء. الراجل كتب كلام كتير، ومعاه اعتذار من القلب إنه خذلني قدّام الشركة بعد ما وثقت فيه. وأنا من ناحيتي قعدت اطلّع له كل الأعذار. كان محتاج فلوس، هربان من ضغوط، نفسه في بداية جديدة.

يا ريته ما كان كدب. واحنا كمان، يا ريتنا ما استعجلنا. مش صح نضغط على حد كبير ونحطّه في حاجة صغيّرة. مش صح نستغل حاجة الناس ونغمّض عينينا عن الأسباب. كلنا بنخسر في الآخر. ما علينا. خلّينا في الوظيفة اللي مش عايزة تقفل دي. دخل وخرج من غير أثر ملموس، لكن كلنا متعوّرين..

23 - لمّا الخير تأخر..

كنت شاب ومندفع وباعمل ألف حاجة في نفس الوقت. البداية كانت فشل ذريع، مهندس في مواقع تنفيذ، مش ممتعة خالص، لا تعليم ولا فلوس ولا صحبة، بعد محاولة واتنين واستقالتين تلاتة لقيت نفسي في الشارع، وبدأت الطريق من الأول؛ إعلانات مبوبة وتقديم في أي حاجة وكل حاجة. أول حاجة لقطت معايا كانت وظيفة مهندس مبيعات بابيع كيماويات وإضافات خرسانة. في الأول برضه كنت هانسحب وايأس بسرعة، أسبوع من اللفّ على المقاولين والمكاتب الاستشارية والعمايرر، وكل زيارة تنتهي قبل ما تبدأ بسبب انعدام الصبر عندي والخوف على البرستيج والمنظر، والإحراج الشديد إن حد بقيمتي ودلعي يبقى مندوب مبيعات.

في نهاية الأسبوع اكتشفت إن أقل واحد معانا في الفريق كان بايع بنصّ مليون، والراجل ده أساسًا ما كمّلش تعليمه. يومها اعتبرت نفسي أجازة أول أسبوع ونزلت انتحرت في السوق، وخلال شهرين العجلة دارت وبقيت لعّيب وكسّيب. كسرت المناخير المرفوعة عالفاضي. بعدها كان عندي وقت فاضي، فدخلت في بيع التايم شير؛ حاجة من أصعب الحاجات اللي ممكن تتباع، سمك في ميه، أو بمعنى أصح هوا في قزايز. نقنع الناس تشتري أسبوع أو اتنين في شاليه غير محدد فعليا، وكل سنة تاخده في بلد مختلف، المفروض يعني. واشتغلت وبعت وكسبت، غالبًا كل أصحابي وقرايبي ومعارفي اشتروا الهوا عن طريقي، ربنا يسامحني بقى.

لقيت لسّه عندي وقت وطاقة، شباب بقى، والطاقة الزيادة خطر، فاشتغلت مذيع في الإذاعات الموجهة؛ أروح الإذاعة 4 الصبح عشان اعمل برنامج المفروض إنه حد هيسمعه في أمريكا على موجة قصيرة. حاجة زي الجاسوسية كده. مجنون أنا بس مكافح.. المهم يا سيدي في يوم واحدة صديقة كلمتني وقالت لي روح قابل فلان. رجل أعمال شاب وعنده مصانع كبيرة. رحت وأنا مش عارف ليه. احتياطي أخدت معايا الكتالوج بتاع المواد الكيماوية يمكن يكون بيبني حاجة، والكتالوج بتاع التايم شير يمكن عايز يسافر، والكاسيت بتاع التسجيل يمكن يكون عايز يتكلم عن التصنيع وكده. أي حاجة إحنا جاهزين.

رحت وقعدنا وقاللي احكيلي إنت بتعمل إيه. إحساس إسماعيل ياسين في فيلم المجانين، لمّا راح المستشفى وفاكر انهم عايزين مشروع فطير، وطلّع العدّة وانطلق. عملت نفس القصة، طلّعت كل حاجة وقعدت اتكلم واقنع في كل الاتجاهات. بعد نص ساعة كلام قاللي أنا عايزك تمسك مدير مبيعات وتسويق. عندنا مصانع كبيرة وبتخسر عشان مفيش بيع. مش هنخسر أكتر من اللي إحنا فيه. وإنت شكلك أفكارك مطرقعة ومليان حماس. كنت لسّه هأقول له بس أنا على قدّي وعمري ما عملتها. وبعدين قلت لنفسي ما تقفلش الباب. الراجل عارف وإنت ما كدبتش عليه. توكلت على الله وبدأت.

أول حاجة عملتها رحت عملت اشتراك في مكتبة الجامعة الأمريكية عن طريق أختي. كنت محتاج اتعلّم يعني إيه خطة وتسويق ومنتج. أفكاري المطرقعة لا تساوي شيء من غير علم ومنطق. وجبت الكتب، وغرقت في بحر معرفة، وبدأت اطبّق. أفكاري المجنونة طلعت مش مجنونة قوي. فيه زيّها واحسن منها. وممكن تجيب نتيجة وتطلّع قماش. درست وقريت وكتبت وخطّطت. وعملت الفريق وبدأت اطبّق. 7 شهور. عملنا فيها كل حاجة. فتح أبواب في السوق المحلي وطرق كل أبواب التصدير. بناء على دراسات عملية وواقعية. وشغل على منتج وقيمة مرتبطة ونقاط تمييز وفوائد للعملاء تختلف حسب السوق، وتسعير محترف ومنظومة توزيع. السوق المحلي اتحرّك بشكل كويّس، كنّا غاليين قوي، بس البضاعة كانت حلوة قوي، والجودة لها تمن ولها اللي يقدّرها. بس المصنع كبير قوي، وحياتنا كلها في التصدير. ورغم كل اللي عملناه الناتج كان مفيش. صفر. هاتجنن.

في الخباثة كده قعدت مع واحد واتنين وتلاتة أصحابي من الخبراء في التسويق. كلهم قالولي كلام كبير بس مفيش حاجة من اللي قالوها دخلت دماغي. والضغط بيزيد جوّه الشركة والمصنع. يعني عمل إيه العيّل اللي جبتوه ده. تضييع وقت وفلوس. وصل بينا الأمر أننا بدأنا نفكّر نردّ على أصحابنا النصّابين بتوع نيجيريا، اللي كل يوم يبتعولنا عايزين بضاعة بمليون جنيه. الكل عارف إنهم كانوا نصّابين ومزوّرين شيكات وكله، لكن كنت خلاص هاموت أعمل أي حاجة.

وفي يوم حجزت بالفعل تذكرة لنيجيريا من ورا الشركة، وقلت هاطلع واشوف واللي يحصل يحصل. لغاية

في يوم لا أنساه، 7 سبتمبر، دخل عليّا رئيس مجلس الإدارة. إيه الأخبار يا باشمهندس. الحمد لله كله كويس. قاللي فين الكويس ده. فين الفلوس. حوار مؤلم. بهدوء قلت له والله حضرتك إحنا عملنا كل حاجة صح زي ما الكتاب بيقول. قاللي يمكن الكتاب غلط. صمت وتوتر. بنفس الهدوء قلت له أنا عملت كل اللي عندي. لو حضرتك تحب أنا ممكن أقدّم استقالتي من النهارده. سكت وقاللي طب خلّيها آخر الشهر. لّما نشوف هنعمل إيه.. خرج وأنا خرجت وراه.

مخنوق ومتوتر ومحبط وكل حاجة. داخل على جواز أنا، وكده هاكون في الشارع. وبعدين أنا عملت إيه غلط؟ هاتجنن! قضيت الليلة كلها باراجع كل اللي عملته. فين يا ربي الغلط. ليلة مجنونة كلها ونهايتها صفر برضه. قفلتها بركعتين شكر. عملت اللي عليّا. هاكمّل الشهر وانطلق في البحث عن وظيفة. ودعيت برضه.. مين عارف..

(.. **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**)

تاني يوم تمانية صباحًا داخل مكتبي وبافتح البريد، والاقي رسالة من إيطاليا، شركة موافقة على العرض بتاعنا وباعتة تسأل على حساب البنك وإجراءات التحويل والتوريد. عيّطت. قفلت الباب وقعدت اعيّط. يا فرج الله. نواية تسند الزير. بس سبحان الله يا أخي. الأسبوع ده كان تاريخي. الزير اتملا على الآخر. كأن كل حاجة عملناها طلّعت قماش. ما كنتش خبير أنا قوي في الصناعة دي برضه. وأغلب الشركات الأجنبية طلع إنها بتستورد بدءا من سبتمبر بعد الإجازات. على رأي الفيلم بتاع «طير انت»؛ أنا صح. كل يوم الحمد لله ييجي عقد جديد، والدنيا نوّرت واخضرّت. والراجل الكبير بقى كل يوم في مكتبي يقوللي قد إيه أنا عبقري..

سبحان مغيّر الأحوال. بس حقه.. وحقي انا كمان.. عملت اللي عليّا، بس كنت مسـتعجل.. وربّي بيقول حتى الخير بأوان.. كل شيء بأوان.. الحمد لله..

لما اشتكوني في الجامعة - 24

باعشق المحاضرات. باحب اقعد مع الولاد واحكيلهم واجرب فيهم، واعلمهم واتعلم منهم. ودايمًا في أول محاضرة خالص باقول لهم أنتم جايين بجد ليه. قوللي عشان ادّيلك اللي إنت عايزه. فيه اللي جاي عشان يتعلم، وفيه عشان الشهادة، وفيه عشان تغيير وظيفة وترقية، وفيه اللي جاي يتجوز. أيوه، المكان نضيف وهيتعرف على حد محترم. مش مهم عندي، المهم تقولولي، عشان أنا كمان عندي هدف وطاقة، وقدرة على الاحتمال. عايز أضيف قيمة وعايز اعمل نظام والتزام، ونتعلم ونستمتع. اللي يتأخر أكتر من عشر دقايق يدفع 20 جنيه، ولو انا اتأخرت هادفع 50. وبلاش كلام يا ولاد. المكان زحمة وانتم 35 ما شاء الله. جايين لي مخصوص أنا عارف، بس الدنيا مش ضحك وهزار. اللي هيعمل حلو هادلعه دلع الدولار في السوق المصري، واللي هيعمل وحش هاضحكه على روحه. وادي أرقامي والإيميل وكله، كلموني كل الأوقات، ولو مش فاضي هارجع واتكلم. اسألوني في كل حاجة، واختلفوا معايا بس بالمنطق والأدلة. بس بعد كده مفيش أعذار. لو ما سألتوش يبقى أنتم عارفين.

بدأنا زي شهر العسل، ضحك وهزار ومزاج، وبعدين خلص شهر العسل بسرعة كالعادة. بدأت القصة بالتأخير. ييجوا متأخرين ويدخلوا عادي. والمسئولة عن جمع الغرامة والتسجيل ولا كأنها هنا. بقيت أوقّف الكلام وابص لها. وبعدين بقيت أقول لها. وبعدين بدأت أكلّم اللي داخل متأخر وأقول له. وبعدين سحبت منها الدور وخليت واحدة تانية تعمله، بديهي إنها تبقى أنثى، ملكات النظام والفلوس المفروض. وبعدين دخلنا في موال الكلام واحنا بنشرح. كلام صغير، بس العبد لله تركيزه مرعب. عامل حسابي ومذاكر المحاضرة، وداخل كل حواسي مع الطلبة. الكلمتين الهاديين بالنسبة لي دوى انفجارات. كالعادة بانبّه بالراحة. وبعدين بهزار. وبعدين باسكت تمامًا. وبعدين شوية انفعال. وبعدين في الآخر شبه انفجار. ممكن تلعبوا تماثيل يا ولاد؟ يعني هل نقدر نسكت تمامًا لمدة ساعة، وتاخدوا حاجة حلوة في الآخر؟ يعني هو مفيش أدنى قدرة على الالتزام ؟ طب انتم بجد دافعين الفلوس الكتيرة دي وجايين تتكلموا مع بعض؟ مش حتى تسمعوا عشان لو الدكتور سيئ تغيروه؟ وبالمرة كمّلت عليهم. كانوا عاملين أبحاث وأحسن واحد فيهم قدم أسوأ شغل فيهم. قمت بالواجب معاه. إمكانياته وقدراته أعلى مليون مرة. خلصت وخرجت، وكتبت على الفيس بوك عن اللي حصل.

العادي بتاعي. لما حد بيعمل حاجة كويسة باجيب اسمه وصورته كمان. ولو حد عمل حاجة وحشة باكتب حاجة مبهمة ومن غير أي تفاصيل. يعني مش بيعرفها إلا صاحب الشأن، اللي على راسه بطحة. المهم يا سيدي كتبت، وتخلصت من الطاقة السلبية، والأيام عدت ورحت المحاضرة اللي بعدها. لقيت الإدارة بتقوللي معلش حضرتك الشباب عاملين شكوى، عشان حضرتك اتّريقت عليهم على الفيس بوك؟ يا راجل؟! قاللي طبعًا كلام فارغ يا دكتور وقلنا لهم مفيش أسماء ولا حاجة، والراجل بيدي محاضرات كتيرة في حتت كتيرة، والموضوع خلص خلاص. طبعًا لأ. ما خلصش عندي.

دخلت المحاضرة وبدأنا أمتع حوار. إيه الحكاية يا ولاد؟ مفاجأة بالنسبة لهم. وبعد شوية تشجيع انطلقوا، أصل إحنا ملتزمين، أصل حضرتك عمّمت، أصل المفروض محدش يعرف اللي بيننا. سمعت وبعدين انطلقت انا. قرينا مع بعض كلام الفيس بوك، مفيش ولا كلمة تقول انهم غير ملتزمين، ولا إن الكلام عليهم. وبعدين يا ولاد انتو قريتوا الكلام التاني اللي كنت كاتبه عليكم، الكلام الحلو ؟ اشمعنى ده مش فاكرينه. أصل بصراحة يا دكتور تعليقات الناس على صفحتك كانت قاسية قوي. إذن الموضوع مش في الصح والغلط لكن في التعليقات. طب بصّوا يا ولاد. أنا عندي الموضوع على مستويات. الرسمي والاحترافي، أني أرد وأقول مفيش كلمة على حد والشكوى فيها إساءة لسمعتي واطلب التحقيق وفصل الطلبة. المستوى الإنساني يخلّيني أتكلم معاكم وأسألكم ليه ما اتكلّمتوش معايا واحنا متّفقين وأنا فاتح ألف باب. قالولي بصراحة ما كنّاش مصدّقين إن حضرتك كده فعلًا. يا راجل!

ما هو ده اللي جايبنا ورا. الكلمة واضحة وصريحة واحنا بنزوّغ منها وندور على معنى بعيد. أما على مستوى الذوق والجدعنة، فاسمحولي بقى. اللي يخاف يواجه ويتكلم ويشتكي في السر يبقى اسمه حركة بلدي. قوي. الطالبة المتزعمة الحركة سخنت قوي. كنت مستنّيها. باقرأ لغة الجسم والرفض والاختلاف من أول محاضرة. قالت لي ممكن تلتزم بعدم ذكر اسمنا في أي مكان؟ وأنا رديت بكل صرامة وفكرتها بعدم التزامها في حاجة واتنين وتلاتة. وفكرتها إنها بتقول كلام غلط ما حصلش قبل كده عشان نلتزم بعدم

حدوثه بعد كده. والجو اتكهرب زيادة لما قلت لهم أنا رأيي أسيب المحاضرات خالص ونجيب حد من النظام التقليدي اللي واضح انكم بتحبوه. أخدنا راحة. واستمتعت فيها كل دقيقة بواحد أو واحدة من الفصل ييجوا يعتذروا ويقولولي ليك حق. بس بلاش تسيبنا.

طلعنا وكملنا المحاضرة، وفي آخرها قلت لهم بكل بساطة: أحب الناس لما يكون عندها الشجاعة تختلف معايا قدام الكل، يبقى عندها الشجاعة برضه تعتذر لي قدام الكل. الكل ضرب ألوان. وطلعوا ورايا تاني، وما تزعلش يا دكتور واحنا فهمنا خلاص. وأنا كملت وقلت لهم أول خطوة انكم تعترفو بالغلط. ما تزعلوش من كلمة عدم التزام. إنتم مش ملتزمين. لما توصل 3 وخمسة والقطر معاده تلاتة تبقى غير ملتزم. لما تتكلم وسط المحاضرة تبقى غير ملتزم. لما تشتكي في غير إطار متفق عليه تبقى غير ملتزم. أرجوك بلاش أعذار. هتعطّلك وتمنعك عن التغيير الحقيقي. الوشوش بتقول فهموا وحاسّين. وقلبي بيقوللي بيريّحوني. مش سهلة تعترف بغلطك. أخدت مني سنين. ماشي يا ولاد. مش هاسيبكم. نكمّل ونحاول..

25 - سمعة السيدة والدة مارادونا..
البرنامج

قضيت 4 سنين في الإذاعات الموجهة. بانزل الفجر عشان اكلّم ناس في أمريكا وإفريقيا وآسيا، بيسمعوني على موجات قصيرة ما ينفعش تسمعها في مصر أساسًا. كنت حاسس أني باكلّم نفسي، وعمّال اكتب واسجّل وانتج برامج وشغل وحركات. وأقنع نفسي بأني توم هانكس في الفيلم بتاع المركب اللي تاه، وأكيد في يوم حد هيكون بيسمعني ويبعتلي ويقوللي إنت حقيقي.

والدتي كانت مسئولة كبيرة في الإذاعة ورفضت أي واسطة ليا. ما دخلتش أساسًا لغاية ما طلعت هي على المعاش، وعن طريق امتحان عمومي عادي خالص. بس الإذاعة عندي كانت حلم تاني. اتولد يوم ما شفت فيلم روبين ويليامز، صباح الخير يا فيتنام. كان مذيع راديو رايح يمتّع ويرفّه عن الجنود الأمريكان اللي كانوا في قمة البؤس وانهيار المعنويات. والراجل جنّنهم وخلّاني أنا كمان مجنون بالإذاعة. فكرة إنك تعمل حاجة تبسط بيها الناس وتؤثر عليهم مش بسيطة أبدًا. وأكيد مالهاش أي علاقة بالرسايل المجهولة اللي بابعتها على الإذاعات الموجهة.

في يوم اتشجّعت ورحت لمديرة البرنامج الأوروبي، وقلت لها ادّيني فرصة. قالت لي معنديش مكان لمذيع عادي، لو عندك حاجة مجنونة تستاهل نعملها ماشي. أسهل حاجة. قعدت وكتبت فكرة مجنونة، نلعب في التاريخ. تخيّل لوهولاكو (بتاع التتار عشان أنا عارف معلوماتك مش قد كده) كسب موقعة عين جالوت وبقى حاكم مصر، وبعدين اللي يخليه يخسر الروتين والبلاوي الحكومية والعادات بتاعتنا والمرور الخربان، من ألف سنة برضه. يعني خلط للتاريخ بالواقع المعاصر. وكله في إطار كوميدي ساخر وأداء تمثيلي بسيط. عملنا كل الشخصيات، والولاد اللي معايا كانوا هواة بس مستمتعين. والمزيكا اللي في الفواصل كانت دايمًا حتت معينة بكلام مرتبط من الأغاني. كل حاجة معمولة بحب ومزاج.

أوّل مرة الحلقة تنزل المديرة بتاعتي كانت خايفة قوي، قالت لي الحلقة هتنزل يوم الأربع الصبح الساعة 11، في عز الصيف. قلت لها حضرتك ده توقيت ممتاز، محدش بيسمع فيه إلّا مهندس الاستوديو، وهو كمان غالبًا بيكون بيلعب مع زمايله ومش سامع ولا فاهم. قالت لي هو ده النظام، إنت بتبوّظ التاريخ، وربنا يستر. الحلقة نزلت أول يوم أربع، وطول اليوم والأسبوع الناس بتتكلّم وتسأل عن برنامج مجنون لقطوا منه حتت صغيّرة وانهاروا من الضحك. والحلقة اتعادت تاني الأربع اللي بعده، وبعدين نقلت ليوم الحد بالليل. البرنامج تألق ونجح بشدة الحمد لله، وبقى عليه إعلانات وشركة راعية، رغم إنه بالإنجليزي. وبدأت محطات فضائية تكلمني وتقوللي ما تيجي. وأنا طبعًا هاموت وآجي.

المعاد كان في أكبر محطة فضائية عربية وقتها، والناس كلها تتمنى تشتغل فيها. جهزت أقوى حلقة عندي، عن مارادونا، تخيلت إنه بعد الحكم عليه في قضية المخدرات في إيطاليا، هرب وجه على مصر، وعمل مؤتمر صحفي وقال إن والدته سابته على باب الجامع من 30 سنة، وأخده معاه سايح أرجنتيني، وانه اكتشف كده وراجع بلده مصر. وطبعًا الحلقة كلها تريقة رهيبة على إدارات الأندية عندنا والإعلام واتحاد الكورة. المهم رحت، وقعدت مع مجموعة من المسئولين الكبار قوي، وقالولي إنت اتخلقت عشان التليفزيون. وشك فوتوجينيك وصوتك ساحر وقلمك ساخر. الله الله. هابقى نجم خلاص. وبعدين بدأنا لجنة الاستماع للحلقة. استغراب وتركيز وبعدين ضحك هستيري. وبعدين فجأة واحد وشوش التاني والتاني وشوش التالت وهكذا. والمكان كله بقى سكون الليل. إيه يا حضرات. قالولي معلش، محتاجين نعرض الحلقة على شيخ. ليه بس، أنا مش باتكلّم في الدين ولا فيه أرواح ولا عفاريت ولا أي حاجة. أبعد ما أكون عن الشيخ حسن المغربي اللي بيجلب الحبيب على الكوبري في 3 ساعات. معلش. استحملنا شوية غابوا ساعتين. ورجعوا تاني. نفس الوشوش مقلوبة تمامًا. بصراحة إنت لا تصلح خالص. يا رااجل! أمال فين الوش الفوتوجينيك وكده. كنا بنجاملك عشان الست الوالدة. وأنا عايز أقوله وحياة الوالدة! طب معلش، خدوني على قد عقلي وفهموني، عشان أتعلم حتى.قالولي إنت كاتب كلام زندقة وكمان غير أخلاقي. زندقة اللي هي إيه يا فندم؟ إزّاي يا أفندي تخلي البطل يبقى في الأصل لقيط وتربط الجامع بفكرة وحشة. زندقة طبعًا. يا سلام، ما حضرتك كل أبطال الأفلام في الخمسين سنة اللي فاتت كانوا بيبدأوا سلم النجومية من على باب الجامع. طب ومعناها إيه بقى انهم سابوه هناك، يعني ابن حرام؟ ده

معناه إنه فيه تعريض بسمعة السيدة والدة مارادونا. يا رااجل!! سعادتك لو السيدة والدة مارادونا سمعت الجملة دي ممكن تعتبرها إهانة! سيادتك مارادونا نفسه اتجوز بعد ما كان عنده 3 عيال من صاحبته، عشان يطمئن على أخلاقها الأول. يعني سمعة اللي إنت جاي تقول عليها دي! طب أي مناقشة، طب اسمعوا حلقة تانية ولا الهوا. إحنا مش مصدّقين اننا ضيّعنا الوقت ده على الكلام الفارغ ده. معلش بعد إذنك، عندنا دلوقتي الاحتفال السنوي للقناة، اللي فيه 3 رقاصات منهم واحدة لسّه خارجة من قضية آداب. أنعم وأكرم. لملمت أوراقي وخارج مكسور وباغلي.

الحكاية كملت بسكرتيرة الراجل الكبير. قالتلي بسست، عايزاك في كلمة. اقعد نتكلم دقيقة. قفلت الباب وانطلقت بنعومة ولا أجمل. إنت أفكارك حلوة قوي، بس انسى انهم يخلّوك تعمل برنامج. شكلك مش قد كده، وأفكارك مش هتعدّى ولا يقبلوها من راجل. عايزة واحدة ست توصّلها. إيه ده، يعني حضرتك هتقفي جنبي وتساعديني؟ طبعًا لأ. أصل أنا كمان هابقى مذيعة. إيه رأيك تديني الأفكار وأنا أراضيك بطريقتي، مش لازم بالفلوس يعني. ومعاها ضحكة صغيرة تحمل كل أنواع الإغراء. حلو جو الشياطين ده، البنت زي القمر، وممكن أستمتع وأفيد وأستفيد، وبعد فترة أكون دخلت المجال وأنطلق لوحدي بقى. كان ممكن أوافق، في ظروف تانية. بس للأسف أنا كنت ساعتها لسه في الجو بتاع الزندقة، وبأفكّر في السيدة والدة مارادونا، وا للي عملته في سمعتها. قلت لها آسف يا هانم. وبعدين عيب كده. تأكدي إنك عمرك ما هتنجحي كمذيعة ولا هتشوفي الشاشة أبدا بالأخلاق دي.

خرجت بكل عظمة وكرامة. ما شفتهاش تاني إلا بعد خمس سنين، نجمة كبيرة بتقدم أكبر برنامج توك شو. طلعت هي صح وأنا اللي طلعت غلط. الله يرحم السيدة والدة مارادونا. هي والسمعة بتاعتها.. وبتاعتنا..

26 - عن الألوان والأبيض والأسود..
إنسى يا خالد..

وبعدين بدأت مشوار طويل قاتل مذلّ مع حلم التليفزيون. كل ما اعمل حاجة حلوة إذاعة ألاقي الدنيا كلها بتقوللي إمتى بقى التليفزيون يا نجم، مفيش زيك ومفيش غيرك. وأنا أصدق واتحمس. واروح مواعيد وقنوات ومحاولات. قفلت الملف بتاع السيدة والدة مارادونا والمحطة كلها. وقلت اجرب المحطات المحلية، حكومة وخاص. بدأت بالحكومة.

اشتغلت الأول في قناة إخبارية، وعملت برنامج بيشوف فلوس المعونات بتروح فين ، وننزل في المواقع ونفضح البلاوي. جميل وكله بس مش دماغي. وبعدين قالولي في نفس مجموعة القنوات عايزينك تعمل دماغك بقى. برنامج في المنوعات كله تريقة وهزار ونقد من بتوعك. هايل، نبدأ نقعد مع المخرج والإنتاج وكده. 3 شهور غيروا عليّا 3 مخرجين، واحد قاللي مش هأقدر اشتغل معاك عشان النجاح هيبقى باسمك، والتاني قاللي عايزين نجيب رقاصات روس ونعمل استعراض زي الكباريهات. والتالت قاللي محتاجين نسهر كتير مع بعض عشان نعمل تطبيع فكري بين الأيديولوجيات بتاعتي وبتاعتك، بس لازم تشرب معايا.

بعد 3 شهور فوّضت أمري لله وقلت ارجع للأخبار، قالولي بعد إيه يا جميل، إنت بعتنا، واحنا مش عايزينك. رجعت للبرامج الإنجليزي، ووقتها كنت باعمل برنامج ساخر ومعاه برنامج سياحة حلو على البحر. بأروح كل حلقة في مكان مصري سياحي، وأعيش حياة السياح بالكامل، أنزل معاهم البحر واكل في المطعم، وأروح داخل ورا الجرسون المطبخ وأصوّر الناس وهمّا بيطبخوا. كان دمّه خفيف وتلقائي وعامل جو جميل. لغاية في يوم روّحت البيت لقيت مراتي بتقوللي لو سمحت اتفرّج على البرنامج وهاسيبك تحكم بنفسك. كنت دايمًا باصوّر وأطير، وعمري ما باشوف المونتاج أو المنتج النهائي، ولمّا شفت اتكسفت قوي. الكاميرا كانت على طول جايبة تفاصيل البنات وأجزاء معينة من الأجسام، مع المايوهات واللبس، أو بمعنى أصح قلة اللبس. راسي بين إيديّا ومتغاظ جدًّا، المفروض إني بأروّج للسياحة في البلدي، مش لحاجات قلة أدب. تاني يوم كنت مقدّم جواب اعتذار عن البرنامج، وفي نفس اليوم وقفولي البرنامج الساخر، عقابا وتأديبا. كده كملت، مفيش تليفزيون خالص. الحمد لله، المرة دي مرتاح وراضي.

شوية وكلّمتني رئيس قطاع فضائي حيوي. وقالت لي عايزاك، إنت النجم القادم، تعالى مكتبي بكره. رحت بكل حماس، وقعدت بره عند السكرتارية 3 ساعات، وناس داخلة وخارجة لغاية آخر اليوم. وبعدين قالولي دي خرجت من باب تاني معلش. انفعال وغضب وإحباط وخلاص. تاني يوم ألاقي تليفون منها، ماجيتش ليه، إنت فاكر نفسك مين يعني. يا فندم والله أنا جيت واستنيت بالساعات. كلام فارغ، تعالالي بكره وما تتأخرش. ورحت بكره وبعده وبعده. شهرين باخد أذون من شغلي وتقريبًا أجازة بدون مرتب. حفظت مجموعة السكرتارية اللي عندها. في الآخر وقبل ما انتحر قابلتها صدفة في الممر، مسكت فيها، وقالت لي أخيرا جيت! خدتني من إيدي ودخلت مكتبها أخيرا. وبعتت جابت مخرج جامد، قالت له اعمل حاجة لخالد بس بالراحة عليه عشان مش قدك. وقالت لي ما تشربش أي حاجة معاه، وابعد عن كلام السياسة الغريب بتاعك ده. مش فاهمينه وبنخاف إحنا من اللي مش فاهمينه. الراجل يا دوب قعد معايا ربع ساعة. سألني فيها على اسمي 10 مرات. وسمع مني اللي أنا عايز أعمله 5 مرات. وفي الآخر سألني بشكل مباشر: إنت ليه يا ابني عايز تعمل حاجة ليها هدف؟ له حق فعلًا. بعد 3 شهور انتظار وينتهي الأمر أوفسايد. شكرته وقلت له أوعدك هاكتب حاجة هايفة وأجيلك. كان آخر عهدي بالفضائيات الرسمي، بس اللعبة ما انتهتش.

وأنا في السعودية بأحجّ لقيت مكالمة واستدعاء عشان برنامج حكومي صباحي، هترجع كمان يومي وتطلع هوا على طول. بس أنا باحجّ وحضرتك متخيّل دماغي هتبقى عاملة ازاي. قاللي مش مشكلة، طول عمرك طبيعي واحنا عايزينك كده. طب بالمرة برضه حضرتك عارف دماغي وطريقتي مش بس الشعر والحلاقة. قاللي عارفين وعايزينك. خير يا شباب، بدأنا واستمرّينا لمدة شهرين، ورد الفعل كان جميل، لغاية يوم اتّريقت على مواكب المسئولين. خلصت الحلقة وقالولي عايزينك تقلّل شوية. أقلّل إيه بقى، عشان أفهم بس. لأ يعني قلل وخلاص. كانت آخر مرة أعمل البرنامج. قلت خلاص نكتفي بهذا القدر.

بس يا أخي كل ما تبيع الحاجة تلاقيها تجري وراك. شوية ولقيت اتصال من مسئول كبير قوي، كان يعرفني

من زمان ودايمًا يسأل عني لما يكون بره السلطة. المرة دي كلمني وهو في السلطة. قاللي تعالى، وأنا خلاص اتهريت من تعالى دي. بس طبعًا رحت، الأحلام والطمع والشهوة قاتلة. قعدت مع ناس كتير، والمرة دي الكلام كبير، هتبقى البرنامج الأساسي كل ليلة، إنت نجم إعلام الدولة الجديد، يللا نمضي العقد عشان ما تهربش مننا. يا رااجل! أنا أهرب؟ ده أنا هاموت على الفرصة، أعوّض كل اللي فات. مضينا، ومرت الأيام والأسابيع عشان نصوّر بقى. ولا الهوا. انتظرت وسألت واتحرجت وما لقيتش ردود، وفي الآخر يأست وسبت البلد.

كان لازم أسيب، قبل السفر بأيام قابلت صدفة الراس الكبيرة قوي في الإعلام، سألته بكل براءة، اشمعنى أنا؟ قاللي إنت واللي زيّك ما ينفعش نكتب عنهم لا حلو ولا وحش، مش لازم تبان خالص. قلت له أنا بأهزّر وباضحك، وبعدين فيه غيري نجوم كبار بيضربوا وينتقدوا في كل الاتجاهات، وأنا ولا حاجة جنبهم. قاللي دول تبع المنظومة، والأدوار مرسومة. التخبيط محسوب، لكن إنت بتخلّي الناس تضحك بس تفكّر وتحاول تقرا ما بين السطور. والتفكير مش مطلوب. الصراحة حلوة برضه. سافرت وبعت القضية، وبعدين قامت الثورة، ورجعت وأنا ناسي وقاتل تمامًا الموضوع. وربّك أراد أرجع للاذاعة، والبرامج الحمد لله تكسّر الدنيا، والحلم تاني كل شوية يطلّ ويطلّعلي لسانه. وأنا أضحك وأقول ابعد يا شيطان. مرة واحدة بس سألت طب إيه، برضه مفيش فرصة، شايفين الراجل أجمد واحد في الشلة بس ما يعملش حاجة؟ والمرة دي الرد كان برضه صريح. أصل حضرتك فيه مدارس في الإعلام، فيه الأبيض والأسود، وفيه الألوان. وإنت ألوان قوي. وناس كتير بتقلق من الألوان. عايزين الصريح الواضح. أنا ألوان ومش أي ألوان.. جانجان على سيكلامان. يعني حاجة مش مفهومة خالص. ومش ناوي أتغيّر. بازعل وأصاب بكل أنواع الإحباط لكن مش ناوي أتغيّر.. تستغرب ساعات وتسأل طب ليه الباب بيفتح كل شوية وبعدين يقفل على صباعك.. مالهاش إجابة.. مش مكتوبة.. بس كده..

27 - لما الرقّاصة اتكلّمت في الزكاة..

حظي وحش دايمًا مع الرقّاصات. وغالبًا دي حاجة كويسة. زمان كنت دايمًا باتلخبط بينهم وبين الممرضات، في كل الأفلام دايمًا الرقاصة كانت تقول إنها بتشتغل ممرضة عشان كده بترجع متأخر وكده. وبعدين تعاطفت معاهم قوي لما لقيتهم برضه في كل الأفلام بيشتغلوا كده أساسًا عشان يجروا على السبع عيال اليتامى اللي معاهم في البيت. والتعاطف انقلب لانبهار لما بدأت أتفرّج على تحية كاريوكا تحديدًا. كانت كأنها بترسم بكل ألوان الحياة. وغالبًا الأبيض والأسود كان بيدّي انطباع بالنضافة والرقيّ كمان. وبعدين دخلنا السبعينيات، وشفنا رقص يودي في داهية، تبقى عايز تخبّي عينيك ووشّك كله عشان ما تشوفش، وفي نفس الوقت بتضرب عينك برضه عشان تشوف. معضلة أخلاقية فنية مش سهلة.

وبعدين الموضوع ضرب خالص لما سافرت بره مرة وحضرت حفلة رقص شرقي، والرقاصة في الآخر طلعت راجل. ليه كده بس يا كابتن، بوظت كل أنواع الرقص وخيالاته. المهم يا سيدي اللي يخاف من العفريت يطلع له أكيد. القصة بدأت ببرنامج فضائي كنت باعمله لفترة محدودة، كالعادة، وكنا بنستضيف كل أنواع الفنانين، وغالبًا من الدرجات السابعة إلى السبعتاشر، عشان الميزانية. وفي حلقة منهم جت رقاصة نجمة فيديو كليب منحرف تمامًا، كانت عاملة ضجة بسبب حوار إنهم أجبروها مرة على الحجاب من غير ما تعمل حسابها أو تاخد بالها. وأنا طبعًا استلمت الموضوع على الهوا بتعاطف حقيقي، مع واحدة كانت فاكرة إنها رايحة مكان كله هلس وانحراف، وفوجئت إنه مكان بتاع صلاة وصوم، وشرّبوها حاجة صفرة ولبّسوها الهدوم. الكل كان بيضحك، وهي لقيتهم بيضحكوا فبدأت تضحك هي كمان، واعتبرت اني أكيد حد جامد.

خلص التصوير ولقيتها مستنيّة وسألتني بكل هدوء إذا كنت خلصت. قلت لها أيوه الحمد لله. سألتني بكل تحديد: بيتك ولا بيتي؟ نعم.. صمت وذهول وخضة وتوتر ورعشة مع كل الأفكار الشيطانية المتضاربة مع الإنسانية. بصوت متحشرج قلتها لأ ما أنا أصلي متجوز. قالت لي باستغراب أيوه ما أنا عشان كده باسأل، يبقى معناها إنه هيبقى بيتي. ودمعتي على خدي قلتلها لأ ما أنا برضه متجوز. بصتلي بكل اندهاش وقالت لهم الراجل ده ماله، ومشيت وسابتني.

زعلت قوي بس بصراحة حمدت ربنا، الحاجات دي مش سهلة، والكلام عن مقاومة الإغراء حلو وإنت ما شفتوش أساسًا. وبعدين الموضوع ازداد سوءا. كنت باصوّر برنامج كله فنانات مثقفات قوي، ما بين ممثلات إغراء وراقصات. كل حلقة كانت موقعة في الصبر والصمود ومحاولة اصطناع البرود. وعشان أعملها كنت باشرب مع كل حلقة قزازة اتنين لتر بيبسي أو كولا، متخيّل إنها بتدّيني قوة في مواجهة الولايا الأمامير دول. طبعًا ولا الهوا. في نهاية التصوير كنت باكشف عند الدكتور واكتشف إنه جالي قرحة عنيفة ولازم أعيش معاها وبيها. ما علينا. خلّينا مع الرقاصات. جت التقيلة بقى. برنامج رمضاني بالليل في الإذاعة وكله ضيوف من نار، وفي حلقة منهم لقيت الضيفة رقّاصة جامدة جدًّا، باتكلّم فنيا طبعًا. دخلت الاستوديو متحمسة بس قلقانة، عارفة اني دايمًا بأتّريق على الهلس والرقّاصات وكده، وشايلة هم الحلقة. والموضوع قلب دراما من أول لحظة، لما هي بصّت على الشاشة ولقت أول رسالة حد بيقول إزّاي يا عم خالد بتتريّق على الهلس وجايب لنا في رمضان واحدة(وكتب شويّة كلمات مش ولا بدّ أبدًا). هي شافتها والضغط كله ظهر عليها، وانفجرت في العياط. مش لاعبة، كفاية اني جايّة وشايلة همّك وهم لسانك، وكمان عارفة الناس على طول شايفين صورتي ازاي. مش ناقصة تهزيق وبهدلة، أنا ماشية.

مسكت فيها (مجازا يعني)، وقعدت أهديها وقلت لها مش هتمشي. طلعت عالهوا وبدأت الحلقة، وقلت للمستمعين غالبًا إحنا كبشر بنحب نصنف ونقيم غيرنا، ومش بنشوف أخطائنا إحنا عاملة ازاي. سهل علينا نقول دي وحشة عشان قالعة، وبينما المفروض حسابها عند ربنا، واحنا أساسًا مش عارفين حسابها قد إيه، بالمقارنة بالكدب أو الغش أو النميمة مع لبس كامل. وبعدين فيه آية جميلة بتقول (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا). كلنا فينا الاتنين. وإتحولت ليها وسألتها : احكيلي عن موضوع الخير اللي انتي عملاه وكفالة اليتامى وغيره. وانطلقت هي، ومسحت دموعها وبدأت تقول كلام من أجمل ما يمكن عن الغلابة ومحاولة تعليمهم، وتتريق على رجال الأعمال اللي بيرموا تحت رجلها فلوس تفتح مليون بيت، وتفتح في الحوار عن رعبها من الحساب وحبها للرقص، وتعاملها الذهني مع فكرة اللبس العاري وغيره.

والحلقة مشيت نار رسايل ومكالمات وكله. وهي مبسوطة، وأنا كمان.
وفجأة مع الفاصل لقيت مكالمة على الموبايل من رئيس المحطة. إيه يا خالد ده، معقول تتكلم مع راقصة في الحاجة المملة دي، محدش هيسمع. قلت له المكالمات والرسايل أضعاف العادي عندك، قاللي بس إحنا في رمضان يا عم خالد، وقلت له بالظبط، رمضان يا سيدي، مش وقت الكلام في الهلس. فقد الأمل في الحوار معايا، وقفل. دقيقتين بالظبط ولقيت مكالمة على الهوا من فنان جميل وكبير. بعد السلامات معايا دخل معاها في الحوار، سألها : فاكرة لما كنتي بترقصي والراجل السكران حاول يحط الفلوس فين؟ ضربت ألوان أنا، بس هي عادي، رقّاصة برضه، ضحكت وراحت معاه في السكة، وهو كمل بسؤال واتنين من نفس النوع، والحوار اتقلب تمامًا. وهو قفل، والحلقة كلها كملت بالرسايل في نفس الطريقة، وهي رجعت للي هي متعودة عليه. بعد الحلقة لقيت مكالمة من الفنان الجميل ده. اعتذار حار، رئيس المحطة استنجد بيه وقال له والنبي كلّم خالد على الهوا والحق الموضوع، ده خلّى الرقّاصة تتكلّم في الزكاة في رمضان.

ضحكت من الوجع، الناس دي بلدي قوي. وودّعت البرنامج، مش بمزاجي طبعًا، كان قرارهم. ما ينفعش الرقّاصة تتكلم في الحاجات دي. عيب. خلّيها رقّاصة.. وبترقص..

28 - أول عقد..

كان بقالي سنتين في الشركة وكنت خلاص هاموت أغيّر، ملول قوي أنا وباحب التحديات الجديدة. وكمان لسّه صغير وعايز أتعلّم. المكان ما يطمّنش. شقة تعبانة في أوحش حتة في المهندسين، والراجل جاي متأخر عليّا، ومراته وبنته جايّين معاه. طالع رحلة شكله. انطلق في الحواديت وعمّال يحكي عن نفسه والشركة والأحلام الكبيرة، عايز نبقى أكبر منظم معارض في العالم. أبهرني حماسه وطموحه، والقدرة على الحلم بدون حدود. قاللي أنا عارف اننا لسه بعيد قوي وتحت قوي، بس ده معناه إنه مفيش بديل غير الطلوع لفوق، وأنا شايف انك ممكن تاخدنا لفوق قوي.

كالعادة أحب اسمع الكلام الحلو والمجاملات، وأحب اللي يحسّسني بقيمتي ودوري وأهميتي. في نفس القعدة وافقت، من غير كلام في فلوس أو مرتب أو مزايا، المنظر لوحده ماكانش مشجع إني اتكلم في الحاجات دي. كان كل تفكيري إني اتعلّم كل حاجة في مجال المعارض والمؤتمرات، أقصى معرفة ليّا بكلمة معرض كانت عن طريق معارض السلع المعمرة اللي الواحد مستحيل يتجوّز من غيرها.

أول حاجة عملتها رحت معرض القاهرة الدولي، لقيته سمك لبن تمر هندي، كل حاجة وأي حاجة، قلت لازم نعمل معارض صناعية دولية متخصصة. بصّيت وقريت، ولقيت قوتنا الأكبر في مصر في صناعة الملابس والغزل والنسيج. كم المصانع اللي عندنا مغري جدًّا للمستثمرين وكمان لصنّاع الماكينات. والماكينات بحجمها الكبير هي اللي تملا المساحات وتعمل معرض بجد. الإنترنت كانت لسه بيبي، والمعلومات كانت محدودة جدًّا، عشت حياتي مع الدش والقنوات العالمية الفضائية، اليورونيوز كانت بتعمل كل يوم نشرة خاصة عن المعارض، قعدت شهر اتفرج عليها، وعرفت أكبر معارض في العالم فين، ورحت السفارات بتاعت البلاد اللي بتنظم المعارض وكمّلت قاعدة المعلومات عنها. وبعدين عملت منتج متكامل؛ معرض دولي صناعي متخصص في مصر بعد 8 شهور.

كان فيه تفاصيل مهمة لازم تكون موجودة، زي مثلا موعد المعرض، والمكان وقاعات العرض، والتصميم بتاعها، والمساحات وأسعار التأجير، والخدمات وكله. واحنا أساسًا مفيش معانا ملّيم نحجز تذكرة سينما. أخدت قرار مغامر جدًّا، حدّدنا معاد للمعرض، واخترنا المكان؛ مركز المؤتمرات، وتوكلنا على الله وكتبنا المعلومات دي في المطبوعة الوحيدة اللي ممكن نطبعها في ظل الميزانية المحدودة، مغامرة أيوه، وغش نسبي، بس والله كتّا متفقين لو فشلنا في تسويق المعرض هنلغي ونرجّع الفلوس لأي حد دافع، ولو نجحنا يبقى هنروح للدولة ونحجز المكان بجد.

بعد ما طبعنا البروشور رحت وبدأت أسوّق المعرض للوكلاء المحليين الكبار في مجال صناعة ماكينات الملابس الجاهزة والغزل والنسيج. مفيش مخلوق عبّرنا، واللي قابلونا اتّريقوا علينا؛ معرض متخصص إيه يا شاطر، كفاية علينا معرض القاهرة الدولي، وبعدين فين الفلوس عشان ندفع. ماشي، يبقى الفلوس عند المصانع اللي برّه، يبقى نروح للأصل. كان لازم اسافر معرض كبير في ألمانيا عشان أقابل كل العملاء الكبار في مكان واحد. كان معانا 10000 جنيه. حجزت طيارة وأوضة في بيت ست ألمانية كاسرة العدّاد مرتين، في السن والعقل. بس هنعمل إيه.

عندهم عادي في أوقات المهرجانات والمعارض إن الناس العادية تقلب البيوت زي الفنادق، والست أول مرة تستقبل سياح، وعاملة البيت كأنه عيد رياضي في كولونيا. كل يوم أكل غريب الأطوار، ولوحات في السقف لشياطين بتدبح عيال صغيّرة، والصواني بتاعت الفطار عليها صور أجنّة مشوهة. فيلم رعب لواحد أصلا بيترعب من كلب ضالّ. بقيت أدخل الأوضة وأقفل الباب ورايا، وعشان أطلع أدخل اروح الحمّام لازم خطة تمويه عشان الستّ ما تسمعنيش ولا تيجي ورايا، الفراعنة برضه مطلوبين في بلاد الفرنجة. بس أنا ولا يهمّني. كل يوم البس البدلة الشيك قوي، واركب المعدية واروح أرض المعارض الألمانية، وأنطلق في جولة حرة بازور فيها الأجنحة الكبيرة للعارضين، وأبيع لهم فكرة الاستثمار لمصر مش بس المشاركة في معرض.

تخيّل إنت بقى وإنت دافع دمّ قلبك في معرض في ألمانيا، ويدخل عليك بيه شرق أوسطي، وإنت عندك أمل تبيع له ماكينات بملايين، ويطلع جاي يبيع لك اشتراك في كمان معرض. مش سهلة خالص، وردود الأفعال كانت متنوعة، من أول اهتمام بسيط لغاية رفض وشبه طرد من الجناح. وأنا باخرج بكل شياكة،

وتعبيرات وشّي زي لعّيب البوكر، وأقف برّه واطلّع الآلة الحاسبة كأني باحسب الفلوس والشركة دي اشتركت وهتدفع كام. وأنا من جوّه محبط تمامًا، بس باكمّل وباقول يا رب. والجناح اللي قدّامه ينتظر دخولي له، وانا أبصّ عليه من فوق لتحت وأتجاهل. وأرجع البيت مكسور ومهزوم، وخايف من تيزة كمان. وأقفل على روحي لتاني يوم وأنا شعّال صلاة وقرآن ودعاء. وتاني يوم أروح نفس المنطقة، عند الراجل اللي ما دخلتش عنده، واعدّي قدّامه في وقت تاني وبلا أدنى اهتمام، وهو اللي يندهه عليّا ويطلب مني ادخل واحكي واشرح. والصبر فعلًا مفتاح الفرج.

المعرض كان خمسة أيّام، وفيه أكتر من 700 مشاركة. مش هابالغ لو قلت اني زرت منهم فوق الستّميت جناح. منهم اللي فضل قافل ورافض، ومنهم اللي طلب نتكلّم بعد المعرض. ومنهم اللي قعد معايا في آخر يوم، ودخل في التفاصيل والفلوس والمواعيد. وواحد منهم، واحد بس، مضى معايا العقد. أول عقد. 500 متر مربّع إيجار. 200 ألف دولار. أول عقد. مفيش حاجة مستحيلة. بالفلوس دي هنبدأ من الأول. وهنعمل معرض عظيم، وهينجح ويبقى أكبر معرض ومؤتمر دولي صناعي متخصص في الشرق الأوسط، وهنكسب ونكبر قوي، والراجل بعد ما يكبر ويكسب كتير هيرجع تاني زي زمان، وياكل فلوس وحقوق ناس كتير. بس مش ده المهم..

وقتها كنت طاير من الفرح. كنا بادئين من لا شيء. أساسًا ما كانش فيه حجز لقاعة المؤتمرات. ماكانش فيه معرض، ولا فيه أمل. بس بقى فيه. بالصبر والعمل.. أول عقد في حياتي.. مفيش مستحيل..

29 - شروة الأجانب.. لمّا نضّفنا الملعب..

ماعنديش أي اعتراض اشتغل مع أي جنسيات. كلنا ولاد آدم وحواء. بس قلبي بيوجعني لمّا ألاقي أجانب درجة تالتة في الخبرة والكفاءة جايّين بلدنا وبياخدوا خيرنا وفرص العمل، من غير ما يضيفوا أي قيمة.
كنت لسّه رايح الشركة العالمية الكبيرة، وبعد أول أسبوع كنت في دبي باقول لهم على الموقف والتحليل والتحديات والأولويات. ومديري ولا كان بيسمع أصلا. بعد ما خلّصت كلامي قاللي بص يا ابني عايزك تركّز معايا. فيه تلاتة عندي محدش يلمسهم. الإيطالية عشان علاقاتها جامدة في سويسرا ومظبّطة مع الكبار. والهندي عشان إنت عارف الهنود همّا المركز الأساسي بتاع كل الخدمات ومن غيرهم هنموت. والألماني عشان ده تبع الراجل الكبير في سويسرا مباشرة. أي حد تاني اعمل اللي إنت عايزه. أي حد تاني اللي همّا كل المصريين. ما وعدتش. قلت له إن شاء الله ناخد أحسن ما عندهم ونشتغل معاهم زي الباقيين.
ورجعت مصر، وفي نيتي أستفيد أقصى فايدة منهم، عشان كانوا بيكلّفونا كتير قوي. قوي.
بدأت مع الإيطالية. من أول يوم لقيتها مش عاملة شغل خالص. سألتها ليه، عيّطت وقالت لي مديري اللي قبلك عمره ما وقف جنبي. أنا عامةً باقف جنب أي ست إيطالية. وجنب أي ست بتعيّط. وجنب أي حد بيشتغل. قوليلي طلباتك وانا معاكي وهاحميكي. واتفقنا على خطة وجدول زمني وأهداف. وكل يوم اعدّي واسألها إيه الأخبار؟ تقوللي لسّه، وأصل ومعلش والناس والظروف. وانا خايفة في مصر ولوحدي. كانت وحدانية فعلًا، ونفسها ومنتهى أملها تتجوّز شاب مصري من بتوع الأقصر غالبا. بس مش بتاعتنا دي. قلت لها أنا ادّيتك كل الدعم، فين بقى النتائج؟ فقدت أعصابها قدّام الناس وقالت أصل المديرين المصريين دول (.....). شتمت. غلطة عمرها وفرصتي.
الشركات العالمية ممكن تعمل فيها كل حاجة، إلّا إنك تغلط في الناس الجولواز (اللي همّا مش مظبوطين يعني)، أو إنك تغلط في الستّات، أو إنك تقلّل من قيمة جنسية تانية. قدّام الناس مثلت دور الصدمة الرهيبة، وأبديت الرفض والاستياء الشديد. اللي عملتيه ده نوع من العنصرية والتعميم، وده غير مسموح لسه عندنا في الشركة. اعتذرت ورفضت. قلت لها لو الموضوع يمسّني كنت يمكن اقبل، لكن دي كرامة بلد وسياسة شركة عالمية. انفعلت وسخنت وطلعت وقدمت استقالة من مصر في نفس اليوم، وأنا ما صدّقت وقبلتها في نفس اليوم، وبلّغت مديري. غصب عني والله، الست لمّا تقرر ما ينفعش تغصبها.
الراجل قبل على مضض، وأنا أعلنت في نفس اليوم لكل المستويات في مصر وبرّه...
راحت. وادّيت مكانها لواحدة مصرية تألقت مكانها وعملت شغل كبير. دخلت على الهندي. دخل عليّا نفس الفيلم. إنت جيت من السما، ومديرتي كانت مبهدلاني، وانا مش لاقي فرصة أظبط نفسي. قلت له الفرصة معاك. اعمل الخطة بتاعتك وحدد أهداف ومعايير قياس ومواعيد، وأنا معاك. حماس إيه بقى! هيكسّر الدنيا. وتفوت الايام. فين يا ابني. ولا الهوا. أعذار أعذار أعذار. وبعدين في يوم كلّمني مديره بتاع الهند. قاللي الولد غلطان ومش بيشتغل، بس عشان خايف على مستقبله. المفروض ندّيله عقد جديد لمدة سنة. طب أدّيله عقد إزاي سنة وهو أساسًا ما عملش أي حاجة في 3 شهور؟ معلش عشان خاطري. ده تقريبًا كان مجمل كلام مديره. عشان كنت بافهم الانجليزي بتاعه بصعوبة شديدة، وأرد عليه بكلام عمومي من نوعية(والله ممكن، فيه احتمال، كلامك معقول بس مش أكيد).
لقيت مكالمة جايّة من مديري في دبي. خلّص مع الهندي واعرض عليه عقد. حاضر يا مدير. بس هنعمل العقد حسب القواعد، والفلوس حسب القواعد برضه. كنت واثق إنه هيرفض. العيون بتفضح الطمع. شاف العقد وقاللي أنا عامل حسابي على الضعف. حسبتها معاه بالورقة والقلم. هتحوّش من مرتبك 90 في المية. قاللي بس الحياة هنا برضه غالية. يعني مثلا قزازة البيرة في فندق خمس نجوم مش أقل من 300 جنيه. بس يا سيدي. فرصتي. قلت له ابعتلي كلامك ده رسمي. والراجل بعت. وانا حوّلت على مديري وقلت له اتفضل يا سيدي. وشرحت إن البيرة غالبًا أرخص 100 مرة في السوق، وممكن برضه يشرب بولوناكي من بتاع زمان، التلاتة لتر بعشرة جنيه باين. تحب أنا أرد ولّا انت. عشان إنت عارف الشركة عايزة توفير فلوس وكده. الراجل ضرب ألوان. وبكل عصبية قاللي خلاص. يرجع الهند. بس خد بالك بقى؛ العين عليك مع الألماني. لو لمسته إنت اللي هتروح فيها. في سويسرا بدءوا يقولوا إنك شغّال وطنية وعنصرية لأهل بلدك. يا راجل! عملت البريء والحزين والمصدوم. وقلت له كله بالورق ورسمي وعلى

إيدك.

وركّزت بقى مع الألماني... حبيبي ده. شاب متحمس مسئول عن إفريقيا. المفروض يتابع خمس بلاد. والواقع إني حاطط خمسة في الفريق همّا اللي بيتابعوا معاه. الراجل ياخد مسئولية الموضوع، يبعت إيميل وينسى الموضوع. ومفيش حاجة تحصل والموضوع يضرب ويولّع. ولمّا اتكلم معاه يطلع بتلاتين عذر، وإزاي الناس بيضحكوا عليه، وإزاي إنه ماكانش متخيل إني اقصد المواعيد دي بنفس الدقة دي. قلت له يا ابني ورّيني جواز السفر عشان اعرف إنت ألماني بجد ولّا إيه. وهو يعيّط ويقوللي إنت ألماني أكتر مني. وهو كل تفكيره في الأجازات وترتيب الرحلات. لغاية في يوم ما ربنا كرمني من عنده. مشروع في دبي تبع إفريقيا، أقنعته يقدم فيه فورًا. وقلت له دي فرصتك الأخيرة ولّا إحنا هنلبسك. قلتها بالإنجليزي we will wear you. وغالبًا الراجل فهمها. مديري وصل له الطلب ومعاه مستندات دعم مني، الألماني هو الاختيار المثالي، أساسًا مسئول عن إفريقيا، وانتم عايزين مصر تقلّل المصاريف. وانتم بتقولولي الراجل جامد وموهوب وحبّوب. اتفضل بالهنا والشفا.

أخدوه. وأكلوه وشربوه. وأنا اعتبروني داهية في دبي. واعتبروني بطل في مصر. وانــا لا ده ولا ده. أنا موظف بيطبّق النظام على الجميع. بغض النظر منيــن. النظــام مــا يعرفــش جنسية. كانت شروة مضروبة.. راحت في الوبا..

30 - لمّا الصعايدة رفعوا السقف..

بداياتي في الهندسة كانت عصيبة. ما كنتش فاهم أي حاجة. اللي اتعلمناه في الكلية حاجة واللي في المواقع كان حاجة تانية خالص. قعدت شهرين مكسوف أسأل يعني إيه نصّ لينيا، وطلعت في الآخر مقاس في الحديد، وانا لسّه متمسك بالمبادئ الحلوة بتاعت المليمتر والسنتيمتر. كنت آخر دلع ولسّه مش مستوعب يعني إيه وظيفة ومسئولية وكده.

أول وظيفة كانت إشراف على التنفيذ في موقع كبير، مع مكتب استشاري. ما كنتش باتعلم أي حاجة، باروح اقعد في الموقع بالساعات، وهزار وضحك، وساعة الجد بييجي المهندس الاستشاري صاحب المكتب يلغي كل الموافقات اللي انا ادّيتها ويدّيني محاضرة في أساسيات الهندسة، ويحكيلي عن أمجاده الطويلة كمهندس استشاري ياما أجبر ناس تهد اللي بنوه بكلمة منه. وأنا من ناحيتي بقيت اعمل فيلم مماثل مع ملاحظ الإشراف اللي تبعنا في المكتب. بقيت ادّيله محاضرة برضه في جهله الهندسي، وأستعرض عليه عن رحلاتي برّه مصر وقدراتي الإنسانية واللغوية وكده. أسطوانات.

وبعدين زهقت من الأسطوانات، قلت لنفسي استرجل بقى واشتغل مهندس تنفيذ في موقع. قدّمت في وظائف الإعلانات المبوبة، وجاتلي وظيفة في شركة قطاع عام شغّالة مشروعات إسكان متوسط في المقطم. الحقيقة ما كانش متوسط، كان منخفض، أو بمعنى أصحّ منعدم، كان ناقص نكتب على كل عمارة يافطة بتحدد العمارة دي هتقع إمتى. النظام كان غريب قوي. المشروع ملك للدولة اللي هي محافظة القاهرة، والمحافظة تعاقدت مع وزارة الإسكان، والوزارة عهدت بالمشروع للشركة بتاعتنا اللي هي القطاع العام، وشركتنا جابت شركات صغيرة تنفذ المشروع، والشركات الصغيرة بالمرة جابت مقاولين من الباطن ينفذوا الشغل مكانها. مهرجان بقى. ومقاولين الباطن مش لازم يكونوا مهندسين، من كل الأصناف كان فيه خريجين تجارة وآداب، وغالبًا برضه قضايا آداب. وكان فيه شاب سوداني جميل اسمه كاريكا. بيقول إنه لاجئ سياسي في مصر، وبقاله 13 سنة في كلية حقوق. حبّ يشغل وقته بحاجة مفيدة فقرر يشتغل مهندس، عادي. كان واخد عمارتين في المشروع وما شاء الله أسرع واحد بينجز في كل العمارات، لدرجة إن كل المهندسين في العمارات التانية كانوا بييجوا يسألوا عن النصايح ويعملوا إيه لو فيه مشكلة في السقف أو في الأعمدة.

وفي يوم رومانسي هادي كان مفروض ياخد موافقة العشر جهات المالكة والمشرفة على سلامة السقف، عشان يصبّ الخرسانة تاني يوم. طلعت المجموعة كلها معاه على السقف بتاع العمارة الأولى، والراجل كان عامل شغل زي الفل، الشدّة الخشبية اللي هي بتشيل الحديد والخرسانة تمام والحديد تمام، مهندس مهندس يعني. وبعدين طلب من المجموعة ينزلوا تحت وعزمهم كلهم على الفطار، على بال ما السقف التاني في العمارة التانية يجهز. وطبعًا محدش يرفض عزومة على الفطار، خصوصًا الفطار الملوكي بتاع العشة المضروبة، اللي هو فول بكل أنواع الحشرات والنفايات. مناعة. الناس قعدت تاكل، وكاريكا بدأ عملية النصب، رجّالته بدءوا يفكّوا الخشب من السقف الأولاني اللي اتوافق عليه، عشان يكمّلوا بيه السقف التاني، الراجل يا عيني ما كانش عنده خشب كفاية، وكان عايز يخلص.

الناس فطرت وطلعت العمارة التانية ووافقت على صبّ الخرسانة في السقف التاني. عادي، بتحصل. لكن اللي حصل تاني يوم ما كانش عادي. كان يوم جمعة، وكاريكا وصل الموقع من بدري ومعاه الرجّالة. وعشان يكسب وقت ويوفّر فلوس قرّر يصبّ السقفين مع بعض. وعشان يكون عادل ومنطقي، قسّم الشدّة الخشبية على السقفين. وبما إن الخشب مش كفاية، كان طبيعي مع ضغط الصب والخرسانة إن السقف ينهار. وهنا حدثت المعجزة المصرية الأصيلة، منظر ما شفتش زيّه في حياتي. العمال الصعايدة الجدعان اللي في الموقع كلهم تجمعوا، وطلعوا السقف اللي عليه العين، وبكل بساطة شالوا بعض ووقفوا على الطوب العالي، وسندوا السقف بإيديهم وسواعدهم الحديد.

ما شاء الله. تخيّل المنظر. فوق الخمسين شاب صعيدي واقفين ساندين السقف لمدة تزيد على الخمس ساعات، لغاية ما الخرسانة تشُكّ، تتماسك يعني. وأنا باتفرج ومذهول. والشباب منطلقين في أهازيج صعيدية حماسية وجميلة. واليوم عدّى والخرسانة تماسكت، والناس أخدت بعض بالأحضان زي يوم التنحي كده. بس تاني يوم الصورة الحقيقية ظهرت، زي ما بعد التنحي برضه. دخلنا الموقع لقينا الدنيا مقلوبة.

السقف كان عامل زي طبق الشوربة. ساقط في النص وماسك نفسه في الأطراف، سلطانية. الدنيا انقلبت، ومدير الموقع واقف يصرخ بجنون، وبيحلف بأغلظ الأيمان إن المهندس بتاع الشركة المشرف على العمارتين دول هيروح في داهية. مين المهندس المسئول؟ بهدوء قلناله المهندس محمد. والمهندس محمد كان ابن اخت مدير الموقع. ومدير الموقع في لحظة ضرب ألوان. وانفعاله الرهيب تحول لنظرة حزينة من بتوع محمد هنيدي لمّا اتمسك في بيت الدعارة في الفيلم. بصوت كله شجن قال له: ليه كده يا حمادة؟ ليه كده يا حبيبي؟ وبعدين في لحظة رجع أسد تاني. يا ولاد كله يجمع. هاتولي بتوع النقاشة. عايزين نملا الفراغات اللي في السقف دي. بأي طريقة يا ولاد..

انسحبت أنا في عدوى وخوف. ورحت على العشّة بتاعت الفول والحشرات. كنت محتاج اطلّع الطاقة والتوتر في الأكل النضيف. بس القدر لا يرحم. لقيت المهندس سيد المقاول بتاع عمارة 14 جايلي يستنجد بيّا. الحقني يا باشمهندس. تخيل بعد ما طلعنا بالأربع 3 أدوار، اكتشفت إننا نسينا نعمل سلّم للعمارة. يا رااجل!! أنا ناقصك دلوقتي!! أنا أساسًا عمّال بافكّر إنهم لازم يكتبوا على كل عمارة يافطة بتقول هتقع إمتى. عايز مني إيه طيب يا سيد؟ والنبي يا هندزة ترسم على ورقة كده حتّتين حديد وبقية اللوازم عشان نعمل السلم. أنا لقيت حتة ورا كده ممكن يطلع منها. وإنت ما تعرفش تعملها يا ابو السيد. ممكن بس مش عايز أفتي، ما حضرتش أصلي المحاضرة دي في المعهد. عينيَّا يا ابو السيد. دقيقة بس اروّح اجيب قلم ومسطرة وورقة من العربية.

ورحت وركبت العربية. وطلعت على البيت. وقدمت استقالة تاني يوم.. ومن يومها بطّلت الهندسة خالص.. حتّتين حديد وسلطانية. الله يرحمهم جميعًا..

31 - لما ترفض تكون مكسور..

جالي عرض من شركة مصرية كبيرة أوي. كان المفروض الشغل يكون من سويسرا وأنا طلبت أشتغل من مصر. يا راجل! محدش كان مصدق، حد يسيب الدولار والاستقرار والدلع ويجي في عز النار.. أنا كده يا سيدي.. عملت فيها واعي ورتبت أموري كويس.. عقد 3 سنين، ولو ضايقوني أقل حاجة أمشي وآخد فلوسي المدة الباقية. سمعتي كانت سابقاني إعادة هيكلة وتطوير إمكانيات وكلام كبير. قالولي كل طلباتك مجابة، واللي عايز تغيّره غيّره، واللي عايزه يمشي يمشي. واستخرت وتوكلت وبعت كل حاجة في دبي ورجعت.

الأيام الأولى كانت كالمعتاد حماس منقطع النظير، وناس عندها أمل فيك كبير، وكل البلاوي والمشاكل تطلع قدام عينيك، وزّينا هتعمل إيه يا جميل. وأنا أموت في الحاجات دي. هامشي على الكتاب. البيزنس الناجح لازم يكون فيه 3 حاجات، مكونات وأحجار أساس، هنشوف ونقيس ونقيّم كل حاجة، اللي مش موجود هنعمله، واللي موجود وشغال وحش، هنصلّحه واللي موجود وشغّال حلو هنربطه بالباقي. ومش عايزين حد يمشي إلا السلبي أو الحرامي أو الفاسد. اللي بيقاوم غالبًا بيعملها خوفًا، والعدواني محدش علّمه يتعامل إزّاي. كلنا بشر يا ولاد، هنعملها مع بعض، وإن شاء الله ننجح كلنا مع بعض. وبدأنا الرحلة. في الأول كان فيه حاجات جميلة، أول مرة بعد 3 سنين تحصل زيادة مرتبات وحوافز. ما كانوش مصدّقين، بس عملناها، وكمّلنا وراها بنظام لتقييم الأداء ووراها خطة تدريب وتدريب مدربين. شوية شوية ناس كتير بدأت تدخل في الدين الجديد، والمقاومة قلّت، والأفكار الإيجابية زادت. بس الدنيا مش وردية أوي كده، دخلنا في المشاكل بقى.

الأول كانت في شكل سرقات واختلاسات بقالها سنين، مديرين كبار عاملين ثروات باستغلال موارد الشركة وممتلكاتها، نهبوا ملايين. كشفناهم وبلّغنا عنهم. لقينا الرد الجميل، خليهم، إحنا عارفين، وكاسرين عينيهم. يا رااجل! بس الرسالة وحشة قوي للباقيين، بنقول لهم اللي بيسرق بيفضل ملك. معلش يا خالد متشغلش بالك. إنت عملت اللي عليك وبلّغت، ونصحت، القرار في الآخر مش بتاعك. أيوه يا سيدي بس القرار في الآخر أنا اللي بأدفع تمنه، محدش هيصدّقني لمّا اتكلّم تاني عن إصلاح وتغيير. آذان صمّاء وابتسامات صفراء، ورد باهت من نوعية بالتوفيق يا خالد.

الجميل بقى في الموضوع إن كل ده كان بعيد عن الراجل الكبير، عمري ما باعرف أقابله، زي العادي مع كل راجل كبير، بس ماشي، مش محتاج أقابله، أنا قوي من غيره، وهو قاللي إنه ورايا بكل الدعم والمساندة. دخلت بعدها في خطط التغيير، بعد التقييم لقينا ناس ما تنفعش، مش عايزة تتغير ولا تستجيب. طلبت مرة واتنين نقلهم أو فصلهم مفيش استجابة. الحرامي تلاقيه بعد الاختفاء شويّة يظهر في مكان تاني، والميت اللي رافض يشتغل كل يوم يجيلك يطلّع لسانه. ما ينفعش كده. المرة دي طلبت أقابل الراجل الكبير، وبرضه قالولي ما ينفعش، مش فاضي، مسافر، مشغول. طب إيه، ممكن مكالمة تليفونية 8 دقايق، الله على الدقة والأهمية.

المكالمة كانت محتاجة مذاكرة واستعداد، ما قل ودل يعني. والراجل الكبير جميل وأنيق ولسانه سكر. بس أفعاله صفر.. قلتله عايز أمشي، قالي في حد يمشي من الجنة. قولتله إنت بتدفعلي فلوس كتير ومش بتاخد مقابل..قاللي عجبتني، طلباتك. قلتله إنت عارف، فلان يمشي وفلانة ننقلها لمكان تاني وتوافق على الخطة دي، وتستبعد أهل الثقة المزروعين في كل مكان. سمعني بكل روقان، وفي الآخر قاللي كل طلباتك أوامر. ابعتلي كل حاجة دلوقتي، وبكرة الصبح نبدأ التنفيذ. مشيت وأنا بارقص، قضيت الليلة بخطط وبحلم، بعت كل حاجة، تاني يوم الصبح دخلت مكتبي، لقيت مراكز القوى كلها طارت. لكن المفاجأة الأظرف كانت في أسماء اللي حل محلهم.. برضه أهل ثقة. والمرة دي خبرة أقل واندفاع أكثر. وأنا في لحظات الصدمة والإحباط جالي واحد من اللعّيبة الكبار قوي، قاللي يا ابني لازم تقابله وجها لوجه، وأنا أقولّك ازّاي قدّامك حلّين. الأولاني إنك تطلع بالطيارة على شرم الشيخ، ووقت صلاة الجمعة بالذات تعدّي صدفة قدّام باب الفيللا بتاعته، يشوفك هو وينده عليك، وتدخل وتقعد وتتكلّم. فكرة حلوة بس بالنسبة للصلاة؟ على سفر إنت يا خلّود، وبعدين العمل عبادة. ليك حق برضه، طب ممكن الحل التاني؟ ده بقى أسهل بكتير، فيه مكان حلو بتاع الليل وآخره، ممكن تروح هناك بس بعد الساعة واحدة بالليل،

وتقعد، وتروّق، وتنسى، وتشرب، وترقص. وفي الآخر تتكلّم معاه وتاخد اللي انت عايزه. حسّيت ساعتها إنه الأسهل إني أفوّت صلاة الجمعة. سبته ومشيت، نزلت اتمشى في الشوارع، مش عارف أعمل إيه. الاختيار المفروض سهل.. مرتب بالدولار وقدامي سنتين كمان مضمونين، وشغل خفيف وجنب البيت والنادي والإذاعة.. عيش واتدلع وانسى.. واربط الحمار مطرح ما يروح صاحبه. البديل مرّ. وقتها مصر كانت في أسوأ حالاتها، وبرنامج الإذاعة واقف، وفرص السفر تاني معدومة. بس برضه، الاختيار كان سهل..

ممكن نكون بنعمل بلاوي في حياتنا، لكن فيه حاجات كتير ما نقبلهاش. إحساسي إنها فلوس حرام حتى لو صاحبها راضي ما كانش إحساس حلو. وفكرة إني أبقى عارف وقابل الغلط يخلّيني زي اللي بيسرقوا تمام، هو عارف وانا عارف. وكله كوم ونظرات الصغيّرين كوم تاني، بيقولوي إني طلعت زي غيري، الفلوس هي ملّتي وديني.

المفروض بصراحة خصوصًا في الزمن ده، لكن مش اللي زيّي. كنت قبلتها من زمان، وقتلت الضمير. مش عايز انا كمان عيني تبقى مكسورة. تاني يوم كنت مقدم استقالتي وسايب أغلب مستحقاتي، وسبتها على الله، مفيش أكرم منه.. شهر بعدها وكنت في شغل جديد، ومغامرة جديدة. بس خير..

الرضا لمن يرضى، رضيت أنا. وأول يوم شغل كانوا بيكلّموني ويقولولي إن برنامج الإذاعة رجع.. الرزق في السما.. المهم نستحقه.. مش عايز انام مكسور.. سبت الدولار..

32 - لمّا القلوب تبقى سودة..

يوم ما مضيت عقد الشغل الجديد، قالولي خد بالك منها. سارة؛ واصلة لفوق قوي وعصبية قوي وشريرة قوي. ضحكت وقلت عدّى عليّا زيّها كتير. وبعدين هي غالبًا هتفرح بيّا في الآخر. خصوصًا لما تكتشف إني أنقذتها بدل ما ارفدها.

بيبقى دايمًا عندي القناعة الساذجة إني كويّس قوي وكل الناس هتكتشف كده في الآخر، محدش بيشوف نفسه وحش. الأجانب قالولي لازم تخلص منها، أصلها من العصابة القديمة وأهل الثقة اللي جايبين الشركة ورا. وقتها قررت اخوض التحدي واغيّرها. كانت مشاكلها مع كل الناس كتير. وكان فيه تخبيط كتير. والخوف منها كان كبير. لسان طويل وإهانات، ومعاملة للغير كأنهم كلهم خدم وحشم. والكلمة الحلوة زي حمام العيد الكبير؛ نادرة وعنيفة. وروايات غريبة عن علاقات في الظلام، وسهر ورقص وكلام. ما صدّقتش. ياما قالوا عليّا كلام أنا كمان عن العلاقات والسهر والاتصالات.

قعدت معاها نتفق على أسلوب التعامل والشغل. فاجأتني من أول ثانية. إنت مين أساسًا. أنا ماعرفكش. ده بيتي ومكاني، وإنت والأجانب اللي جايبينك هتطيروا بسرعة قوي. مش ناوية اسمع كلامك. قلبت أنا الوش التاني. هتسمعي غصب عنّك. مديرك أنا. ولو مش عاجبك تمشي. وبدأت الرحلة. الفصول الأربعة في اليوم الواحد. خناقات وبعدين ضحك وبعدين هزار وبعدين ألعاب. كنا ننهي كل يوم بقعدة حلوة مع بعض، نتكلّم ونتصافى ونصارح بعض باللي في القلب. واشرح لها إني مش جايّ اخد مكانها وأنا أساسًا أكبر منها بكتير. واشرح لها إزاي ممكن تتعلّم وتستفيد. وتصارحني بمشاكلها ومخاوفها. وتهدا. وتسمع. وبعدين تفتح وتحكي. وتستريّح وتسألني. واقول وانصح واشرح. نقفل اليوم صافي يا لبن وحليب يا قشطة. بس سبحان الله يا أخي! تاني يوم الصبح اوصل المكتب ألاقي لغم ينفجر فيّا. والهانم السبب. أتعامل معاه وارجع وأقوم بالواجب معاها، وبعدين اسألها عن اللي حصل. ما إحنا كنا كويّسين. تقوللي أصلي بعد ما باروّح بأقعد أفكّر واقول أكيد يقصد حاجة وحشة، أصل مش ممكن تكون عايز الخير ليّا وانا باعمل اللي باعمله معاك. طب وتعمليه ليه يا بنتي؟! ما بلاش.

الغضب والخوف والعدوانية والقلق كانوا بشكل غير طبيعي، وكمية العنف وطول اللسان والتهزيق للناس اللي شغّالين معاها برضه كانت غير إنسانية. لجأت للتاريخ والمعلومات، أكيد فيه حاجة حصلت وهي صغيّرة مثلا. دوّرت وسألت وعرفت؛ مفيش حاجة خالص، حياة طبيعية وطفولة متدلّعة وكل شيء جميل. ارحم نفسك يا خالد، مش كل حاجة لازم يكون وراها عقدة نفسية، فيه ناس بتحب تكون سخيفة، بتحب تطلّع عين غيرها، من غير أسباب، قابيل قتل هابيل في يوم اتنين في التاريخ، من غير أي بيزنس ولا مناصب ولا مشاكل ولا غيره. البشر كده، تعامل معاها من غير ما تتشحتف وتتأثر بيها. تعاملت أنا، والأمور بدأت تسوء، وبقيت آخد قرارات وهي توقفها في نص الليل، هي تعاقب ناس وأنا ألغي العقاب، بقى سيرك عالمي، وهي ليها علاقات جوّه المكان وبتستخدمها كل ما تتزنق معايا، منهم ناس كبار بيكسفوني واضطر أرجع في كلامي معاها. ما بقيتش عيشة دي.

رجعت للراجل الكبير وقلت له ما يصحش كده. كل اللي عايزه تدّوني السلطة معاها، وأنا كفيل اطلّع منها شغل جميل. وعدني مرة واتنين وتلاتة. وبرضه مفيش فايدة. والراجل برضه كان غريب وصريح للغاية، قاللي البيزنس الصح كده، ما ينفعش القيادة والثقة تبقى مع واحد بس، لازم أكتر من حد، عشان لمّا تختلفوا مع بعض أعرف أنا الحقيقة. يا رااجل! طب وافرض إننا اتّفقنا؟ قاللي عمرها ما بتحصل، صحيح إنت جامد وبتاع إدارة وبشر، بس أنا ما عملتش مليارات من شويّة، أنا شفت ولفّيت وعرفت الطبايع والنفوس، والفلوس والسلطة والعلاقات تقتل أجمل الأحاسيس عند البشر، وتخلّيهم عبيد المال والجاه. مش هتتّفقوا يا خالد، كل واحد فيكم من طينة مختلفة.

كلامه كان القشّة الأخيرة اللي قصمت ظهر البعير، جملة كبيرة معلش، بس ده كان إحساسي وقتها. زهقت وطهقت. كان فيه مشاكل كتير.، وهي كمّلت عليّا، وكلام الراجل ضلّمها تمامًا. قدمت استقالة ومشيت، وقبل ما امشي سلّمت عليها بكل ود. الشغل حاجة والإنسانية حاجة تانية. كنت مقتنع إنها غلبانة وطيبة من جوّه، بس ظروف المكان بتطلّع أسوأ ما فيها. قلت لها كلمتين حلوين. بس نظرتها وسلامها كانوا مؤلمين قوي. كل الغل والسواد اللي في الكون. واحساس بالشماتة والانتصار في ماتش أنا أساسًا

ما لعبتوش. مشيت وقلت لنفسي مسيرها تعرف. وبعد ما مشيت بفترة عرفت إنهم نقلوها لحاجة صغيّرة. وظيفة مالهاش لازمة في قطاع ميت. كلهم وقتها قالوا يعني الراجل كان مظلوم، ما كانش جاي يطيّرها. كان جايّ يسندها ويعلّمها، وسبحان الله طارت بعد غيابه. وحكولي عن المرارة والحزن اللي كانت فيه بعد ما اتهانت وسلطتها راحت ومعها الجبروت.

ومرّت السنين عشان نتقابل تاني. خمس سنين. حفلة متدلعة بتاعت الليل وآخره. شفتها من ضهرها، وبكل حماس ندهت اسمها ورحت لها. باحب الناس وبانسى الوِحش ليهم، وباتمنى منهم نفس المعاملة. قلت أكيد هتستقبلني بالأحضان، بعد ما عرفت وقفتي معاها. سبحان الله يا أخي! نفس النظرة ونفس التوتر. نفس الغل والسواد. في ثواني حماسي تراجع، وسحبت إيدي وقفلت حديث ما كانش بدأ أساسًا. وأنا مبتسم زي العادة. وسايبها مكشّرة زي العادة. باسأل نفسي: هل كان صح اني أمّد إيدي ليها، أول مرة وتاني مرة.. وباردّ على نفسي واقول كنت هاندم لو ما عملتش كده. محتاج أبطّل القناعة القوية إن كلنا كويّسين، الفطرة نضيفة آه، بس الدنيا بتغيّر كتير.

غريبة النفس البشرية! الإسود بيفضل إسود والأبيض بيفضل أبيض.. فيه ناس ما بيتغيروش.. وساعتها ما يستاهلوش.. مشيت ومش ندمان.. بس الإحساس بالمرارة مش بيروح.. بتوجع برضه..

33 - اللي خبّت.. واللي كدبت..

في الشركات الكبيرة تعيين موظف جديد بيبقى ملحمة إغريقية، خصوصًا لو الوظيفة إدارية ومش بتجيب فلوس، مش زي عندنا همّا، مفيش وظايف جدعنة ولا مجاملة ولا رد جميل. عندهم معادلات محددة؛ نسبة الوظايف المنتجة واللي بتجيب فلوس لازم تكون على الأقل 70 % من عدد الوظايف الإجمالي، ونسبة الوظايف اللي بتواجه العملاء وتقدم لهم خدمات مباشرة لازم ما تقلّش عن 60 % في الخدمات، و40 % في الصناعات. عشان أجيب مديرة مكتب ليّا كان لازم أثبت إني باعمل شغل بتاع 5 وظايف مختلفة، يعني بالورقة والقلم فيه توفير أضعاف قيمة مديرة المكتب. بصعوبة أخدت الموافقة إني أعيّنها، وكان لازم اختارها بسرعة وبعناية، عشان العادي برضه مع أول زنقة في الميزانيات ونتايج البيع إنهم يلغو ا موافقات التعيينات والتدريب.

وكانت ميكاييلا هي الإجابة والحل. سلوفاكية، بتتكلم 5 لغات، دارسة جامعة وماجستير، وخبرة في العلاقات العامة وكل فنون السكرتارية. مثالية. كانت جميلة جدًّا كمان، استغربت مع جمالها وكل مؤهلاتها إنها تكون من غير شغل أكتر من سنة. لكن سألت عليها وسمعت كل خير عن الاحترافية والجدية. وهي كمّلت وقالت لي حظي وحش، بس كده. اشتغلت، وأبدعت فوق الخيال. جدية والتزام وسرعة ودقة فى تركيز. ولا الأحلام. بس مع كل يوم بيعدّي كانت الابتسامة بتغيب والقلق على الملامح بيزحف. وبعد أسبوعين بالظبط طلبت تتكلم معايا، وانا قلبي وقع في رجليّا. قالت لي عندي اعتراف.

وسمّعتني قصة أغرب من الخيال. قصة حب مع مواطن خليجي، انتهت بالدراما بتاعت الأفلام العربي، حمل وهروب من المسئولية وإجهاض. المشكلة إن الإجهاض سبّب مشاكل صحية ومحتاجة عملية، وما ينفعش تعملها هنا عشان الحكاية هتتعرف، لازم في بلدها. محتاجة 3 شهور أجازة. مكسوفة ومش عارفة تقوللي إيه، كانت خايفة تقول قبل ما تمضي العقد عشان الموضوع يتم. معترفة بغلطتها ومستعدة تعمل أي حاجة عشان تصلّح الغلط. وهي بتتكلم وأنا دماغي فيها طواحين. كل الأفكار والاحتمالات بتدور زي ساقية مجنونة. متغاظ منها وقلقان عليها. وبافكّر في الوظيفة اللي كانت موجودة، ولو قبلت الأمر الواقع يبقى فرضت عليّا إرادتها ومضطر اشتغل من غير مساعدة 3 شهور. ولو خلّيتها تمشي يبقى صورتي اتهزّت جامد قدّام المكتب الرئيسي في أمريكا.

صراع في العقل والقلب، لكن محسوم بالمبادئ. مهما كنت متعاطف معاها بس اللي عملته غلط. كان لازم تقوللي من الأول، وكان ممكن ساعتها أوافق على اجازة لها بعد ما تبدأ. لكن مش بالعافية أو إخفاء الحقيقة. قلت لها لازم تقدّم الاستقالة، وشكرتها على الصراحة والوضوح. كان ممكن تفوّت الشهور التلاتة بتوع الاختبار ونبقى مضطرين نقبل. بابتسامة رضا شكرتني وقدمت الاستقالة. قالت لي شكرًا إنك وفّرت عليّا عذاب الضمير. هاسافر بلدي أعمل العملية. وغالبًا مش هاعرف ارجع من غير إقامة. بس كله خير. وجعت قلبي وهي ماشية. وغابت وسابت وراها ذكرى كأنها كانت حلم.

ومرت 4 سنين. ورجعت مصر. وفي شركة من الشركات كان عندي موقف مماثل، بصعوبة أخدت موافقة على تعيين حد في وظيفة، وجات لي واحدة مثالية، خبرة وحماس وطاقة مالهاش مثيل. برضه استغربت إزاي قاعدة من غير شغل. وبرضه سألت وسمعت عنها خير، الحاجة الوحيدة إنها عصبية حبتين. وبدأت تشتغل. بس المرة دي العلامات ما كانتش كويسة. توتر واستعجال وعصبية غير مبررة. واعتذارات كتير وتغيب مفاجئ عن العمل. شوية والبنات قالولي الست دي حامل. قلت مستحيل، سنّها مش صغيّر، وبعدين أكيد هتقوللي لو فيه حاجة. زادت الغيابات والتوترات. ومرة واتنين سألتها لو فيه حاجة تحب تحكيهالي. ولا حاجة.

بدأت أنا العب لعبة الضغط اللذيذ، طلبات شغل متواصلة، طبيعية للوظيفة لكن مش طبيعية للحالة اللي هي فيها. لغاية في يوم قالت لي عايزة اتكلم معاك. ما استحملتش. أنا حامل في الشهر الرابع. يا شيخة! إنتي بدأتي معانا من شهرين، يعني كنت حامل في شهرين. والأعراض كلها واضحة. يعني كنتي عارفة من الأول؟ شويّة انفعال وعصبية وصدمة، إزّاي تتهمني بالتهمة الفظيعة دي، وبعدين أنا عندي مستندات تثبت. قلت لها بالراحة عليّا، عشان أنا شفت الفيلم ده قبل كده، دخلنا في التفاصيل اللي كانت مؤلمة ومحرجة. الحالة الصحية، ونتايج تحاليل، وحوارات سابقة عن جوازة جديدة ورغبة عارمة في الولادة قبل فوات

الأوان مع السن الكبير نسبيًّا. وتكرار علامات الحمل لدرجة إن كل البنات في الشغل كانوا بيحلفوا بالحمل من بدري. ليه يا بنتي ما قلتيش. ليه محاولة الكدب على حاجة في وضوح الشمس. الكدب مالوش رجلين.
لو مصرّة على كلامك يبقى نكمّل بمستندات وتحقيق. أصلها مش فلوسي، مال شركة أنا مؤتمن عليه.
فكرت بسرعة، وقالت لي شكرًا، استقالتي أهه. مش طايقاك ولا مسامحاك. قلت لها أجمل حاجة الدعاء.
نقول حسبي الله ونعم الوكيل أنا وانتي.. واللي له حق أكيد هياخده. بنفس السرعة والحماس اللي دخلت بيهم كانت خارجة بره المكان.
المرة دي ما كنتش متعاطف خالص. افتكرت ميكاييلا السلوفاكية وسألت نفسي إيه الفرق؟ كبير. بين حد بيخبّي وضميره واجعه لدرجة إنه يعترف لوحده. وحد يخبّي ويكدب لحدّ ما يضطر يعترف غصب عنه. كنت محتاج الاتنين، وكنت متعوّر ودافع تمن التغيير في القرار. وفي المرتين استغنيت وتحملت التمن معاهم.
وفي عز تفكيري جالي الرد من بعيد.. رسالة على الفيس بوك من ميكاييلا. فاكراني بالخير وبتشكرني.
رجوعها لبلدها ضمن إنها تتعالج صح. وبعدها لقت شغل في بلدها في نفس مجال تخصصها. أرقى وأعلى من وظيفة إدارية كانت مضطرة تقبلها. وفرحانة إنها طلعت نضيفة وما عاشتش كدبة ولا وجع ضمير. مش بتدعي عليّا. رغم إني كنت حاسس بتأنيب ضمير ناحيتها. فيه ناس كده. حلوين من جوّه. لو شفتهم في لحظة ضعف ما ينكسروش. بالعكس، يفتكروا بالخير وقفتك معاهم، حتى لو كانت مؤلمة وموجعة. ميكاييلا عملت الصح وسلّمت أمرها لربها.

وربّنا مش بيخذل الناس اللي زيّها. إذا كان بيرزق الكافر والظالم، فما بالك بالنقي والنضيف، حتى لو غلط في حاجة واتنين وعشرة. شكلي كان لازم أنا اللي اشكرها. مين قال النضافة والاعتراف بالغلط حاجة سهلة؟ شكرا يا ميكاييلا..

34 - لما لعبت دور الضحية..

سمعتها مرة على الطريق، حماس وإيجابية وخفة دم. كالعادة باحب أدوّر على الناس اللي من النوع ده، قليّلين قوي. كتبت عنها كلمتين حلوين. يومين ووصلتلي بمكالمة شكر وود وحماس. طلعت عارفاني ومتابعاني من سنين. الود زاد وتبادلنا الاستضافات وحلو الكلمات مرة واتنين. والناس بقت تبعت وتقول لنا البلد محتاجة ناس حلوة زيّكم يشتغلوا مع بعض ويسندونا كلنا.

وجمعتنا الظروف في مناسبات وبقينا كمان أصحاب. فتحت قلبها بسرعة تفوق الخيال، طيبة وغلبانة ومحتاجة اللي ينصحها ويسندها. فتحت قلبها زيادة عن اللزوم. لقيتني بأوقّفها واقول لها كفاية كده؛ كلمة كمان وخطوة كمان ممكن أي راجل يستغلّك بما فيهم أنا. محتاجة تقدري قيمتك يا بنتي، كأنثى وكإنسانة. حكتلي حاجات مؤلمة عن اللي استغلوها وبهدلوها، سمعتها واتفقت معاها نقفل باب الماضي ونبصّ لقدام. اللي باين للناس تفاؤل وسعادة لازم يبقى من جواكي.

بدأنا صفحة جديدة وهي كلها سعادة وحماس. ولما الدنيا كانت تقفل معاها، كانت تجيلي وتاخد من مخزون الطاقة والأمل. ولمّا كانت في لحظات ضعف واحتمال عودة للغلط كنت برضه أول واحد جنبها، والحمد لله بنلحق بعض.. عادي.. بنسند بعض. ولمّا جت فرصة شغل معايا في حاجة لها شعبية وسمعة حلوة، جبتها بدون تردد، وهي كانت قمة في السعادة والامتنان. وهي كمان لقيتها في يوم بتكلّمني وتقوللي على برنامج كبير في التليفزيون وهي رشحتني ليه. الموضوع مات كالعادة بس كان كفاية عليّا إنها شايفاني حاجة حلوة ومقدّراني. كانت ثورية جدًّا في كلامها، ولما تدخل في التفاصيل تلاقي المعلومات محدودة والخلفية سطحية. برضه عادي، أغلبنا كده. وكانت تقعد تسألني في التاريخ والخلفيات، وفي الآخر تدعيلي عشان اللي مرّيت بيه. تقوللي إنت ثوري بجد ودفعت تمن مش زي العيال الخفيفة.

في زمن قياسي كنت بالنسبة لها مثل أعلى، حد فاهم وثوري ونضيف، رفض يستغل لحظات ضعف، وصديق ممكن تعتمد عليه. صورة حلوة، لكن ما أسهل تشويهها! في يوم جالي اتصال من ناس محترمين وشركة كبيرة قوي في المجال. بدون مقدمات عايزينك تاخد مكان البنوتة دي وتعمل اللي إنت عايزه في نفس الوقت. اللي انا عايزه؟ تمامًا؟ قالولي تمامًا، عارفينك وعارفين دماغك. هتنتقد وتوجع من غير قلة أدب، لكن كمان هتدّي حلول وأمل وإيجابية. محتاجينك. طب ممكن أعمل كده في مكان تاني، مش لازم مكانها، دي غالية عليّا. قالولي ما تخافش، هي هتعمل حاجة تانية براحتها، الملعب واسع وكبير، وبصراحة القيمة عندها قلّت قوي في المدة اللي فاتت. طب يعني أكيد؟ طب هتبلّغوها بشكل كويس.. طب هي مكمّلة..؟ ما تخافش. كله مدروس.

استخرت ووافقت. وبعدين بدأت الدراما. كله ماكانش مدروس قوي. بلّغوها بشكل عشوائي. واللي قال لها زميلة لها، كانت عايشة في دور قمة الثورية، رغم إن الزميلة دي كذا مرة تكلمني وتقوللي ممكن توصّلني بالناس الكبار بتوع الجهات السيادية. واقول لها أنا أساسًا ماليش اتصال بيهم. وبعد كده اكتشف إنها على اتصال معاهم عادي خالص. مش ثورية قوي يعني. زميلتها قامت بالواجب معاها ومعايا. صحيت في يوم لقيت الدنيا مولعة شتيمة في العبد لله. بتاع السلطة. قاطع الأرزاق. خاين العيش والملح. اللي جاي يقتل الثورة. ثورة إيه يا جماعة. هي أساسًا مالهاش في الثورة، وزميلتها بتلعب على كل الألوان. كلمتها وبعتّلها. مفيش رد. بافكّرها. مفيش استجابة. ولقيت صفحتها مفتوحة شتايم وهجوم عليَّا وهي راضية وسعيدة. وهي عارفة الحقيقة. وعيلتها كلها دخلت في الهجوم. اتوجعت انا. بس قلت لنفسي مش هارد. بينا عيش وملح وأسرار. في يوم هتعرف.

سألت وقالولي إنها رفضت تاخد شغل جديد. حلو دور الضحية، مفيش كلام. بدأت الشغل مكانها وتحملت هجوم ضاري من ناس كتير، بس ربّك كرمه فوق الخيال. كل اللي شتم أو هاجم، سمع وركّز. وعجبه اللي سمعه وفهم الفرق الرهيب. ورجع واعتذر على الغلط، وبقى متابع ومعجب وصديق. لا يصح إلّا الصحيح.

الوقت عدّى وهي غابت عن الضوء. لقيت فيه يوم مكالمة منها. بتعاتبني. انطلقت بكل حماس؛ رد تفصيلي، بافكّرها بكل حاجة. هديت وبدأت تقول كلام حلو. وتعتذر عن اللي دخل غلط عندها وقال عليّا كلام وِحش. صدقتها. وتحمست أكتر وقلت لها لو عايزة نفتح الباب تاني وترجع تعمل شغل معانا. قالت لي هافكّر.

بالليل كنت باجهز نفسي لمكالمة المسئولين عشان اطلب إنها ترجع. وبالليل برضه لقيت مكالمة من صديقة بتقوللي ادخل عندها واقرا شتايم الناس عليك النهارده، وهي مبسوطة وراضية. وقتها قفلت الباب خالص. قلت مغفل انا. ربنا يسعدها ويبعدها. شويّه ولقيت إعلان عن حاجة جديدة لها في مكان تاني. وبرضه قلت خير. ربنا يرزق الجميع. وبعدين جت الكبيرة بقى. سايق أنا على الطريق، والاقي إعلان كبير عن حاجة جديدة لها. والمفاجاة إنها في مكان مملوك لنفس الناس اللي هي بتهاجمهم. اللي هي شايفة انهم طيّروها عشان ثورية. اللي هي شايفة إنهم ضد الثورة. يا شيخة! يعني حضرتك بعتي الثورة؟ ولّا همّا طلعوا كويّسين؟ ولّا المبادئ مش قد كده؟ ولّا إيه ولّا إيه..؟

ما قدرتش. كلّمت مسئول في الشركة دي وسألته. نفسي أفهم المنطق إيه. ضحكة ساخرة بالنسبة لي كفاية قوي. فيه ناس مرتزقة وليها تمن، وانت ما لكش تمن يا دكتور. حلو لما يتعرّوا قدّام نفسهم وقدّام الناس. وعلى فكرة، زميلتها الثورية هتمسك منصب كبير في جهة تبع الفلول اللي هي كانت على طول بتشتمهم، كله بيقلع يا أستاذ. قلت له للأسف محدش بياخد باله. قليلين. وكل واحد بيحلّلها لنفسه. والناس اللي شايفة نفسها كويسة بيبقى نفسها ولو مرة واحدة تاخد حقها، وفي النور وقدّام كل الناس، مش بيني وبينك وبعيد عن النور. قاللي ما تزعلش. وانا قلت له يا ريت أكون كده.

قفلت معاه وانا مش عارف أعمل إيه، لو عليّا عايز أكلّمها واسألها وانتي عاملة إيه دلوقتي، وإيه أخبار الشتايم والبطولة والثورية والتضحية والظلم. بس ما كلّمتهاش. أكيد هي كمان حلّلتها لنفسها، وطلعت بريئة ومظلومة ومش واخدة حقها. ماعرفش لو مكانها كنت هاعمل إيه. يمكن أكون مرتزق أنا كمان. ربنا يوفقها. ويسعدها ويبعدها..

35 - إنك تكسّر أصنامك..

باحب دايمًا البدايات تكون حماسية ومفعمة بالروح والأمل والإيجابية. جمعت الفريق كله وقعدت اتكلم معاهم عن الفرص والتحديات. وإزّاي أصغر واحد ممكن يقود فريق وينجح ويكبر. هي بقى كانت قاعدة ومفيش أي تعبير عليها. استغربت جدًّا. ندى، كانت أصغر واحدة فيهم. تعليم إنجليزي راقي وجامعة ألمانية ولغة وكل حاجة. المفروض تكون أكثرهم حماس ورغبة. مفيش.

سألت وقالولي إنها أساسًا مش متوقعة مني خير قوي. اللي جابني الشركة مديرتها، ومديرتها بالنسبة لها وحشة قوي، وهي متأكدة إني هادلّع مديرتها على الآخر. ما تعرفنيش هي. أول حوار مباشر معاها كان لمّا طرحت مشروعات كتيرة للولاد، وطلبت منهم يفكّروا فيها، وكل واحد يرشح نفسه إنه يمسك المشروع اللي عاجبه، وتبقى فرصة حلوة للنمو والتعليم. ندى ما طلبتش ولا قدّمتش خالص. جبتها في مكتبي وسألتها، وردها كان سلبي بس متوقع. قالت لي أصل المشروعات دي أكيد مش هتكمل، وبعدين حضرتك مش هتاخدني في أي مشروع. ليه بس يا بنتي؟ فهمت إنها متوقعة أسوأ معاملة عشان كلام مديرتها عنها كان أول درس؛ قلت لها المدير اللي ييجي ويبدأ عمله بإنه يسمع كلام ناس عن ناس يبقى لا يصلح يكون مدير. والموظف اللي من أوّلها يستسلم ويقرر ما يلعبش الماتش عشان خايف الحكم يبقى ظالم، هو كمان ما يستحقش الفرصة. قدّمي في مشروع واتنين، إنتي بالذات مش هاسيبك. كنت عايزها تفهم إني اتعلمت أسيب قلبي بره الشغل. واشدّ أكتر على حبايبي. قسّمت الشغل عليهم. وهي أخدت ضمن شغلها الجديد مسئولية احتفال سنوي مهم لتكريم الموظفين بناء على معلومات تاريخية وإنجازات.

يوم الحفل كنت أنا اللي باتكلم. كل ما اقول حاجة تطلع غلط، ندى ما عملتش شغل كويّس خالص. الحاضرين كانوا المديرين الإقليميين الكبار. وانا كالعادة بادخل شمال وبافرض التغيير. يوم ما أغلط بيبقى فيه ألف سكينة مستنيّة. سريعًا اعترفت بالغلط وتحملت المسئولية قدَّام الكبار. وبعد ما خلّصت نزلت على مكتبي وجمعت الفريق كله. قلت لهم أنا شلت الليلة عنكم. بس مش باحب اكون في الموقف ده هاعمل معاكم اتفاق، قدّامكم اختيار من اتنين. التعامل يكون رسمي وبالورقة والقلم، واللي يغلط يدفع التمن بالنظام واللي يعمل حاجة صح برضه ياخد حقه بالنظام، من غير كلام حلو أو دلع. والاختيار التاني هو التعامل بالقلب. تسلّموا نفسكم ليّا. هابعتركم. واعلمكم. اللي يغلط هابهدله. واللي ينجح هادلعه وأفسده. فكروا. قدّامكم نص ساعة. في كل الأحوال مش مستعد أتحمل أخطاء حد.

مفيش عشر دقايق وندى جاتلي المكتب. قالت لي أنا عايزة اشتغل رسمي. من غير قلب. قلت لها لا. إنتي بالذات غصب عنّك. قالت لي اشمعنى انا؟ قلت لها مش هاسيبك تضيّعي فرصة وموهبة. دموعها سبقتها. قالت لي مش طايقة نفسي عشان الغلط اللي حصل. بس مش ذنبي، وما كانش عندي السلطة أعمل اللي في نفسي. قلت لها آسف، تقدري تعملي اللي انتي عايزاه من غير سلطة. وبعدين انتي في خمس دقايق قلتي بس وأصل وما ينفعش ومش ممكن حاجة بتاعت عشرين مرة، اعملي حسابك كل مرة من دول هتدفعي عشرة جنيه. مفيش كلام سلبي بعد النهارده. دخلنا في التفاصيل. وهي اتحمست وسخنت. قالت لي هاورّي حضرتك. ومن يومها وحياتها اتغيّرت.

تاني مرة عملنا الحفلة دي. كانت نجاح مطلق. في زمن قليل بقت نجمة المكان. آخر السنة كانت واخدة أعلى تقدير. ومعاه قعدة هجوم وتأنيب عنيف مني. المرة دي على السلوك. قلت لها ما ينفعش ما تحبيش زمايلك. حتى لو مش طايقاهم، حتى لو شايفاهم أقل منك. كنت باهزّر عليها إنها ماسكة الموبايل على طول كأنها بتكلّم حد، ومفيش خط أساسًا، لمجرد إنها تهرب منهم. مع الترقية كان فيه تهديد. لو مفيش تغيير يبقى هتخسريني. وهاتعامل معاكي رسمي. وبالمرة كمان؛ ما ينفعش تعدّي قدّام مكتبي من غير ما تقولي صباح الخير، ولو قلتيها وانتي مكشّرة هتبقى وقعتك سودة. فضايح بقى على الفيس بوك ووسط أصحابها، آخر مرة عملتها اضطرت تكتب ميت مرة إنها مش هتعمل كده تاني. وفعلًا ما عملتش كده تاني. سبحان الله! اللي كانت عايزة تعامل رسمي بقت دلوقتي مش عايزة غير القلب، بكل حماسه وضغوطه. الاستجابة كانت سريعة وممتعة ومبهجة. مفيش شهرين وبقيت أستمتع بحواراتها وهزارها معاهم كلهم. عاشت ولقت نفسها. ولمّا فتحت قلبها شفت فيه جمال مالوش مثيل، بس مستخبِّي ورا ألف قلق وألم وإحباط وخوف.. الدنيا مش دايمًا بتكون حنيّنة على البنات الصغيّرين، والظروف الصعبة والصدمات في

اللي حوالينا بتخلّينا كتير نقفل على روحنا ونرفض كل كلمة ممكن تخلّينا نفرح، بنخاف الفرح ما يدومش، وبنحرم نفسنا منه. بالعافية هتضحكي يا ندى، غصب عنك، تستاهلي تفرحي يا بنتي.

وأنا سايب المكان بعد 3 سنين أخدتها معايا، المرة دي مديرة. المرة دي كان عليها حرب رهيبة من جوّه المكان، شايفينها عيّلة صغيّرة وواخدة المنصب جدعنة وصحوبية معايا. وانا برضه باحبها زي بنتي، بس مش هاخلّيها تقعد لحظة في منصب ما تستاهلوش. في أقل من 6 شهور كانت عاملة نجاح كبير جدًّا، بأرقام ومعايير ما حصلتش قبل كده في شركة مصرية.و بعدها كمان انطلقت في مؤسسة تانية وفي منصب إقليمي كبير. ما أقولّكش على إحساس الفخر والسعادة. وأنا شايفها منوّرة ما شاء الله من نجاح لنجاح، ومش قادر أحكيلك على استمتاعي بالحوارات مع الناس اللي كانوا بيهاجموها وهي في المكان، وفي كل مناسبة يفتكروها بالخير، ويحلفوا بيها ويتمنّوا رجوعها ولو يوم واحد. الناس الحلوة كده، والناس المخلصة كده، مش محتاجة تعمل حاجة زيادة أو تنافق أو تبيع نفسها لحد عشان توصل، محتاجة بس تؤمن بقدراتها وتعمل أقصى ما عندها. وربّنا لوحده بيسخّر لها كل الناس والأسباب والطرق المفتوحة. .

بنتي هي.. إحساس مالوش مثيل وإنت بتشوف وردة بتفتّح وتنوّر الدنيا..

وتستغرب إزّاي فيه ناس تبقى مش مقدرة قيمتها وقدرتها. ومكبّلة نفسها بألف قيد مالوش وجود إلّا في النفوس.. وعايزين يعيشوا الحياة المملة الرتيبة جنب الحيط. فيه ناس تستاهل النور والحياة..

36 - لمّا قالولي هتفشل أكيد..

كنت لسه خارج من تجربة فشل عنيفة. متحمس وسخن ونفسي أثبت نفسي تاني. الوظيفة أصغر والفلوس أقل. بس التحدي أكبر والفرصة للتغيير أحسن.

من أول يوم لقيت كل المديرين عايزين يقعدوا معايا، المفروض عشان يحكولي مشاكل واحتياجات الإدارات بتاعتهم، لكن كل حوار بقدرة قادر كان بيتحوّل لحوار من بتوع طب وانا؟ طب أنا استفدت إيه، حقوقي وترقيتي، والعربية اللي مفروض اخدها، ومكتبي الصغيّر قوي اللي انا قاعد فيه، ومكان الركنة في الجراج اللي مش من مقامي؟ مفيش يا ربّي مدير واحد اتكلّم في المفيد.

ماشي، طنِّشت الكبار ونزلت للصغيّرين في المواقع وفي المصنع، الحوارات أكثر واقعية وطبيعية، والمشاكل حقيقية وإنسانية، والأفكار عملية وإبداعية. طلعت منهم بكنز، خصوصًا بعد استبعاد كل حوارات الناس بتوع النقابة واللعّيبة الكبار. بعد أسبوع كنت في دبي قاعد مع مديري. عرضت عليه كل المشاكل وأسبابها من وجهة نظري. ومعاها عرضت عليه خطة التغيير والإصلاح في السنة الأولى. يا دوب 22 مشروع. مش هتخلص إلّا بمسئولية صريحة عن كل مشروع. الراجل أخد نفس عميق وبعدين قاللي محتاجين نتكلّم. الجملة الشهيرة اللي وراها دم.

قاللي أنا كنت فاكرك جامد وعندك خبرة، بس صدمتني باللي بتقوله. إزاي تعمل تحليل كامل في أسبوع واحد بس. قلت له أرجوك تقراه بتركيز وقوللي لو لقيت فيه حاجة غلط. قاللي مفيش غلط، وده مقلق أكتر، أكيد إنت وراك حاجة. قلت له ورايا كل خير. شغلتي في الحياة إعادة الهيكلة، وبقالي أسبوع باوصل الليل بالنهار، واقعد واتكلم مع كل الناس، وأقرا ألف مستند وحوار. اللي انت فاكره نهاية الكون موجود في كل شركة ومصلحة، بس إحنا بنحب نشوف مشاكلنا مالهاش مثيل.

على مضض تقبّل الكلام، لكن رجع وقاللي لي طب اعقل بقى واشتغل على قدّك. محدش بيشتغل في 22 مشروع مع بعض، ساذج انت قوي. اختار حاجتين تلاتة بالكتير وركّز فيهم، واعمل بطل. ببراءة قلت له أنا موافق، لو سمحت حضرتك تختار لي من القائمة الطويلة نعمل إيه. الأولويات. وقوللي نقدر نأجل إيه. صمت القبور. مفيش حاجة ينفع تستنّى. طب إيه؟ قلت له ما تخافش. هنعملها إن شاء الله. قاللي براحتك بس لا أظن إنك هتكون معانا السنة الجاية زي دلوقتي!! الله يبشرك بالخير. طب أي نصايح؟ طبعًا، ادّاني لستة بالمحرمات، ما تجيش ناحية فلان وفلان وفلانة، دول تبع الكبار قوي برّه، وتغيّر سياسات المزايا بتاعت الأجانب، حتى لو خمس أضعاف العادي في السوق، واوعى تيجي ناحية تغيير نظام التعيينات والترقيات، عشان فيه وعود كتيرة لازم نوفي بيها الأوّل. لا بسيطة، كله عادي خالص. رجعت مصر وجمعت الولاد كلهم. كنا 15. شرحت لهم الموقف، وقلت لهم قدّامكم فرصة عمر. 22 مشروع وآدي التفاصيل بتاعتهم. كل حاجة في مجال الموارد البشرية. اللي عايز يشيل يتفضل، من غير ما يكون عنده خبرة، المهم يبقى عنده روح وإرادة ورغبة للتعلم. ويستحمل اللي هيحصل فيه. فكّروا لغاية بكره وقولولي.

كانت ليلة من الحماس الرهيب، والولاد والبنات بيكلّموا بعض ويكلموني. مش مصدّقين وخايفين وقلقانين وحالمين. الصبح كان مهرجان، وزّعنا المشروعات بناء على الرغبات. وعملنا فرق عمل، ودخلنا فورًا في تحديد الأهداف ووضع الخطط، ومعاها بدأنا أول مراحل التعلّم بالتجربة وإدارة المشروعات. وكانت بداية أجمل 3 سنين في حياتي. الولاد طلّعوا أحسن ما فيهم، وأسبوع ورا التاني كان الإنتاج أكتر وأحسن. الحياة ما كانتش وردية، كان فيه كم مرعب من الألغام والتحديات. اتعوّرنا واتبهدلنا، بس اتعلّمنا وأنجزنا. والجميل إنه كان فيه ناس مش طايقة بعض، واضطرت تشتغل مع بعض. ماكانش لازم تبقى قصة رومانسية ويحبوا بعض، لكن اتعلّموا يتقبلوا بعض ويشتغلوا مع بعض ويسندوا بعض. أنا نفسي كنت باحب ناس منهم أكتر من غيرهم. بني آدم أنا. لكن اللي باحبه كانت وقعته سودة عند الغلط. وحسابه أتقل كمان. يمكن غلط.بس عدّت.

طبعًا كسّرنا كل القواعد والإرشادات اللي قاللي عليها المدير بتاعي في دبي، بس بالراحة، بالهداوة، كنت أعمل الحاجة في الخباثة، وأقول له عليها لمّا تكمل، ومعاها اعتذار من كل قلبي، حقيقي ما أخدتش بالي، أصل الأجانب همّا اللي علّمونا كده؛ الأسهل إنك تعمل الحاجة من غير إذن وتعتذر بعدها، عن إنك تطلب الإذن وعمرهم ما يقولولك موافقين.

طلّعنا قماش. في نهاية السنة الأولى كان مديري الكبير منوّرنا في مصر. وبنعرض عليه نتايج الشغل. 19 مشروع من الـ 22 خلصوا بالكامل على خير وبنجاح. والتلاتة الباقيين شغّالين على الطريق. وقع مننا كذا واحد وواحدة. اللي ما استحملش، واللي ما حبّش، واللي يمكن ظلمناه. بس الدنيا مش بتقف على حد. واللي وقعوا مننا خرجوا وما سابوناش في حالنا، بقى عندنا فقرة يومية زي بتاعت الساحر كده، اسمها تحقيقات دولية. شكاوى من اللي قلبك يحبها، واتهامات غير تقليدية من نوعية مين عامل علاقة مع مين، ومين عيّن مراته وبنته وجوز خالته، ومين أخد رشاوى من موردين عشان يبيعولنا ورق بفرة وأقلام وكراريس، وصور من على الفيس بوك ليّا وانا باتعشى من شويّة مع الفريق. أي هجايص يعني، بس بتاخد وقت ومجهود، خصوصًا لمّا ناس كتير من جوّه كمان تدخل وتسند وتولّع معاهم. مش كل الناس بتحب التغيير، خصوصًا لمّا يبيّن قدّ إيه همّا صغيّرين، ومش مهمين زي ما همّا فاكرين.

كمّلنا مشروعاتنا ودخلنا في حاجات جديدة. وفي نهاية السنة التانية كنا واخدين مشروعات على مستوى إقليمي. وفي نهاية السنة التالتة كنا سابقين في كل مشروع دولي طلبوه مننا. وقتها كان بالنسبة لي وقت الرحيل. زهوق أنا ومماليش في الحياة السهلة والمستقرة.

وانا ماشي كان قلبي واجعني وكمان بيرقص. واجعني عشان سايب ورايا ناس بقوا أكتر من عيلتي. وبيرقص عشان سايب المكان في قمة النجاح. ومكاني أخدته واحدة من الفريق. والتانية أخدت منصب إقليمي. والباقيين كل واحد ضامن مكانه في وقت إعادة هيكلة وإلغاء وظائف. عملناها سوا. بالقلب والحماس والإيمان. وبالعقل والمنطق والتقبّل. وبالعمل والعمل والعمل. عملناها. مفيش مستحيل.. لو عايزين بجد.

37 - لمّا عِشنا الدراما..

بداية المعرفة كانت الإذاعة والبرامج. بتحصل كتير، كلام حماسي وإعجاب ومثلي الأعلى. عامة باحب الكلام ده، الغرور نقطة ضعف أي راجل، وضعفه بيزيد مع كلمات الإعجاب والانبهار. وبعدين بعد شويّة الانبهار بيختفي وغالبًا ننتهي لمرحلة أنا اتصدمت فيك وإزّاي طلعت وِحش وعادي كده. المرة دي طوّلت شويّة.

أميرة، كانت شغّالة في نفس المجال بتاع الموارد البشرية، بس في شركة صغيّرة. بدأت تتكلم وتسألني على حاجات في الشغل. وأنا احب الحاجات دي أنا، وأحب إحساس إني باضيف قيمة وكده. عرفت ظروف شغلها الصعبة، واحترمت إنها عمرها ما طلبت مساعدة في إيجاد وظيفة. وبعدين اختفت لفترة، كلمتها اسأل عليها، وردّ حد من أهلها ووجعني. بتحارب مرض لعين، بكل بساطة وروقان يا أخي وعمرها ما قالت.

جمّعت الصورة، بعض التصرفات اللي كانت تبان لاسعة ومجنونة، واللا مبالاة والسخرية الزيادة، كانت أساسًا عشان تخبّي ضغوط فوق طاقة البشر. يومها كتبت عنها واتكلمت كمان عالهوا، وطلبت من الدنيا كلها تدعيلها. وأميرة افتكرتهالي بالخير بعد ما خرجت، شافتني حاجة كبيرة قوي، أكتر مما أستحق، وبقت تنقل كل كلمة ليّا كأنها أقوال مأثورة من بوذا أو الماهاريشي بتاع الهند. حسّيت بالمسئولية عنها، خصوصًا لما عرفت إن شغلها بيقفل خلاص. كان عندي عميل باعمل له استشارات، وفيه فرصة عمل هناك. الأول قعدت معاها وتأكدت من إنها تصلح للوظيفة وقدّها. الناس كانوا واثقين فيّا، وقبلوها من غير مناقشة، مرتب كويس وفرصة حلوة. برضه خفت من المسئولية واحتمال إني أكون أثّرت على قرارهم في الشركة. أصرّيت إنهم يقعدوا معاها ويقيّموها بكل ذمة. وبرضه اختاروها، وبرضه غالبًا عشان اقتناعهم بكلامي.

أميرة مضت العقد وكله تمام، وبعدين اختفت، طاردوها فترة وبعدين قالولي. صدمة وإحراج مع الناس، أكلّمها مرة واتنين ومفيش رد. زعلت وتعاملت ونسيت. 4 شهور ولقيت رسالة، اعتذار واعتراف بالغلط، وتوضيح إنها اختفت عشان المرض رجع تاني، وما كانتش عايزة تبدأ إلّا وهي نضيفة تمامًا. عقلي قاللي ليه ما كانش فيه مكالمة واعتذار، لكن قلبي قتل الشك اللي في دماغي، وكلامها الحلو بتاع المثل الأعلى والاعتماد عليّا خلّاني مستعد اعمل أي حاجة عشان اساعدها. الدنيا بتبقى سهلة قوي لمّا بنغمّض عينينا عن الحاجات اللي بتضايقنا، حتى لو حقايق في وضوح الشمس، وبننسى إننا ممكن نكون مغفّلين والدنيا كلها شايفين كده، واحنا بس اللي مش شايفين.

قعدنا فترة وزي الأول بالظبط، رسايل تشجيع مني ليها، ورسايل إيمان وثقة مطلقة منها ليّا، وانا بقى شغّال باوصي عليها في كل مكان، مين عارف. ولمّا قفلت قوي، عملت حاجة مش صح قوي.المرة دي أخدتها تشتغل في مكاني الجديد. ماكانش مفروض، بس قلت هي مش هتكون تبعي مباشرة، هتشتغل مع حد تاني، تربيتي ومش سهل، مش زيّي بيتأثر وكده. قلت لها الموضوع هنا مش هزار. إعادة هيكلة مرعبة وتحديات جامدة، وألف واحد حرس قديم مستنيين أقل غلطة. أيامها الأولى كانت مليانة مشاكل، كلام كتير وحواديت، طبيعتها الإنسانية غلبت على الطبيعة الاحترافية، غالبًا عشان كانت في شركة صغيّرة والناس كلها أصحاب وحبايب. بسرعة جبتها وشرحت لها، طريقتي مش كده، والمكان هنا مش كده، أرجوكي خدي بالك. وهي تقبلت واستجابت، ومعاها اعتذارات كتير وكلام حلو كتير. وأنا باحب الكلام الحلو الكتير.

بس بعدها بشويّة لقيت نفس الحواديت بتتكرر. وقبل ما انفعل وأشد، لقيت الصفحة القديمة بتاعت المرض بتفتح تاني. في لحظات رجعنا لشهر العسل، مش باقدر استحمل موضوع المرض، وهي غالية عليّا، وباطلّع كل الأعذار والأسباب المنطقية وغير المنطقية عشان أصدقها. المرة دي قلتلها ما تقلقيش من الفلوس. التأمين هيغطي، ولمّا طلع مش كفاية بدأنا نجمع فلوس، وفي أقل من أسبوع كنا جاهزين. بس هي ما كانتش جاهزة. غابت فترة، ورجعت وقالت الموضوع طلع حاجة تانية. والعملية صغيّرة وعملتها خلاص. قلق وحيرة ولخبطة، ورفض لكلام الشباب إنها بتلعب بموضوع المرض اللعين وإنه فيلم، خصوصًا وأنا بيجيلي صور ليها على البحر، في وقت المفروض تكون في نقاهة في المستشفى.

كلمتها بصراحة مرة واتنين. ما دخلتش في التفاصيل، لكن ردت بكل هدوء إن الرسالة وصلت، ووعدتني أشوف إنسانة تانية زي زمان. والمرة دي كمان الكلام الحلو بقى مصحوب باستشارات في كل حاجة،

حتى في الصور اللي على الفيس بوك، ما كانتش عايزة صورتها تبقى وحشة قدَّام ناس وحشة في الشركة، ولا قدّامي. وأنا باموت في الحاجات دي، إحساس اني الكبير اللي كلمته ونظرته تفرق. عارف إنت الجدع اللي أخد خمستاشر قلم ورا بعض، وكان لسّه مستعد ياخد تاني. قلت لنفسي هتظبط إن شاء الله، بس الواقع كان مختلف. تاني يوم لقيت الشباب جايّين بيقولولي إنها هتمشي، ومصر كلها عارفة كده، وإنها بتقول لكل الناس عن العذاب اللي شافته، والظلم والتفضيل والمعاملة السيئة. في نفس اليوم كنت جايبها في مكتبي، باقول لها إني عرفت خلاص. وباسألها ليه. الدموع اللي مع الكلام المرة دي ما فرقتش معايا. طلعت معاها قدّام كل الناس، وقلت لهم إنها قررت تمشي، وإنها مش هتيجي من بكره، ومش لازم نعمل لها حفلة عشان هي مستعجلة، نهاية مش حلوة خالص لواحدة كانت المفروض غالية علينا كلنا. بس الغريب إنها كانت ماشية ومحدش زعلان عليها قوي، تقريبًا محدش زعلان خالص. وأنا كمان زعلان منها ومن نفسي. يمكن أنا السبب، دلع غير مبرر، واستمتاع بدور الحنيّة والمسئولية، وإحساس بالغرور عشان كلمتين حلوين. بلدي قوي أنا. مشيت.

وبعدها كان آخر حوار بينا، بتقوللي بصراحة فيه إني وِحش قوي، قد إيه هي مش طايقاني عشان ظلمتها وافتريت عليها. عن الضحك بمرارة.. غلطان أنا.. الجميل إن كل واحد بيطلع من الفيلم شايف نفسه البطل. وهو بتاع الخير والحق والجمال.. نفس الفيلم.. أبطال مختلفين..

38 - لمّا أصرّ ينجح..

مسكت منصب جديد، مسئول عن التدريب وإدارة المواهب. الشركة كانت حلم لأي حد، مجال الاتصالات والفلوس داخلة زي المطر، لدرجة إن رئيس قطاع البيع كان بيقوللي إحنا مش بنعمل فلوس، إحنا يا دوب نفتح الدكان ونلاقي طوابير ناس عايزة تدفع. الدنيا كانت آخر دلع والتدريب على الكيف، اللي عايز يطلع باريس أو لندن يتدرب على أي حاجة يعملها. ومحدش يمنع حد، مصلحة الشغل وكلام كبير. لقيت الميزانية السنوية للتدريب 15 مليون جنيه، نصّها مصروف على الأكل والشرب والسفر. طالعين رحلة يعني. قررت أقلب المنظومة تمامًا.

هنعمل أكاديمية داخلية للتدريب والتأهيل، بمناهج مرتبطة بطبيعة الوظيفة والمستوى الوظيفي سواء قيادي أو إشرافي أو فني. وكل البرامج مبنية على الكفاءات التنافسية المطلوبة للوظيفة؛ يعني حسب المهارات اللي إنت محتاجها عشان تنجح في وظيفتك، مش المهارات اللي إنت محتاجها في علاقتك مع صاحبتك في النادي. عرضت النموذج على الإدارة وقالولي ميّة ميّة، مين بقى هيعمل الكلام ده؟ قلت لهم هنعمل فريق من المدربين من جوّه الشركة. فريق كبير من المديرين هنعمل لهم تدريب وترخيص كمدربين، ودول كل واحد منهم يبقى يدّينا من وقته يومين أو تلاتة كل شهر. وبصراحة كانت فرصة مديرين منهم كتير يعملوا حاجة مفيدة، كان عندنا مديرين أكتر من عدد الأغاني الوطنية اللي في التليفزيون، مدير لكل موظف تقريبًا. وكمان قلت هنعمل فريق صغيّر من المدربين الدائمين، يتولوا كل التدريب للشباب الصغيّر الكتير اللي عندنا، واللي نادرًا ما بياخد تدريب.

أخدت الموافقة بعد موقعة مع الراجل الإنجليزي الكبير، كان فاكرني عايز أبني إمبراطورية بتاعتي، وأنا قلت له بصراحة أيوه، مش عيب، المهم الفائدة للشركة. طب هتجيب المادة التدريبية منين وتعرف الناس محتاجة إيه ازاي؟ بسيطة. عملنا دعوة عامة لكل شركات التدريب والاستشارات في مصر. يوم طويل عرضنا عليهم فيه كل احتياجاتنا ومشاكلنا وأهدافنا وتحدياتنا. وطلبنا منهم يعملوا عروض فنية متكاملة عن تدريب وتطوير طويل الأجل لكل الإدارات والوظائف. في أقل من شهر كان عندنا خلاصة أفكار التطوير في المنطقة كلها. والخطة كانت إننا نشتغل مع أفضل نموذج لمدة سنة، وخلالها نرتب البيت من جوّه ونؤهل المدربين بتوعنا ونبني بنك معلومات ومواد تعليمية وتدريبية وبعدين ننطلق.

كلام جميل بس فين المدربين الدائمين من جوّه؟ قالولي فيه فريق جامد قوي حوالي 12 مدرب ومدربة في خدمة العملاء. قعدت معاهم يوم بحاله، إنتم مين يا ولاد؟ سمعتهم بكل صبر، وفي الآخر قلت لهم أنا شايف إنكم كلكم ولاد حلال قوي، بس غالبًا محدش فيكم يصلح يشتغل معايا. عادة سيئة عندي، لمّا حد يقوللي إنه جامد قوي أبعتره، ولو قاللي إنه تعبان وعلى قدّه أقول له إنت أجمد واحد في الكون، أحب الناس الطبيعية اللي في النص. كلامي ليها كان من فصيلة البعترة، ورد الفعل كان صدمة ووراها ثورة عارمة. ورد تفصيلي حماسي مني، بارسم لهم فيه الصورة كاملة، وطبيعة المدرب اللي بادوّر عليه، الشخصية واللغة والمعرفة، والخبرات العملية والحياتية، والقدرة على التأثير وسعة الحيلة. وانتم مش كده يا حلوين. فكّروا كده وقولولي، اللي عايز ومستعد يدخل المطحنة معايا، ويستحمل اللي هيحصل فيه. صمت القبور. في لحظتها اتنين منهم اعتذروا. الباقي عشرة، تاني يوم كانوا جايّين وكل واحد بيقدّم لينا كلنا عرض لأفضل برنامج تدريبي بيعرف يعمله. ربع ساعة لكل واحد، انتهت بناس بتعيّط وناس بتفكّر تقدّم استقالتها أو تتنقل لإدارة تانية.

باعترف أني وحش قوي لمّا أحب أثبت إن حد مش قدّ كده، وبأقول لنفسي ده لمصلحتهم، اللي عايز يشتغل معايا لازم يسلّم لي نفسه تمامًا. يومها العشرة قرروا يلعبوا الماتش، وبدءوا معايا المعركة، صمد منهم 4 بس للآخر ونجحوا معايا. لكن محمد كان حكاية. تاني يوم على طول جالي مكتبي ودخل فيَّا شمال. حضرتك فاكر نفسك مين عشان تبهدلنا كده؟ إحنا كويّسين قوي وفاهمين. تعالي يا حبيبي. حاصرته بأسئلة فنية وإنسانية وعملية. حاول بكل ما عنده، وخسر برضه، لكن الولد عنيد، مش عايز يستسلم. عدّى يومين وجالي تاني، مش طايقني وفي نفس الوقت عايز يتعلّم مني. قاللي طب لو عايز أبقى زي الصورة الاحترافية دي، أعمل إيه؟ قلت له اشتغل واسعى واسأل واتعلّم وجرّب. قاللي ممكن اسألك واورّيك الشغل بتاعي واتعلّم منك؟ قلت له مش ضامن وقتي والله، إنت وحظك. قاللي مش هاسيبك. وفي أي

وقت ومكان هاجيبك.

ومن يومها بدأت رحلة من أمتع رحلات التعلم. عذّبته، بس علمته. كان فيه أيّام بييجي معايا في العربية من المعادي للتليفزيون في وسط البلد، يسألني ميت سؤال في الطريق، ويرجع لوحده بالتاكسي. اللي عايز يتعلم بيعملها. واللي عايز ينجح بيعملها. والأسئلة كانت في كل حاجة، بدأت بحاجات في المادة التدريبية، وبعدين حاجات في الموارد البشرية، وبعدين حاجات في الإدارة، وبعدين حاجات في الحياة. أذهلني بنهمه للعلم والمعرفة، وخلّاني ساعات باروّح أدوّر على معلومات في كتب وعلى الإنترنت عشان أعرف أجاوبه. القاعدة كانت سهلة، لو ما سألتش يبقى انت أكيد عارف، وساعتها هاحاسبك على المعرفة وعدم التنفيذ. كل يوم وكل أسبوع كان فيه تطوّر. في آخر السنة كان نمرة واحد عندي. أعلى مستويات تقييم من المتدربين، وأحسن نتايج تطوير في أدائهم، وأكبر عدد من البرامج التدريبية وإعداد المادة التعليمية. في آخر السنتين وانا سايب المكان، محمد كان نجم المنظومة. والمنظومة طلّعت قماش. الميزانية نزلت من 15 مليون لـ 2 مليون، وبدأنا كمان نبيع برامج تدريبية للسوق. مرت السنين.

وبعدها بخمس سنين كنت باحاضر في أكبر شركة اتصالات في الإمارات، ومحمد كان هناك، رئيس قطاع حيوي جدًّا. نجم. حكيت حكايته وطلبت منه يقف ويحيّي الناس. ولمّا سمعته بيتكلّم وشفت نظرات الإعجاب في عيون الناس كنت قمة في الفخر والسعادة. قصة نجاح ومثابرة، ومكانة وصل لها بعمله وكفاحه وإصراره على النجاح. اللي عايز بينجح رغم الظروف، مش بيفشل عشان الظروف. الله عليك يا محمد!..

39 - سلام يا صاحبي..

عرفته من أيّام المدرسة. كنت شاطر بقى ومن العيال المعقدة اللي بتقعد قدّام، وهو كان بيحب قوي يصاحب الشطّار، غالبًا وصيّة من الأهالي اللي بيحبوا ولادهم يتعلّموا من اللي اشطر منهم. حسين، أخف دم في الوجود، ودايمًا يحب يعرف الناس ويتصاحب عليهم. قرّبنا قوي، ليل نهار مع بعض في المدرسة وبرّه، ونروح بيوت بعض وكله. الأنتيم. كل يوم لازم مكالمة طويلة لتقييم أحداث اليوم، وانا أقعد أقول رأيي كواحد شاطر وعبقري، وبعدين نتفق هنعمل إيه مع مين.

وبعدين بعد المدرسة فرّقتنا الجامعة، لكن رجعنا اجتمعنا في النادي. كان ليّا شلّة جميلة، عيال صايعة بس نضيفة، من غير قلة أدب ولا غلط. وهو سريعًا ما بدأ يقرّب مننا. بعد فترة العلامات بانت، هو مش عايزنا قوي. هو بيحب بنت في الشلّة. عادي، بتحصل. المهم هي بقى، مهذبة وجميلة، بس مالهاش فيه خالص. وهو اعتبر وجوده معانا علامة الجودة والقبول، وبدأ يزوّد الضغط عليها وعلينا. لغاية في يوم واجهها بكل بساطة، قدّام كل الناس، سألها بتحبيني ولّا إيه؟ والبنت مع كل الإحراج كانت صريحة، بأدب قالت له إنت زي اخويا. لحظات صمت وبعدها انسحاب هادي. وبعدها تغيير رهيب لكن متوقع. بعد عنّا تمامًا. طبيعي لفترة. ما سبناهوش، فضلنا معاه وسندناه أكتر. قعدة الرجّالة كنوز وهي اللي خسرانة وكل الكلام الحلو ده.

اختفى فترة كويّسة، وعرفت إنه بيدوّر على شغل، كلّمته وقلت له تعالى في الشركة عندنا، مندوب مبيعات، عمري ما هانسى ردّه؛ أنا مش هالعب في شركة صغيّرة، عيني على شركة متعددة الجنسيات، وباشوف كل الوسايط اللي توصّلني ليها، وعشان أبقى أحسن منك يا خالد. اتخضّيت من الكلمة، بس حقّك. قعد سنتين من غير شغل، وفي الآخر اشتغل في الشركة اللي كان بيحلم بيها، بس وظيفة صغيّرة قوي، وعلى بال ما وصل لها، وكلّمني يبلّغني، كنت أنا خلاص اترقّيت وبقيت في شركة أكبر بكتير، وقلت له عادي، وهو زعل عادي برضه، بايخ أنا، كأني بأغلّس عليه.

كالعادة دخل في نوبة تانية من نوبات الاختفاء، وعرفنا إنه اتلمّ على ناس مش قد كده، داخلين في حياة الليل وآخره. كلّمته مرة واتنين، مرة منهم لمّا لقيت عامل صغيّر بيكلمه بقمة قلة الأدب. طلع نديم كاس وسيجارة محشية. إزّاي يا ابني تهين نفسك كده؟ ردوده كانت مستفزة جدًّا. براحتي. الدنيا كده. من حقي أشرب حتى مع ناس أقل مني. هو يمسك عليّا حاجة وأنا أمسك عليه حاجة. دنيا وحشة قوي دي. شويّة واختفى تمامًا، ثم ظهر مع شلة مختلفة تمامًا، كنّا بنسمّيهم المليونيرات، وهو ماكانش منهم قوي، لا ماديًّا ولا أخلاقيًّا. برضه جمعتنا الظروف في حوارات، وهو لوحده برّر ووضّح؛ أصل اللي معاه قرش بيسوى قرش، والناس دي جامدة وواصلة، وانا هابقى زيّهم. بس يا عمّ حسين إنت مش زيّهم، ووسطهم زي خادم أمين، ما تزعلش منّي، بس انت أحسن من منظر عادل إمام في فيلم قديم، حتى لا يطير الدخان، خلّيك في مكان تكون أنت الكبير فيه. ما سمعش، واختفى كمان شويّة سنين، وبعدنا أكتر واكتر.

ورجع في حفلة كبيرة وفي إيده انتصاره الأكبر، مراته، فنانة ونجمة صاعدة. عرّفنا بيها وهو في قمة الفخر والسعادة، سلّمنا عادي ورجعنا لحواراتنا المعتادة. مانساش برضه مطاردته ليّا طول الحفلة، وفي الآخر سألني بحيرة؛ إنت مش عارف إنها بتطلع في التليفزيون كتير؟ وأنا بكل بساطة قلت له ما اخدتش بالي، أصل أنا كمان بأطلع في التليفزيون كتير، وبأعمل برامج وكده. كمان نظرة من اللي تخاف تفتكرهم بالليل، وكمان اختفاء طويل. وبعدين بدأت مرحلة جديدة. الشغل والمصالح. في يوم لقيته بيكلمني، بصوت وقلب وحماس ما حسّيتوش من أيّام المدرسة. فينك واحشني ولازم أشوفك، بكرة على طول. قلبي رقص والله، مكتوب الغايب يوم يعود. والله زمان.

بالليل كان ضايفني كصديق على الفيس بوك، والصبح كان في مكتبي بكل الأحضان والهزار بتاع زمان. عشر دقايق بالظبط. عشر دقايق بس. وبعدين سألني على شغل، سمع إن فيه وظيفة في الشركة عندنا تنفعه. عايزها. قلت له للأسف اتملت خلاص. لكن ابعتلي السي في بتاعتك وربنا يسهّل. في لحظة كل الرومانسية والحياة اختفوا. وشّ جبس بلا مشاعر. قبل ما يخلّص القهوة كان نزل. بالليل لقيت نفسي مش صديق معاه على الفيس بوك. ما صدّقتش. ما استوعبتش. كلّمت الشباب بتوع زمان قالولي بقى كده. العادي بتاعه مصلحة. قلت لهم كلنا بتوع مصالح، بس بنعملها بشياكة شويّة.

قعدت أفكّر المشكلة فين. فينا إحنا برضه. زمان ايّام الحدوتة الرومانسية كنّا برضه بنتّريق كتير. ومش بنقدّر موقفه. وبعدين أنا كنت عامل فيها شيخ وانا بانصحه وألومه. مين أنا أصلًا؟ فيّا العبر وباعمل بلاوي. نسيت الموضوع، وقلت لنفسي لو شفته بعد كده هابقى حلو قوي معاه. قوي يعني. وحصلت فعلًا. مقابلة بالصدفة في النادي. أخدته بالأحضان وبكل الود والحب. ولقيته هو كمان نفس النظام. الله أكبر! حوار جميل لمدة دقيقة ونص، وبعدين سألني: إنت فين دلوقتي؟ قلت له. نفس الحوار القديم. طبق الأصل. عايز ييجي يشتغل عندنا في وظيفة، والوظيفة للأسف اتشغلت خلاص. وفي لحظة، البرودة حلّت علينا واحنا في حر أغسطس. سلام بارد وسابني مكاني.

بعدها بنص ساعة كنّا في مطعم النادي أنا ومراتي، وعدّى علينا هو وأصحاب مشتركين من أيّام المدرسة، وأخدنا بعض بالأحضان أنا وهمّا، بينما حبيبي وأنتيمي لفّ ورا خمس ترابيزات عشان ما يسلّمش عليّا. المرة دي أسرع بكتير من اللي قبلها. مش قصة قسوة ولا إحراج. غالبًا قصة شخصيات وطباع. بافكّر إذا كنّا إحنا السبب. ولّا أهله همّا اللي عوّروه لمّا خلّوه دايمًا تحت رحمة المقارنة مع الغير، ولّا القصة كلها في رغبة إنسانية في المنافسة والمكسب. ممكن؟ كل شيء ممكن.

الناس بتتغيّر حسب اللي حواليها. والناس عمرها ما تنسى إنك شفتها في لحظة ضعف أو ألم. بس منها اللي يفتكرك بالخير، ومنها اللي يبقى مش طايقك وعايز يخلص من الصورة والذكرى. عمرنا ما هننجح طول ما إحنا بنطارد حد عشان نبقى أحسن منه.. عمرنا ما كنّا اصحاب.. سلام يا صاحبي..

40 - لمّا تستعجل الخير بالشر..

كان ولد زي الفل، وليد، نجم صاعد في مجال المبيعات والتسويق. لسّه صغيّر بس مستقبله مشرق. حكولي عنه، قصة كفاح مالهاش مثيل، بدأ في الخليج في وظيفة صغيّرة قوي، مندوب علاقات عامة في شركة محلية، وتدريجيًّا أثبت نفسه لغاية ما دخل في مجال مبيعات المواد الغذائية، وبعدها نجح نجاح كبير وكمِّل دراسة عن طريق المراسلة في جامعة ألمانية، ومنها قدّم في الشركة العالمية الكبيرة. وهناك برضه بدأ من تحت خالص، في الأول منسق مبيعات، وبعدين محلّل مبيعات، وبعدين فاجئ الإدارة في يوم بأنه جايب عقد بيع كبير وفي أجهزة معقدة للغاية. وقتها نقلوه للمبيعات وبقى قصة ومثل أعلى لكتير من الشباب.

كنت رايح الشركة دي عشان نقسّم المنطقة الكبيرة لمنطقتين. طبيعي وقتها كان هيتخلق فرص كتيرة. وهو كان في أول القائمة بتاعتي. المشكلة الوحيدة أنه كان متحمس زيادة ومستعجل زيادة، والحاجات دي مش حلوة في مجال البيع، عشان الغلطة فيها مكلّفة جدًّا. كنّا في دبي، وهو مسئول المبيعات عن بلاد الخليج كلها في منتج معيّن، وكان عامل شغل جميل ومبيعات كبيرة رغم السعر العالي.

لسه فاكر اليوم كويس 8 يناير. كنّا يا دوب مخلّصين يوم بحاله تقييم للمواهب، ووليـد مرشح للترقيّـة من مدير مبيعـات لمدير تسويـق. 9 بالليل لقيت مكالمة من مدير الشئون القانونية، محتاجين نتقابل حالًا. وكانت ليلة. قصة ولا الخيال. وليد مطلوب في الشرطة. والموضوع كبير. كان داخل مناقصة كبيرة في بلد خليجية تانية. سألوه الجهاز ده بيتباع عندك؟ قال لهم طبعًا. طلبوا منه أوراق تثبت كده، وساعتها بدأت المأساة. وليد ماكنش عنده أي ورق بالمعنى ده. الجهاز كان واخد موافقة فعلًا بس شفوية. والرسمي كانت لسه جايّة كمان أسبوع. وليد أخدته الحماسة والرغبة في التخليص، دخل على الإيميل وغيّر في الكلام، أضاف جملة بمعنى إنه تمت الموافقة بالفعل. كان متوقع إنها هتيجي كده كده في أيّام، ومش عايز يخسر عقد البلد التانية. غلطة الشاطر بألف. والكوميدي إنها ما كانتش عشان فلوس، ما كانش هياخد عمولة أو أي مكسب على الصفقة دي بالذات، لأسباب مرتبطة بنظام العمولة.

الشباب في الدولة الخليجية التانية حبّوا يتأكدوا وبعتوا الميل للحكومة في البلد اللي إحنا فيها. والبلاد دي محترمة قوي. مفيش هزار. القانون قانون. والراجل مجرم رسمي. تزوير في أوراق رسمية. وأوراق حكومية كمان. قاعدين لغاية الفجر بنفكّر في كل الاحتمالات والحلول. وقدّامي صورة الولد وحواراته وأحلامه ومستقبله. ومراته الحامل وترقيته. المدير القانوني كان محترف وقديم. قاللي مالهاش حل. على السجن رسمي. إلّا إذا. نوصل للحكومة ونشرح موقفه وحسن نيّته وسذاجته. ونتكلّم عن تاريخه ونضافة صفحته. ولا تفرق معاهم طبعًا. دي صورة وهيبة حكومة ومنظومة عمل. لو فاتت مرة يبقى تفوت كل مرة. إشتغلنا اتصالات طول الليل. وأخيرًا وصلنا لحل بديل. يستقيل فورًا ويسيب البلد. كأنه عمره ما كان معانا. غصة في القلب. مصلحة الولد مهمة، لكن كمان مصلحة الشركة. اتكلمنا مع الكبار قوي عندنا، ينفع ننقله بلد تانية؟ طبعًا ما ينفعش. لازم يطلع بره خالص، عشان نقدر نكمِّل شغل في البلد وفي الخليج كله. واجعنا الموضوع، لكن لازم نعمل الصح. على الصبح كنّا في جهة رسمية وخلّصنا الاتفاق وبعتنا مستندات رسمية تقول إننا مالناش أي علاقة بأي حاجة وإن فيه سوء تفاهم. موقف الشركة خلاص مظبوط. باقي الولد بقى.

الساعة اتنين كان في مكتبي، ما كانش عنده أي خلفية عن الموضوع. لكن أول ما فتحت الحوار جاب كل الألوان. اعترف في ثواني، وقاللي بس انا ما كنتش متخيل إنها غلط، وبعدين أنا ممكن اجيب ورقة دلوقتي من الحكومة هنا تقول إنهم موافقين على الجهاز. بعد إيه يا وليد؟ المشكلة كلها لمّا تقول بعد الواقعة، ساعتها محدش بيسمعك، ولو كنت قلت من الأول كنّا صدّقنا. قلت له على الحوارات بتاعت طول الليل، والنتيجة اللي انتهينا ليها. لازم تمضي استقالتك دلوقتي. كنت فاكرها سهلة. قعدنا 3 ساعات من أصعب ما يمكن. شفنا فيها الأربع فصول. ما بين انفعالات وانفجارات وبكاء وهدوء واتهامات وانكسارات. وانا بايظ أكتر منه، لكن وشّ لعّيب البوكر. مفيش هزار. لو قعد يوم زيادة هنبيعه احنا. ونهايته سجن سنين طويلة. ومش قادر أقول له كده بصراحة. ومش قادر أوافق على طلبه يرجع الشركة في بلد تانية. أقصى حاجة قلتها إني ممكن أشوف له فرصة لكن بعد 6 شهور على الأقل. لكن دلوقتي لازم انفصال تام.

مع إصراري الرهيب هو حسّ إن الموضوع كبير. وفي الآخر مضى الاستقالة. في أقل من ساعة كانت موجودة في الجهة الرسمية. موقف الشركة بقى تمام. وفي أقل من 24 ساعة كانت كل الموافقات موجودة عشان مستحقاته. قبضها وأخد معاها تذكرة السفر وكل حاجة. اللي بيخلص في أسابيع خلص في ساعات. لسه فاكر تاني يوم وهو في مكتبي، بيقول لي إحترامي ليك، لكن مش مسامحك. مقتنع تمامًا هو إني السبب وما دافعتش عنه. سلّمته تسليم أهالي. وربّي هو العالم.

سألته يعني انت مش شايف نفسك غلطان خالص؟ قاللي: وحتى لو غلطان، مين فينا ما بيغلطش؟ مستعد أقولك دلوقتي على كل واحد في الفريق غلط إزّاي ولعبوا في الورق إزّاي، بس ما وقعوش.

بالظبط كده يا ابني، القانون مش بيشوف الناس، بيشوف ورق. في نفس اليوم كنت باكلّم جهة واتنين وتلاتة عشان شغل ليه. لكن بالنسبة له كان خلاص. حلم كبير ومستقبل أكبر في طيّ النسيان. وهو شايف نفسه مظلوم. وشايفنا ظالمين. وهما شايفينه نصاب وحرامي ومزوّر. وانا شايفه غلبان ومستعجل. ويمكن طماع. ويمكن كمان ضغط الصورة والناس اللي حواليه.

ساعات بتفرق معانا صورتنا قدّام الناس، وبنغلط كتير عشان ما نخسرش الصورة والبرستيج، وفي الآخر بنخسر نفسنا، وكمان الناس. ساعات الطمع والاستعجال بيركبوا مراكب الشياطين. حلوة وسريعة هي، لكن دايمًا بتلبس في الحيط.. والمكتوب مكتوب.. لو بس نرضى بالمكتوب! خسارة يا وليد!

41 - لمّا تعيش عشان تحارب..

نموذج ما شفتش زيّه في حياتي. من أول يوم شغل كانت في مكتبي، ناقص تاخدني بالحضن. لقيتها مذاكرة كل حاجة عني، بس الحوار كله كان عليها، ومدى قوتها وعلاقتها في الشركة وفي البلد وفي الحياة. رسالة واضحة؛ لو احتجت أي حاجة يبقى هي، ولو تخاف من أي حد يبقى هي. عادي، باحب كلام السكرتيرات الجامدين، وبيبقوا فعلًا جامدين بس لحدود.

نرمين؛ بنت مكافحة بدأت بوظيفة صغيّرة ومؤقتة. وبعدين في يوم ربنا كرمها بفرصة نادرة مع مدير أجنبي كبير وجديد. في زمن قياسي كان في جيبها الصغيّر. نفس الحوار اللي انا سمعته في أول يوم، بس مع الأجنبي جاب نتيجة، خصوصًا لما يكون وقت الثورة والبلطجة والخوف والقلق، كل واحد بيدوّر على كبير أو ضهر. في وقت قليل كانت مسيطرة على الدنيا كلها، والمفروض تكون وقتها مبسوطة ومستقرة. بس ما حصلش، كانت مرعوبة من كل الناس، حتى الولاد اللي بيشتغلوا في النضافة والبوفيه كانوا بالنسبة لها مصدر خطر وتهديد. أمّا السكرتارية بقى فقصة مختلفة، أي سكرتيرة لازم تعدّي عليها، ومفيش واحدة منهم تيجي ناحية الأجنبي، ده تبعها، محدش هيعمل فيها اللي عملته في غيرها.

متخيّل أنا الناس لمّا تكون خايفة على مكانها، بتحارب عشان تعيش. لكن الوضع هنا كان مختلف. نرمين كانت مستقرة ومسيطرة وآخر أمان. لكن كانت جايّة كل يوم في موقعة حربية. بتعيش عشان تحارب. كل حركة صغيّرة من أي حد وراها حاجة، وكل حوار مع مديرها لازم تعرف تفاصيله، وكل ست في المكان عدوة ليها. موّال. وانا بقى كنت الخطر الأكبر، الشغل هناك مش منتهى أملي ولا قمة اهتمامًاتي، وعشان كده مستغني ومستبيع شويّتين. وهي مش عارفة تلاقي معايا سكّة، وانا كمان ليّا طريقة ملخبطة في التعامل جوّه الشغل، رومانسي وظريف واهزّر بس لحدود معينة. وبعدين بعدها أقفّل. ناس كتير تستوعب وتقف وتتقبّل، وناس تانية تقلبها دراما وتتخانق أو تقلق. طريقة غلط أنا عارف ومحتاج أبطّلها. بس عملتها معاها برضه. ودفعت تمنها غالي.

عند أول حاجز حطّيته كانت فاتحة عليّا مدفعية ولا خط بارليف. كلام وإشاعات وتخبيط. بكل بساطة جبتها وقلت لها أنا باعرف العب لكن مش عايز العب. اتعدلت شويّة. بس رجعت تلعب تاني. خلاص خافت. واللي يخاف ما يقدرش يبطّل لعب. شويّة تلبّخ مع الفريق بتاعي، واحنا ما بنهزّرش طبعًا، نرد التلبيخ بأضعاف مضاعفة. وشويّة توقّع بيني وبين الراجل الكبير، وفي الآخر قعدة واحدة معاه تحل المشكلة. بس الإحساس مش جميل. مش حلو إن حد يكون بيراقبك، بيعدّ أنفاسك، مستنّيلك على غلطة. فضلنا كده شويّة حلوين، لغاية ما حصلت المشكلة.

مورّد كبير للشركة، دخلت هي معاهم في علاقة عمل، ولمّا اختلفوا مسحت بيهم الأرض، كلامًا وفعلًا. الناس بعتوا شكوى، وقعدت معاهم وحققت وقريت، ولقيت ليهم كل الحق. قبل ما اخلّص الموضوع وديًّا، لقيت الموضوع كبر قوي. نرمين دخّلت مسئول كبير عندنا في الموضوع والراجل في لحظة باع ضميره وأخد موقف مالوش علاقة بالوقائع ولا المستندات. والبنت بتاعت المورّد لقت نفسها في موقف عصيب قدّامنا وقدّام شركتها. وانا عارف الحقيقة. وما ينفعش اسيب الدنيا كده. تاني يوم كنت باعت للمدير الكبير عند المورّد كل التفاصيل. بأقول الحقيقة وباعيد تحميل المسئولية على الطرف المسئول. الرسالة وصلت والنار ولعت أكتر.

تاني يوم لقيت شكاوى فيّا عند المدير الكبير، وكمان كلام كوميدي عن اللي باعمله في الإذاعة وعلى السوشيال ميديا. جبت المدير اللي ساندها في مكتبي. زنقته. في دقيقتين تراجع وقال إنها ضللته. قبل ما يخرج من عندي كان باعت مستند رسمي بالمعنى ده. شويّة وكانت عندي في مكتبي. أبوس إيدك. ده سوء تفاهم. ما اقصدش. أنا حبيبتك. بعد إيه بقى. المورد كان خلاص مشّى الفريق القديم المظلوم.مفيش في إيدي حاجة أعملها. قلت لها ما تجيش ناحيتي خالص. وعملت حفلة للناس اللي ماشيين ودلّعتهم عالآخر، وبعتّ رسالة توصية ليهم لأعلى مدير عندهم. أمّا نرمين فالوضع فضل سيئ بينا. مديرها خلاص عرف إنها صورة وحشة ليه، لكن فضل محتفظ بيها خوفًا قبل حبًّا. وانا سبت المكان. وبعد ما مشيت عرفت إنها قالت إنه ده نتيجة شغلها وعلاقاتها، وإنها كلّمت مسئول كبير في الدولة عشان يطيّرني من الشركة، والكلام ده كان في نفس الأسبوع اللي كنت واخد مشروع البرنامج الرياسي لتأهيل الشباب.

ضحك هستيري، بلدي قوي منها. أقل من سنة وكانت نهايتها في المكان. لعبت على واحدة جديدة وقررت تطلّع عينيها. والست دي ما كانتش سهلة، لعبت على كبير ووصّلت الموضوع للأجانب برّه، ودول ما بيهزّروش. والريحة فاحت، وكل اللي له تار قديم معاها شارك في الحفلة، كانت ظالمة ناس كتير. من أول موظفين لمديرين لسكرتيرات، لعمال نضافة لبتوع أمن. كانت سمعة سيئة جدًّا، وكل اللي وقف جنبها زمان اختفى من الصورة تمامًا. والراجل الأجنبي في أول فرصة راح مبلّغ عنها كمان للناس اللي برّه، أحب الأجانب في الحاجات دي. في أقل من شهرين طارت برّه المكان. والكوميدي في الأمر إنها كلّمتني أول ما مشيت. بتحكيلي قد إيه هي كانت بطلة في المكان، ودافعت عني لمّا انا مشيت، وإزّاي هي قررت تمشي لمّا زهقت من الشغل الصغيّر التافه. وفي آخر المكالمة كانت بتطلب مني أساعدها في شغل. سبحان الله! الغريب يا أخي إنهم مهما يغلطوا فيك بيبقوا متأكدين إنك هتنسى، وكمان هتساعدهم لو احتاجوا. مش ملاك أنا. بس وعدت وحاولت. محاولة واحدة بس. مش عايز افتكرها. لسه بيطاردني كابوس الصورة.. دخلتها علينا وهي لابسة قُصيّر قوي.. والمنظر مش لائق ووِحش قوي.. وبيطلع لي بالليل ويخوّفني قوي. عيال إحنا برضه وبنخاف..

كان ممكن تعيش عادي.. من غير ما تحارب كل الناس.. بنخسر بمزاجنا لمّا نلعب..

42 - لمّا تلعب مع المافيا..

البلاد العربية بيوصفوها في علم الاجتماع بالمجتمعات العشائرية، يعني لازم كل مجتمع يكون له الزعيم بتاعه وله الأتباع والمريدين. والكبير ده كلمته بتمشي على الكل، ومعاه مفتاح القبول والرفض، ومن حقه يقول مين يعمل إيه، قصة جامدة قوي.

فراس بقى كان ملك لبنان. له تاريخ طويل في البيزنس وفي الحياة، ملك على الأقل بالنسبة للطائفة بتاعته، عشان لبنان فيها طوائف كتير، وكل طائفة وليها الملك بتاعها. كنت انا لسه جديد في الشركة والمسئولية عن المنطقة. وكانت أول زيارة ليّا. قبل ما اسافر مديري حذّرني، إبقى افتكر تعدّ صوابعك بعد ما تقعد معاه. بيسمّوه هناك المعلم. قبل ما انزل من الطيارة المضيفة كانت بتنده اسمي. أرجوك الانتظار. قلقت وبعدين ذهلت. نزلت من الطيارة على كبار الزوار، على عربية مرسيدس فخيمة مستنيني فيها مدير كبير في الشركة. قاللي طلباتك أوامر. المعلم فراس هيدبحني لو سبتك دقيقة. ما عرفتش دي مراقبة ولّا اهتمام. بس ماشي.

من المطار لقيتني في مطعم كبير وتقليدي. مهنّا. دخلت في حضن المعلّم على طول. استقبلني وسط عشر رجالة، كل واحد فيهم زعيم مافيا متقاعد. حاجز نص المطعم تقريبًا، والأكل لازم يخلص كله، والأطباق لا تنتهي، والحلو منوّر على مائدة لوحدها، والحواديت برضه مش بتخلص. قصص ولا الأساطير. عن بيته اللي ضربوه 7 مرات في الحرب الأهلية، وعن علاقاته المتشعبة من أول الأمريكان للإسرائيليين، للروس، لكل الطوائف، وعن نجاحاته الساحقة في البيزنس هنا، وعن نفوذه الرهيب اللي من غيره نقفل الشركة في لبنان. رسالة واضحة. ما تجيش جنبي. وانا أساسًا مش ناوي وجايّ ماشي جنب الحيط. هاشوف الأحوال واعمل تدريب وارجع بلدي. بس الدنيا مش سهلة كده.

بعد ما وصّلوني الفندق واطّمنوا إني نايم في الغرفة، لقيت مكالمة من الريسيبشن. ناس عايزينك. استغربت وسألت ونزلت. 3 بنات من فريق البيع بالشركة. وعينك ما تشوف إلّا النور. حواديت من اللي قلبك يحبها عن الفساد والبلطجة والتحرش والاستغلال. كل ما يمكن أتخيّله عن البلاوي. وانا نفسي قلقت من البنات، كل واحدة فيهم حكاية، لو حكمت عليهم عادي أخاف على المعلم فراس منهم، بس برضه، كل مجتمع وله تقاليده. طب بصّوا بقى؛ لازم تبعتولنا رسمي عشان ما اضمنش لو فتحت الموضوع ورجعتوا في كلامكم. البنات قالولي ما نقدرش نشتكي رسمي، حصلت مرة زمان والبنت يا عيني في سوريا، من ساعتها منفية على الحدود. مش هزار يعني. قلت لهم مش هاقدر أساعد إلّا لو اتكلمتوا. ولو اتكلّمتوا أوعدكوا بالحماية والحق. ضحكات ساخرة. إنسى يا خالد. إنت مش قدّه ولا احنا. بنقولك عشان نطلّع اللي في قلبنا. ولو شاطر يبقى تعملها لوحدك.

طلعت الأوضة مكسور ومكسوف. قدّ كده الراجل جامد. كلّمت مديري الكبير في مصر. قاللي كلامهم صح والراجل جامد. استنّى عليه يقع لوحده. أكيد هيقع لوحده. قفلت وأنا مكبوس زيادة. هنعمل إيه بقى؟ تاني يوم كنا في ورشة العمل. ماشية ميتة ومملة، والولاد على وشوشهم ابتسامة ساخرة بتقول إنهم مش سامعين ولا عايزين. كفاية كده عليّا. وقّفت الحوار وطلبت من المعلّم يطلع بره القاعة هو والمديرين اللي تحته. لحظات صمت وقلق في ذهول. قلت له فيه تدريب لازم يتعمل في غياب المديرين. ساعة كاملة. وهو خارج بصّلي وعمل علامة المسدس مع ابتسامة صفرا. وإيه يعني. عملتها خلاص. قفلت الباب وانطلقت مع الولاد. جامدين انتم قوي. ورّوني بقى. اللي عنده حاجة يقولها.

انطلقوا بكل الحواديت عن الكوارث والفساد والظلم. وقّفتهم في نص الكلام. أساسًا أنا مش مصدّق الكلام بتاعكم، المعلم فراس كبيركم، وما شاء الله، كلكم من طائفة واحدة، واللي من طائفة تانية يا دوب موظفين درجة تاسعة. هي كلمة؛ اللي بيقول حاجة يثبتها. واللي عنده شكوى يبعتها. مفيش نظام بني إسرائيل بتاع «اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون». لا يا حلوين. مش هاحارب معركتكم. معاكم لو لعبنا سوا. ولّا إيه قولولي. صمت القبور تاني. وبعدين صوت واحد من زعماء التمرد. كمّل أستاذ. ما عندنا شي نقوله. حلو الكلام. يبقى تركيز بقى ومشاركة واهتمام. لا تعايرني ولا اعايرك.. الهمّ طايلني وطايلك.. حاضر أستاذ.

المعلّم رجع والقاعة اشتعلت نار. وانا مش طايقهم ولا طايق المعلّم. الخوف مذلّ. كمّلت الرحلة وقدّمت

التقرير بتاعي. نضيف. وعدّت سنة واتنين، وانا كل ما اروح بيروت أحسّ بالفشل والضعف. همّا وأنا. كلنا زي بعض. والمعلّم فراس بيتوحّش. لغاية في يوم جميل واحدة من الفريق استقالت عشان جواز. عرفت وكلّمتها أهنّيها. وبالمرة بافكّرها باللي فات. دلوقتي انتي حرة. إيه رأيك؟ شكوى من مجهول. بس فيها كل المستندات. وانتي برّه الملعب تمامًا. فكرّت وعلى مضض وافقت. قالت لي مش عايزة اللي حصل معايا يحصل مع غيري. وبدأت المعركة.

المرة دي معانا سلاح. لعبناها كلنا مع بعض، 3 شهور والتحقيقات كانت خلصانة. وبعدين دخلنا في التفاوض، مش عايز أقولّك كانت ولا مفاوضات طابا، الراجل طلّع كل الكروت وهدد بتطفيش كل العملاء الكبار، وبالفعل بدأ بعضهم يسحب الشغل مننا. لبنان مش سهلة برضه، اللي صباعه بيضايقه ممكن فعلًا يقطعه. انتهينا في الآخر لاتفاق ولا أسوأ، الراجل يمشي بس يفضل بعقد استشاري لمدة سنة، عشان نراقبه ويراقبنا، مع التزام كل طرف بعدم اتخاذ أي إجراءات قانونية أو الكشف عن أي أسرار تضر الطرف التاني. يعني الراجل ماشي من المكان. واخد حقوقه واكتر من حقوقه للأسف.

أصل اللعب في لبنان مش سهل مع الكبار. في لبنان وغير لبنان الصراحة. كان نفسنا نفضح القصة كلها، ونجيب حق اللي اتعوّروا، لكن العدل المطلق في الآخرة. هنا اسمها الدنيا، وهي دنيا. باصبّر نفسي واقول على الأقل مش هيظلم اللي جاي. وباغمّض عينيا عاللي اتظلموا امبارح وأول امبارح. شايلين ذنبهم كلنا.. بنخاف. على قدّنا..

43 - بين المصالح والعواطف..

عارف إنت لمّا تكون في صحرا مافيهاش إلّا نبع ميّه صغيّر قوي؟ دي بقى كانت هايدي. شركة كانت كابوسية بالنسبة لي. فلوس ودلع وعدم شغل، مع حرقة دم يومية عشان عدم الشغل، وعشان عدم القدرة على تحقيق أي إنجاز. هايدي كانت الضحكة الوحيدة في سماء شديدة التكشير. عاقلة ومهذبة وذكية، ومتحمسة ونفسها تتعلّم. كانت حاسّة بحرقة دمي في ظل الضغوط وعدم القدرة على الإنجاز. ولوحدها كده كانت تيجي مكتبي من غير خوف من نظرات الرقابة اللي هتنقل الخبر للأعداء. وتقعد معايا ساعة واتنين تسألني في كل حاجة، سياسة وإعلام وبيزنس وموارد بشرية وحياة. كنّا إحنا الاتنين ثوريين عاقلين في وسط بحر هايج بكل أنواع الفلول اللي همّا بيعشقوا الفساد بصراحة ويقولولك احنا كنا مبسوطين وراضيين كده.

مش لازم اتكلّم تاني عن حبي العنيف لفكرة إضافة القيمة، واستمتاعي الأشد عنفًا بالكلام الحلو لمّا حد ينبهر بيّا، نقطة ضعف البشر الأكبر هي الغرور بلا جدَّال. اشتغلت معايا في حاجة واتنين، وشفت فيها نموذج جميل وموهبة حقيقية، وكانت كمان بتسمعني وانا بافضفض عن إحباطي في المكان، ودايمًا تشاركني نفس الرأي بتاع محاولة التغيير بكل صبر والاستمرار في السعي. أول ما رحت مكان جديد فكرت فيها. كان عندي منصب مدير، كبير عليها، بس انا طول عمري باحب أدّي فرص للشباب الصغيّر. تعيينها كان من أصعب ما يمكن، الهنود كانوا مسيطرين، وعندهم مرشح تبعهم. وانا أخدتها معركة شخصية ووطنية. قعدنا شهرين في صراع مع الإدارة في المركز الإقليمي في الهند. الراجل الهندي استنّى لغاية ما هايدي بدأت شغل معانا بالفعل، وبعدين بعتلي رسالة مهذبة للغاية، بيقوللي فيها إن تعيينها ما ينفعش لأنه كان لازم ناخد موافقة استثنائية بسبب تغيير نظام الموافقات مؤخرًا. مش هانسى المكالمة التاريخية معاه، ساعتين ونص من الكفاح المتواصل، عشان أقنعه أو يقنعني. بصراحة الكفاح الحقيقي بالنسبة لي كان إني أفهم كلامه، هندي على إنجليزي، وكمان بصوت واطي جدًّا والحوار لجوّه مش لبرّه، يعني بيكلّم روحه. وانا خايف أقول أيوه على أي حاجة أنا مش فاهمها، وكل ردودي بتبقى عمومية جدًّا، وبعدين أعيد نفس كلامي مرة واتنين.. لغاية ما قبلوا غصب عنهم، مع تهديد صريح إن أول غلطة منها برفد على طول لسه فاكر رسالتها ليّا يومها، تقريبًا 3 صفحات. بدأتها بكلمة إنها مالهاش في الكلام الحلو، وبعدين انطلقت في أجمل رسالة تقدير وحب وعرفان وود جاتلي في حياتي، ومعاها طلب صريح باستمرار الحماية والرعاية عشان ما تخسرش الفرصة في أول 3 شهور، وانتم خلاص عارفين قدّ إيه أنا باحب الحاجات دي، إحساس الراجل الكبير.

وبدأت هايدي الشغل معايا، والحياة برضه ما كانتش وردية. كانت نضيفة قوي وصريحة قوي، ودقيقة زيادة عن اللزوم. وده كمان عمل مشاكل ما بين خناقات مع مديرين مستعجلين أو متدلّعين، وما بين مشاكل بسبب التدقيق الشديد اللي بيعطل الشغل. وفي كل الأحوال كنت معاها. ولّما اصطدمت بواحد من الناس الكبيرة قوي والواصلة قوي، دخلت المعركة مكانها، وجبت ليها حقها واكتر. وكل مرة يكون نصيبي كلام يقطّع القلب، حب وتقدير وعرفان. وانا طبعًا فرحان وسعيد. باحب اكل بوداني. الكلمة الحلوة بتفرق جدًّا. أمّا يوم ما أعلنت إني ماشي خلاص، فده بقى كان قصة تانية تمامًا. بكاء لا ينقطع، وصل إلى درجة الزعل مني. إزاي اسيبها وامشي! تأثرت أنا جدًّا، وغالبًا تأثرت أكتر منها، لأنها بعد اليوم ده بطّلت أي نوع من التأثر تمامًا. ولا حتى أدنى درجات الاهتمام. مرة واتنين أكلمها وابعت اسألها لو فيه حاجة معينة ضايقتها، والرد يكون برود شديد مع ابتسامة صفراء؛ مفيش حاجة.

ما قدرتش أمسك نفسي. في يوم كلّمتها وسألتها، إيه اللّي حصل؟ أو بكلام الأفلام أنا إيه في حياتك؟ نفس البرود، نفس الرد الرسمي قوي بلا أدنى أنواع المشاعر؛ عادي، مفيش حاجة، أنا على طول كده. قلت لها ما كنتيش كده. قالت لي أصلي ما باعرفش اتكلم أو اقول إللي حاسّة بيه. قلت لها نصابة. ياما قلتي ودموعك سبقت كلامك. غصب عني قلبت طفل انا. ما انا عايز افهم أنا كمان. يمكن تكوني زعلانة إني ما فكّرتش آخدك معايا في الشركة الجديدة، ضحكت وقالت لي: مستحيل أفكّر أروح معاك في شركة محلية. بكل صراحة كده، يا بنتي أنا أساسًا جبتك من شركة محلية، مش عيب يعني، إحساس ثابت البطل، الله يرحمه، وهو بيعاير اللعّيبة بأول يوم شافهم فيه قبل أيام العز. فكّرتها بأيام التعيين، والصراعات مع الهند، ومشكلة التحرش، والخناقة مع الكبير، وكل موقف من دول أنا عملت إيه، وهي تأثرت إزّاي. وهي

قاعدة بتسمعني بكل هدوء، وفي الآخر بنفس البرود قالت لي: أنا مش عارفة انت تقصد إيه، أو متوقع مني إيه دلوقتي! لحظات صمت مني. وفجأة الصورة نوّرت. هايدي ما كانتش بتمثّل، كانت طبيعية جدًّا، العادي عندها إنها تدلّع مديرها بكل ما عندها، ويوم ما الراجل ما يبقاش مديرها، تبيعه تمامًا. افتكرت أسلوبها اتغيّر ازاي مع المدير اللي هياخد مكاني. تقريبًا نفس اللي كان بيحصل معايا، من أوّل يوم متابعة ورومانسية وإعطاء المدير الانطباع إنه أهم واحد في الوجود وإنه السند والضهر. ومين ما يحبّش يبقى كده، وخصوصًا مع وردة مفتّحة زي هايدي؟ والأظرف كمان إنها عملت نفس القصة مع المدير الهندي اللي برّه مصر، يا رااجل! وحياة كل الآلهة اللي عندك؟! حتى انت يا هندي.. الفيلم التقليدي العتيق. مات الملك القديم، ويحيى الملك الجديد. مش قصة عواطف ولا حاجة. قصة واقعية ومصالح. فكّرتني بسكرتيرة قديمة ليّا. كانت بتقوللي أنا هنا عشان اريّح المدير. مش المدير قوي يعني. طول ما هو مديري أدلّعه. بس يوم ما يقع ولا اعرفه. صريحة كانت. والصريحة عندي أحسن من الممثلة. نفس اليوم شلتها من قلبي. وتاني يوم شلتها من حياتي. متأكد إنها ما فرقتش معاها.

فيه ناس كده. مستعدة تلعب الدور لغاية الآخر، وفي ثانيـة واحـدة تلعـب دور جديـد. أحـب الفنانين. ما دام إن بابليك ومفيش فيلنج يبقى سو وات. خسارة يا هايدي..

44 - لمّا تبطّل شغل بجد.. قصة حزينة..

حكولي عنهم قبل ما استلم الشغل. صراع الستات الجامدين. كانوا اتنين، والاتنين قريبين في السن والخبرة. ومختلفين تمامًا في الطباع والقدرات والمهارات والخبرات. بس الاتنين متفقين على حاجة واحدة؛ شايفين نفسهم جامدين جدًّا. وكل واحدة منهم مقتنعة إنها الوريث الشرعي المستقبلي للمنصب الكبير.

أول حاجة عملتها لمّا بدأت إني لغيت المنصب الكبير. مش محتاجه. ومش ناقص صراع. ولسه عايز اتفرج عليهم واشوف مين فيهم يقدر يروح لغاية فين. قلت لهم نظامي؛ هاشتغل معاكم بكل حماس وحسن نية، وناخد فرصة واتنين، اللي هتقع مني هانساها، وتدريجيًّا مش هاعتمد عليها. الأولى ما ضيّعتش وقت، في أقل من أسبوع كانت عاملة حملة اتصالات وتربيطات وتنسيق وضغط مع كل المسئولين اللي في الشركة برّه وجوّه مصر. ولأن الدنيا صغيّرة والناس كلها بتسعى في الخير، فكل الحوارات وصلت عندي، وبعد أقل من شهر كانت برّه الملعب تمامًا.

أمّا التانية بقى فكانت حكاية؛ وفاء. ثقة بالنفس أسطورية واحتقار للإهمال وإيمان رهيب بالنموذج الألماني والعمل الجاد والإتقان. كلّمتني أساسًا عشان آجي اشتغل معاهم، ورحت ذوقيًّا بس عشان كلامها الجميل، حافظاني وشايفاني مثل أعلى من أيّام الجامعة، إذاعة وشغل، موارد بشرية. ورحت وسبحان الله الموضوع مشي وبقيت مديرها، كنت أنا بالنسبة لها هدية من السما عشان ألماني في شغلي. حكت لي عن عذابها مع الفريق المهمل. المتدلع، وإزّاي همّا مش طايقينها عشان جديتها ونظامها. بس أيامي الأولى ادّتني انطباع مختلف، بعض الغرور والتعالي مع الفريق، اتكلّمت معاها وقالت لي معلش اعذرني، أصلهم مهملين قوي. ماشي. بدأت معاها في مشروع مهم مع المركز الإقليمي. المشروع كان بقاله سنتين متعلق. مليون سبب قلت لها معاكي أنا. نعمل خطة وجدول زمني ونشتغل ونشغّل معانا الناس بالذوق والإحراج والعافية. وسبحان الله! الموضوع اتحرك والعجلة دارت. وقعت مني مرة واتنين في النص، ولقيت إن جزء كبير من المشكلة سببه سوء معاملة الناس، والناس عامة لو مش تبعك، مش هيعملولك شغل إلّا لو بيحبوك، لو لسانك حلو معاهم.

في ست شهور كنّا بنعمل حفل تشغيل المنظومة بالكامل، وواخدين تقدير عالمي من أكبر ناس في الشركة. قعدنا بعدها في جلسة مراجعة وتقييم، إحنا نجحنا بس عايزين نتعلم. عايزين الإيجابية الحقيقية، الحلول مش المشاكل، العمل الجماعي مش النجاح الفردي. يللا بقى يا وفاء ندخل على اللي بعده. مفيش. طب شويّة بس. أصل الضغط كان جامد. أصلك إنت سريع زيادة. طب معلش أنا متضايقة جدًّا. أصل إنت لمّا جيت والمشروع اشتغل أخدت إنت النجاح كله. يا بنتي نجاح إيه، ما هو المشروع باسمك، واحنا فريق عمل؟ يللا نشتغل في اللي بعده. قدّامك فرصة كبيرة. مفيش. طب خليني أساعدك في البدايات، مش عايزة، كده تبقى الحاجة باسمك. يقطع اسمي وسنينه. انسى اسمي، أو اعملي الشغل لوحدك. برضه مفيش. نفذت كلامي معاهم عن طريقة شغلي. لو ما عملتيش الحاجة هاعملها انا أو غيرك. وفعلًا بدأت أشتغل مع اللي تحتها. والولد طلّع قماش. وفاء تدريجيًّا انطفت، وبعدت واختفت. كل اجتماع أتكلم معاها واسألها؛ فيه حاجة، هل قصّرت معاكي، محتاجة مني مساندة؟ والرد يكون: كله تمام.

في نص السنة قعدة المصارحة كانت مؤلمة بس مفيدة. خرجنا منها بوعد بالتغيير والعودة للتألق والإنتاج. وقعدت واتفرجت. واللي شفته ما عجبنيش، حتى الالتزام بالمواعيد البدري قوي اختفى، غالبًا كان مرتبط بمواعيد المدارس مش بالطبيعة الشخصية، لمّا المدارس خلصت الالتزام راح. وانا كمان مش ملاك. بني آدم لحوح وغلس في شغلي. بقدر زعلي من أداءها بقدر ما هريتها ضغط وهزار وتريقة. غلطان بس طبعي كده، والفريق عارف وموافق، غالبًا غصب عنهم. كنت باقنع نفسي إنها هتتغاظ وتسخن وتشتغل وتثبت لي اني غلطان. ما حصلش. في يوم بارد دخلت عليّا بورقة الاستقالة. متوقعة، هي كانت راحت من زمان. سألتها الأسئلة المعتادة، انتي واخدة قرار نهائي ولّا نتكلّم؟ طب أنا قصّرت معاكي في حاجة؟ طب عايزة تغيّري وظيفة أو فريق؟ الإجابات كانت كلها جميلة ورومانسية. وإزّاي أنا كنت نعم المدير والصديق ، وإزّاي اتعلمت مني ويمكن كمان خذلتني. والدموع الجميلة خلّتني مستعد اعمل أي حاجة عشان أرضيها. لكن هي واخدة قرارها. نفس اليوم أعلنت الخبر للفريق وبدأنا ندوّر على البديل. ودي كانت بداية دراما تانية. كان بيوصلني كلام بشع بتقوله هي وجوزها عن الظلم اللي تعرضت له والإهمال وعدم المساندة. إزّاي انا

معنديش قلب، وما صدّقت إنها تقدم استقالة عشان اجيب غيرها. وانا بكل براءة جبتها وشهدّت الناس وسألتها تاني لو انا مقصر في أي حاجة، وعن استعدادي لرفض الاستقالة لو عايزة تقعد. ودموعها كانت الرد، مع كل الكلام الجميل عني وعن دوري في حياتها. طب إيه؟ الحملة استمرت. وآخر أسبوعين ليها كانوا مهرجان هجوم على العبد الفقير إلى الله. واحنا كالعادة بنعمل حفلة وداع وهدايا وحركات. قلت مش هاروح بعد كل اللي هي بتقوله، واصغر واحدة في فريقي قالت لي مش إنت ولا مقامك، إنت الكبير. حاضر، رحت وكمان جهّزت كلمة حلوة عنها. وقلت فعلًا، وهي برضه دموعها كانت رسالة الشكر والتقدير. بس الباقيين كانوا كلهم ساكتين ومش مبسوطين. مشيت هي وعرفت ليه.

طلع القعدة كلها قبل وصولي كانت وصلة هجوم رهيب عليّا وعلى كل اللي عملته. ودعوة صريحة للفريق كله إنهم يفوقوا بقى من الوهم بتاع الراجل ده. زعلوا همّا بس انا ما زعلتش. الدنيا كده. باقول لنفسي يمكن انا ظلمتها. وممكن تكون أحسن لعّيب وما تنجحش مع فريق معين أو مدرب كويس برضه. بس صعبان عليّا المجهود والدموع الكتير. مشيت ونسيت. وانا نسيت. ولمّا كلمتني بعدها بشهور بتطلب مساعدة في حاجة في شغلها الجديد، ضحكت وساعدت. ولمّا جوزها ظهر قدّامي وطلب مساندة في فرصة عمل سلّمت وحضنت، وعلى قدّ ما اقدر ساعدت.

أجمل نعمة هي النسيان.. ومحدش في الآخر بيعرف إذا كان كسبان ولّا خسران..

45 - لمّا الماس يلمع تحت التراب..

دي بقى قصة ولا أغرب. واحدة كنت متأكد من أول يوم إني هارفدها. لمّا بدأت كانت في مهمة 6 شهور في الهند. حكولي عنها، بريهان، مندفعة وعصبية وعنيدة وعشوائية وبتتخانق مع طوب الأرض. كانوا متراهنين إنها هتكسّر كل الأنظمة اللي انا أطلقتها. أول تعامل كان عبر البحار. بعتت إيميل بتبهدل فيه واحدة زميلتها، وحاطّة في الإيميل تلاتين واحد تقريبًا، فضيحة يعني. ردّيت ودخلت فيها شمال، بهدلة على الأسلوب والانفعال وعدم الاحترام، وقفلت الموضوع. بعتت لي لوحدي بتقوللي عايزين نتكلّم، رفضت مرة وأجلّت مرة، وفي الآخر اتكلمنا، مكالمة ساعة ونص.

بريهان زي الرشاش المندفع، وبتدخل في تفاصيل مالهاش أي علاقة في الموضوع، بصعوبة ركّزت في الحوار، وبرضه طلّعت عينيها وبعترتها استغلالًا لسلطة المدير، وقفلتها بتحذير عن الأيام السودة اللي مستنياها لمّا ترجع. أول أسبوع بعد رجوعها كان نار، تقريبًا كان فيه عربية مطافئ وعربية إسعاف تحت المكتب. من أول إيميل بعتته هي جبتها عندي في المكتب، واتّريقت على الأسلوب والطريقة والمعنى والمنطق. كل حاجة يعني. وهي دخلت فيّا شمال، وانا قلت لها هو ده النظام، وأسلوبك مش عاجبني، ومن النهارده كل حاجة تبعتيهالي الأول قبل ما تبعتيها للناس. تلميذة تانية تالت يعني. أذهلتني بأنها قبلت. وقالت لي إنت شايف فيّا إيه غلط؟ وانا رصّيت اللستة كلها. وهي كتبت كل حاجة قدّامي، وقالت لي أوعدك إني هاشتغل على نفسي من النهارده وإن شاء الله هاوّريك أنا مين. قلت ده فيلم أكيد. هتطلع من عندي على النيابة. ما عملتش كده.

هو أسبوع. أسبوع من نار، خبطنا فيه مع بعض مرة واتنين وتلاتة، وفي آخر الأسبوع كانت ساكنة قلبي. في حياتي ما شفت قلب طيب وإنسانة نضيفة بريّة طبيعية زيّها. القدرة الرهيبة على التعلم، والقدرة الأجمل على الاعتراف بالغلط، والقدرة الأروع على اكتساب المهارات والكفاءات التنافسية. شهر واحد وكانت بتتخانق معايا لسبب مختلف تمامًا؛ إنت إزاي مش بتقرا الإيميلات بتاعتي؟ عشان واثق فيكي، مية في الميّة. سبحان الله، في زمن قياسي بقت اشطر واحدة في الفصل، حماس وروح وإنجاز، ما في حاجة صعبة إلّا وهي اللي تعملها، ما في موقف عصيب إلّا وعدّيناه سوا.

وكله كوم وطبيعتها الشخصية كوم تاني، عايشة كأنها في بيت العيلة القديم، تدخل مكتبها تلاقي أطباق أكل وجرايد وشبشب زيادة، ومعاهم عادي إنك تلاقي ورد وشراب مرمي على الأرض وإسدال عشان الصلاة. الطبيعي بتاعها إنك في أي وقت في الليل أو النهار تلاقي في مكتبها ضحية، وموظف في إدارة تانية أو حد من الموارد البشرية، وهي بتتعامل معاه كأنه فار تجارب أو أسير حرب، وبتستجوبه على كل حاجة في حياته، وبالمرة تقول له إنه لا يصلح خالص، وتشرح له يعمل إيه في الدنيا كلها. والغريب إن الناس كانت بتبقى مبسوطة، وبيحبّوها مهما تعمل فيهم. في آخر السنة كانت واخدة تقييم عالي، وقلت لها كفاية لعب ودلع، عايزين التحدي الجديد. نقلتها لوظيفة جديدة مع فريق صعب جدًّا. عيّطت وقالت مش قدّها. أسبوعين وكانت داخلة منهارة عشان بهدلوها. عمري ما انسى الصورة، وانا طالع من مكتبي وفي وشّي بركان غضب، وهي بتجري ورايا زي زهرة العلا ورا رشدي أباظة في فيلم في بيتنا رجل. وانا مقتحم الاجتماع اللي كانت فيه وخارج سايب ورايا رجالة بشنبات ماسكين الدموع وبيعتذروا ليها بجنون. لو اقولّك على فرحتها باليوم ده، وكمّ الناس اللي كانت تحكيلهم على مديرها واللي بيعمله عشانها.

كانت جدعة ومحترمة وبتشتغل. وما بتقبلش الغلط. مانساش موقعتها مع مدير كبير قوي، كان عايز يمشّي حاجة غلط، وهي أصرت على الصح وكمان أحرجته وفضحته. ليه كده يا بريهان؟ الراجل شالها في قلبه، وفي آخر السنة وقت التقييم وقف في وش الترقية بتاعتها وزيادة المرتب. وكانت موقعة تانية. في الاجتماع الكبير الموضوع باظ، طلعت منه خسران، وبعدين بكل صبر قعدت أسبوعين باجمع كلام إيجابي وشهادات من كل واحد لوحده، وفي الآخر قدمت عريضة متكاملة، فاضحة للجميع، وأخدت أعلى الزيادات وأعلى درجات التقييم. بقى ده العادي بتاعنا. هي تعمل شغل عالي وتدخل في مشاكل جامدة، وانا بكل سعادة بادخل وراها واسندها واحميها. لو اقولك عن كم المرات اللي سألت عليّا، وخافت عليّا، وفاجأتني بكلمة حلوة، أو هدية من القلب. والكلمة الحلوة عمرها ما كانت كلمة حلوة بجد، كانت دايمًا في صورة خناقة من بتوع أنا إيه في حياتك، أو مش بتسأل عليّا ليه. مش محتاج احكيلك عن كم المرات اللّي لعبت دور حماتي ومنعت عني احتمالات دلع وشقاوة، وعن كم المرات اللي كنت باحكي موضوع مهم جدًّا وفي

صميم الشغل، وهي تدخل بأسئلة مالهاش أي علاقة بالموضوع، عالمها الخاص بقى..
بريهان بقت روح المكان، وصوتها وضحكتها كانوا وقود اليوم عندي. قبل ما امشي كنت عامل كل الترتيبات عشان تاخد منصب إقليمي. كانت أكتر واحدة تستاهل الوظيفة، لكن الحياة مش دايمًا بالاستحقاق، الوظايف الكبيرة عامة بتروح للعّيبة بتوع العلاقات. كل اللي عملته إني كلّمت المدير الأجنبي في دبي، وطلبت منه يقعد معاها ساعة واحدة بس. وقلت لها لمّا تقعدي معاه كوني نفسك. قالت لي كده هاروح في داهية، وانا أصرّيت.

والراجل كلّمني قاللي جبتها منين الجوهرة دي! قاللي إنه ما شافش في حياته زهرة برية مفعمة بالحيوية والروح زيّها. أخدها طبعًا، وبصراحة ما عملتش حاجة، هي اللي عملت، شغلها وأخلاقها وحماسها. ونيّتها الحلوة. مشيت بس لسّه بنتقابل، باطّمّن عليها كل شوية، والاقي مكالمة عابرة تقوللي فيها في النص وحشني مديري.. لسه باخاف عليها من بعيد.. يوم ما سبت المكان كنت سايب حتة من قلبي معاها. مين قال البعيد عن العين بعيد عن القلب.. بريهان..

46 - لما تلعب مع الكبار.. التفاوض..

كانت أيّام عصيبة قوي. المبيعات متدنّية جدًّا والسوق قافل والمرتبات أساسًا مش مضمون ندفعها في وقتها. وكل اجتماع مجلس إدارة نسمع من بتوع البيع كلام كلام كلام. والوعود مش بتتحقق، والأعذار فقدت معناها، والخناقات والتوبيخ فقدوا تأثيرهم. طب إيه بقى! اتصرفت لوحدي، الموضوع محتاج تغيير صادم، حتى لو له تمن.

في يومين كنت ماسح السوق وطالع باربع أسماء لعيبة كبار، شفت الظروف والإمكانيات والتاريخ، وكمان الوضع الحالي وشغّال ولّا في البيت، عشان انا كمان عندي سقف في الفلوس والإمكانيات. ولقيته، لعّيب عالمي، بره الملعب بقاله فترة، وهيموت يرجع الملاعب. فرصتي بقى، قعدتين طوال، كل واحدة 4 ساعات، والراجل كان متظبط، ماديًّا ومعنويًّا وكله. الوظيفة كانت أقل من خبراته والفلوس بالتالي أقل من طلباته، لكن مين فينا بقى بيشتغل شغلته في الزمن ده؟ كلامي معاه كان عن العودة واكتساب الخبرة في مجال جديد وإثبات النفس وقبول التحدي. وماكنتش محتاج كلام كتير. كان جاهز. الناس عندي كانوا خايفين من التغيير، وانا أصرّيت عليه، ودلوقتي، فورًا. قلت لهم لمّا الولد ابنك بيكون عنده أزمة حساسية ومش عارف يتنفس، بنفتح كل الشبابيك مهما كان الجو تلج. لازم صدمة، وده وقتها. بس نعمل حسابنا، اللعيب الكبير لما يزهق من اللعب بره، هيلعب جوّه، وساعتها محتاجين نكون مستعدين ببدائل وحركات. وافقوا. وعملناها.

وفي يومين الدنيا نوّرت. بنفس الناس وكل حاجة. مبيعات وأرقام وكله، والراجل الجديد بقى بطل العالم والأسطورة. كان لسه عندنا الراجل اللي قبله، قاعد ومستنّي الحساب. وكان عامل عقد غريب الأطوار، عدّى في ظلام الليل وادّاله حقوق غير طبيعية، لو دفعناها نقفل، والعقد اللي عمله كان واحد من الحرس القديم، اللي بيعملوها بالطريقة البلدي، ويخبّي البلاوي تحت السجادة ويتخيّل انها عمرها ما هتبان. بانت المرة دي، والراجل بعتلي وقاللي أنا مش هامشي إلّا لو أخدت كل فلوسي وتعويض كمان.

دخلنا بقى على التفاوض التقيل. اتكلّمنا بصراحة. كان معايا دراعي اليمين، بتفرق لما نلعب اتنين على واحد، نضرب ونلاقي. قاللي: حقي وهاخده بالذوق أو بالعافية. بدأت أطلّع كروت قديمة. تحقيق قفلناه وممكن نفتحه، غلطة في موضوع تتمسك عليه. عدم استعمال النظام وبالتالي غيابات كتيرة غير مبررة. نقدر نلعب بلدي يعني. سألني بصراحة: ضميرك هيبقى مستريّح لو عملت كده معايا؟ قلت له بقالي ليلتين بافكّر في كده. حطيت نفسي مكانك، ولو كنت مكانك ما كنتش هاكمّل بعد ما الدنيا وقعت، وما كنتش هاقبل التدخلات في شغلي واقول الراجل الكبير عايز كده، وإنت فاكر حواراتنا مرة واتنين على الصح والغلط، وكمان قصة قديمة عن شاب صغيّر ظلمته عشان تحمي ناسك. كما تدين تدان. هنتفق ولّا إيه؟ إلّي باقوله دلوقتي مش هيكون موجود كمان 12 ساعة، فكّر وقوللي. خرجت مع تليفون وهمي من سكرتيرتي، وسبته مع زميلي يكمّل عليه. رجعت بعد عشر دقايق والراجل مستوي. المرة دي قلت له لأ. نستنّى لبكره. بالليل حاول هو يلعب يمين وشمال، ولمّا لقى الأبواب مقفولة كان عندي تاني يوم الصبح. خلّصنا. وقلنا هنبدأ شهر العسل بقى مع الراجل الجديد، لكن زي ما توقعنا ما قعدناش كتير. هما يا دوب 4 شهور وبدأنا الألعاب تاني.

الراجل الجديد عمل زي ما الكتاب بيقول. زهقان وعايز زيادة وبيلعب ويناور. وقتها كان لازم نرد بإضافة جديدة. والمرة دي أصعب مليون مرة. لعّيب أجنبي، من بره مصر. ماكانش محتاج تقييم. الراجل جاهز، لكن أكيد محتاج تفاوض على مستوى عالمي. كان أقوى ماتش تفاوض لعبته في حياتي. مطلوب مني أجيبه على قيمة تساوي نص اللي كان بياخده قبل كده. وكمان بتقسيمة أعلى للمتغيّر، يعني مرتب أقل وحافز متغيّر أعلى. مستحيل يعني. قلت لمديري كده. قاللي أُمّال إنت معايا ليه؟ عارفني هو، باسخن على التحديات، وباحب الحاجات دي. كالعادة البداية بالمعلومات. أساس الخطط والمناورات. كل حاجة عن الشخصية واللي بيستفزها ويحفزها. والظروف المادية والموقف في الشغب. وبعدين دراسات مقارنة عن تكلفة المعيشة والحياة في بلده بالمقارنة بينا، عشان نعرف بيحوّش ولّا إيه؟ وجبته مصر. يومين الأول جولة في مصانع ومكاتب من أجمل ما يمكن. مش صغيّرين احنا. وبعدين سلسلة مقابلات عادية جدًّا مع الفريق القيادي. مش بنهزّر احنا. كأننا لسه بنفكر نجيبه ولّا لأ. وبعدين يوم بحاله سايبينه في الفندق مع رسالة بما معناه إنه غالي علينا. وبعدين تاني يوم قعدة وعرض مبدئي أقل كمان

من اللي هنقدر ندفعه. وبعدين مع الصدمة بتاعت الراجل اسمع كلمتين، ولما ينفعل شويّة أمسك في كلامه واعمل زعلان ورافض الأسلوب، عشان هو يعتذر ويتعدل. نتفق نقعد بالليل، وبعدين أعتذر في آخر لحظة، وَارتّب له عشا مع ناس من المجال، يسمع كلام حلو قوي عن السوق والفرصة والمستقبل. تاني يوم مسافر هو، يكلمني وهو بيموت: إيه النظام؟ أقول له لسه باحاول أحسّن العرض، نتقابل في الفندق، نص النهار أكلمه واقول له مش لاحق أجيلك، أحاول ألحقك عند فندق المطار، دراما وأعصاب وحركات، عشان نتقابل فعلًا قبل الطيارة بـ 3 ساعات عند المطار. ويسمع العرض، أعلى شويّة لكن المتغير يزيد والثابت يقل. قبل ما ينطق أقول له بلاش تمضي دلوقتي، أنا لو مكانك لازم افكر. واحنا كمان هنفكر، عشان عدّينا الحدود اللي كنّا عاملين حسابنا عليها. أصر يمضي. وقلت له مش هاعتبرها التزام. إرجع بلدك وفكّر تاني. الفرصة كبيرة بس لازم تبقى راضي. قاللي: أنا راضي ومستعد. واحنا بنسلّم على بعض عينينا بتتلاقى في نظرة احترام، على فرحة، على غيظ. عمري ما تخيلت اعملها. بس درس مالوش مثيل.

مفيش مستحيل. لا في الزمن ولا في القيمة ولا في الإنجاز. نتكل، نعمل اللي علينا ونعمل حساب كل حاجة، وننزل الملعب. اللي بيلعب ممكن يكسب أو يخسر. واللي مش بيلعب أكيد عمره ما بيكسب. عملناها..

47 - حاميها حراميها.. بتاع الألعاب والتحرش..

حمادة كان لزج قوي. جدًّا يعني. لما يبدأ حوار تبقى عارف إنه مش هيخلص، وتعمل حسابك تشيل نص الكلام اللي هو فشر وفتي. والنص التاني بيبقى جمل محشور فيها اسم الراجل الكبير. لازم الكلام عن العلاقة الحميمة والخروج بالليل وكده. مش عيب، فيه ناس ما تحسّش بقيمتها إلّا وهي محميّة بحد كبير. وبعدين جمعنا الشغل.

الراجل شغلته النظام والقواعد والحوكمة، لكن ما شاء الله كل مرة تحصل حاجة، تلاقيه شغّال ضحك وهزار وتلميحات قلة أدب، ووراها أفكار للحلول دايمًا برّه القواعد والنظام. شويّة وبدأنا نعمل شغل حلو ونجمنا يعلا، وساعتها الراجل قلق مننا، وقرر يحطّنا في دماغه.

البداية كانت مع ولد صغيّر عندي، كان بيخلّص شغل مع مورّد وحبّ يستعجل الأمور ويسهّل الإجراءات، بعد سؤال الإدارة المسئولة. السؤال كان شفوي، غلط طبعًا، والنتيجة كانت فضيحة عملها حمادة. مسك الموضوع وكبّره جدًّا، وطلب تحقيق، ووقف العمل وعطّل الدنيا. وانا من ناحيتي قلت للولد اللي عندي استحمل الغلطة لكن ما تكدبش أو تخبّي. من ناحيتي جبت شهود للحوار اللي حمادة نفسه وافق على الإجراء، وجبنا المورد وأثبت رسمي إنه ما أخدش حاجة أكتر من حقه. وقتها حمادة قلق وقرر يقفل الموضوع، وأنا بقى أصرّيت نكمل للآخر. في الآخر هدّينا اللعبة، وقرار الرفد اللي كان جاهز للولد اللي عندي انتهى للفت نظر.

بدأت أتفرّج على حمادة، قلقني بإصراره على العقاب العنيف للولد اللي عندي. شخصية غريبة جدًّا، فارق معاه قوي البرستيج والمنظر، ولازم يكون حاسس بقيمته، والناس تحسّ بقيمته، حتى لو عن طريق تعطيل الشغل وإيقاف كل الصفقات. متعب بس ماشي. شغّالين إحنا وحمادة معانا، حاشر نفسه في كل حاجة، واحنا بنضحك ونهزّر، بس بنجمع له مستندات. مش بنحب نلعب بس بنعرف نلعب. اللي بعدها كان موضوع استعراضي في المصنع،. حب يعمل جامد قدّام الراجل الكبير، ورفد حد في لحظة. والراجل كان موقفه سليم. ورجع لنا بتهديد بقضية وفضيحة. واحنا أقنعناه بالاستقالة وتقبل الاعتذار، بس خلّينا الورق عندنا، ورق بيقول إن حمادة بيمضي إنه طبق القانون، والقانون بيقول عكس كلامه. شلناها للزمن. ومعاها حاجة تانية كانت كوميدية جدًّا.

مرة في حوار مع مديرة عندي، كان غلط فيها، وطلعنا وقعدنا معاه، وفهّمناه غلطه، والراجل وهو بيعتذر قام وباسها على خدها، يا رااجل! ما تفهمش عقل باطن ولّا رغبة مشبوبة ولّا حرمان من الشعر الأشقر. البنت اتخضّت واتكسفت وسكتت، وانا سجّلت اللقطة والصورة. أكيد هييجي يوم ونحتاجها. وجه اليوم فعلًا. معركة كبيرة بدون سبب مع مديرة تانية كبيرة عندي، والراجل كالعادة مستفز وغلّاط، والمرة دي كمان هو مصرّ يحوّل الموضوع للتحقيق وعايز حقه. كنت خلاص في آخر أيّامي في المكان، بس أحلى المعارك بتبقى في النزع الأخير. وكانت المواجهة والقعدة مع الراجل الكبير. وحمادة شغّال شحتفة وتأثر وكلام عن الإهانة إللي اتعرض لها. بصراحة المديرة اللي عندي كانت قايمة بالواجب معاه، لكن نتيجة لاستفزاز متواصل. قبلت آسفة لكن. وهو مصر على آسفة من غير لكن. وانا عمّال اقول واهدّي واطبطب وادلّع، وهو مصرّ.

جه وقت الدراما، قلت لها اعتذري له حالًا بلا شروط. استغربت هي وخافت من انفعالي الشديد، واعتذرت في نفس اللحظة. وبعدها بحركة مسرحية طلبت منه اعتذار فوري ومكتوب عن التحرش اللي عمله مع المديرة التانية. تحرش؟! ضرب ألوان وقطع نفس وتهته في الكلام. ما حصلش، لا حصل يا شقي. ماقصدش، لا كنت عارف يا عفريت، وقواعد الشركة برّه بتعتبرها جريمة، والبنت مصدومة وحاولت تسكت خوفًا من البطش، لكن من النهارده مفيش سكوت. والله ما اقصد، أنا كنت فاكر إنه عادي بالنسبة لها. وانا أنفجر أكتر وأمثّل أكتر؛ تقصد عشان مش مسلمة؟ يعني عايز كمان تصنّف دينيًّا وتغلط في الأخلاق وتفترض الانحراف. كمان تصنيف وتفرقة، ده الوقعة بقت كل الألوان. بينا على النيابة بقى، وبعدها نطلع على أمريكا وقضية تحرش مع اضطهاد.

لو أقولّك على الموقف الكوميدي، والضحك المكتوم بيني وبين فريقي، والراجل الكبير بيغسله، وبيجبره على الاعتذار، ويقفل الموضوع الأصلي. كمّلنا بقى. طلّعت كل الأوراق، موضوع قرار الرفد الغلط وسمعة

الشركة اللي كانت هتضيع، وولادي إزّاي لحقوا الموضوع. ووراها كمان كذا موضوع يودّوا في داهية، من ضمنها مرّة كدب رسمي وشهد زور على واحدة غلبانة عشان يظبّط مع سكرتيرة من المتدلّعين، مفيش فايدة يا أخي، فتّش عن المرأة، أو بمعنى أصحّ فتش عن سفالة الرجل مع المرأة. كانت قعدة غسيل ومكوة، بنخلّص القديم والجديد. خرجنا مرفوعين الراس. والراجل خارج وراسه في الأرض. كانت أواخر أيامي في المكان، بس باحب العب لغاية آخر دقيقة في الماتش، واسيب فريقي مرفوع الراس ومالي مركزه حتي لمّا أغيب. من يومها ما لعبش قدّام ولادي تاني. لسه فاكر زيارته ليّا في مكتبي قبل ما امشي بيوم، وإصراره إنه يقول كلمة عاطفية عني في حفل الوداع. غالبًا كان عايز يتأكد إني ماشي بجد. يومها الحوار فتح بكل صراحة، وقلت له أرجوك يا حمادة خد بالك، الناس اللي دورها تبقى الميزان والحكم ما ينفعش تحب وتكره، وما ينفعش تظلم حد. أنا عارف يا حمادة، كل التفاصيل والألعاب، والتفاهة لدرجة نقل صور وسكرين شوت لحاجات من على الفيس بوك عشان تحاول تعمل قصة ضدي أو ضد غيري. بلاش يا حمادة. ما ينفعش تبقى حكم وخصم. وماينفعش تمسك عصا العدالة وتكسر بيها القانون. ما ينفعش تبقى كبير وتغلط مع وفي الصغيّرين. السلطة مسئولية يا حمادة. رده كان بسيط جدًّا، قام وباس راسي. إجابة وافية. بعد ما سبت عرفت إنه حبّ يلعب تاني، ياخد موقف مع ناس ضد ناس، والمرة دي اللي اتمسك عليه طار على المقر الرئيسي في أمريكا. تحقيق كبير ودوشة وفضيحة، بس للأسف الراجل الكبير وقف جنبه وحماه.

النفاق والخدمات المجانية بتفرق برضه، حمادة كان بيفخر إنه بيودّي عربية الكبير للصيانة. مش أي حد يعمل كده. بيبقى نفسك تشوف العبرة في حالات زي حمادة، مش دايمًا بتحصل. بافكّر نفسي تاني، مين قال الدنيا فيها عدل.. اللي زي حمادة كتير..

48 - عن رجّالة الراجل الكبير..
لمّا تضطر تلعب..

ما في مكان اشتغلت فيه إلّا وكان فيه الراجل بتاع الراجل الكبير. هو مش واحد الحقيقة، بيبقوا كتير، بس دايمًا بيكون فيه واحد بتاعه قوي، قوي يعني. زي أرثر ما كان مع الملك ريتشارد قلب الأسد. والراجل ده وفِي ومطيع ومستعد يعمل أي حاجة عشان الكبير، حتى لو طلب منه يقتل أو يسرق. وحياته مرهونة بيه. لو طلبه في نص الليل هيلاقيه تحت رجليه. عين له على كل الناس، وكرباج يستخدمه وقت الاحتياج. وفي المقابل بيكرمه ويدلّعه، بس بمزاجه وفي الوقت اللي يعجبه. شفتها مرة مع واحد كان ممكن ينزل من السويس لغاية مرسى مطروح في نص الليل عشان طلبات الكبير، والكبير ممكن يكتب له شيك بمليون جنيه بدون مناسبة وبعيد عن مرتبه اللي هو يا دوب ألفين. علاقة غريبة لكن مستمرة على طول.

هيثم كان كده. بدايتي معاه كانت كالعادة رومانسية، طاردني بكل ذوق مدة طويلة لغاية ما تقابلنا، ويوم اللقاء كان الراجل الكبير في الانتظار، كمين ومقابلة توظيف. دخل فيّا شمال ودخلت فيه شمال ويمين. في نهاية القعدة الكبير أصرّ اني اشتغل معاهم. كان واخد قراره، وغالبًا كان متراهن إنه هيعرف يجيبني، وده كان أول انتصار لهيثم قدّام الكبير. هيثم كان عندي في الإدارة، والمفروض دراعي اليمين، والأيام الأولى كان معايا في كل حاجة، معلومات وحواديت وتاريخ وكله، ورسائل متواصلة عن قوته مع الكبير وعلاقته الأبدية معاه ومع العيلة كلها، اللي هما بالنسبة له معقل الآلهة. وفي نفس الوقت كانت فيه رسايل تانية مقلقة وسوداوية قوي بتجيلي، من حسابات مجهولة ومعلومة على الفيس بوك والواتس آب ولينكد إن ، اللي هي مواقع تواصل اجتماعي واحترافي. وكل الرسايل بتقوللي خد بالك من هيثم، ده ياما أذى ناس وقطع عيش غلابة، وبدون سبب إلّا البلطجة والشيطنة. ما صدّقتش انا، مش ممكن يكون فيه حد كده، أكيد فيها خلفيات أو مصالح شخصية أو غيره.

هيثم خبراته كانت معقولة، لكن طبعًا ناقصه كتير، وإلّا ما كانوش احتاجوا حد زي حالاتي بتاع إعادة هيكلة وتغيير. وبعدين بدأت الاحتكاكات الصغيّرة لما دخلنا في التفاصيل. هيثم عمره ما بيكون في المكتب، ولما تسأله يقول لك مع الراجل الكبير باجيبله حاجات، باعمله حاجات. هيثم ماعندوش نظام في الشغل، كل حاجة وراها حاجة، وكل موضوع له ذيول وحواديت. وهيثم عنده تقسيمات في الفريق، حبايب وغلابة، والحبايب شغّالين نفس نظامه مع الكبير، نقل كلام وخدمات شخصية. ما اقدرش انا. بدري بدري قعدنا، قلت له على نظامي، إنسى الراجل الكبير، إنت تبعي. بس تبعي بالشغل الطبيعي. ابتسامة ساخرة وطبعًا طبعًا، واستمر الوضع على ما هو عليه. ماشي، دخلنا في المرحلة التانية، حضورك وانصرافك، وأسباب التأخير في تنفيذ الشغل والخطط، وإلغاء الامتيازات له ولناس معينة. الموضوع قلب قلق، وشويّة ولقيت الراجل الكبير بيبعتلي رسايل صغيّرة، بتقوللي إن هيثم شغال عصفورة بس ببعض التحريف والإبداع في التأليف. كنت جاهز بتصور كامل للإدارة، وفيه احتمالين؛ الأول يخلّي هيثم في منصب أكبر بس مضطر يشتغل بجد ويشيل البلاوي، والتاني إنه يسيب الإدارة ويشتغل مباشرة مع الراجل الكبير. والكوميدي إن الكبير رفض الاتنين؛ شايفه أصغر من المسئولية، ومش عايزه يكون تحته على طول.

بنبقى عارفين إن الحاجة مش حلوة، بس عايزينها تفضل شغّالة بعيد عننا ولمصلحتنا. كان أول حوار صريح بيني وبين الراجل الكبير، قاللي إن هيثم بيعمل له الشغل القذر اللي أنا مش هاعرف ولا هاقبل اعمله، وادّاني أمثلة. وانا ردّيت على الأمثلة باستكمالها، وأثبتّ له إزّاي نتيجتها كانت في الآخر من أسوأ ما يمكن. حكيتله عن حالات مشابهة انتهت بدم وسواد وسمعة سيئة، وقلت له إنت فاكر إنك بتحميه مني، بس إنت كده بتضرّه وبتدمَّر قدرته وسمعته. برضه رفض، وقاللي يفضل معاك، واعمل فيه اللي إنت عايزه.

خرجت من عنده لقيت هيثم مستنّي. قعدت معاه في حوار كوميدي جدًّا. قلت له الراجل الكبير بيسلّم عليك وبيقولّك إني انا مديرك. قولها لو سمحت كذا مرة، خالد هو مديري. مش باهزّر، قولها عشان عقلك يسمع لسانك. وهيثم يا عيني مش قادر يقولها، بعد معاناة نطق. أحد أحد. ما كمّلناش كلام عشان الراجل الكبير كلّمه وطلب منه يجيب له حاجة من المكتب، مفيش فايدة، مش هيسيبه، وهيثم مش هيسمعني. رجعنا تاني قط وفار، والمرة دي بدأت اضغط عليه بعنف، بالشغل وبحق ربنا، وهو مع كل حاجة بتقع منه يرد بنفس الأسلوب اللي متعوّد عليه؛ وشاية، تسريب معلومات، توقيع مع مدير في إدارة تانية، وأنا

تدريجيًّا بطّلت العب معاه وسبت اللعب للولاد اللي معايا، ما هو اللعب له أصول برضه. واللي بيلعب بعيد عن النضافة بيغلط كتير، وبيتمسك عليه حاجات كتير. الملف الأسود كبر قوي، وفي يوم كمل الموضوع بكسر صريح للأوامر بتاعتي وتحدي علني، ومعاها مستند يثبت انه بيدَوَّر في السوق على حد ياخد مكاني. في نفس اليوم كنت باعت كل حاجة للكبير، ومعاها قرار إداري جاهز للتوقيع منه، إن هيثم يبقى تبعه، بس مالوش دعوة بالإدارة بتاعتي خالص، ومعاه البديل اللي هو استقالتي.

بالليل كنت مع الكبير وبيمضي القرار، وهو قمة في الغيظ، وانا باضحك وبأقوله ما تخافش، اللي إنت عايز تعرفه هتعرفه بس بالشكل الطبيعي والاحترافي. وبالمرة إدّيته صورة من الملف الأسود، بتاع التجاوزات واستغلال النفوذ والتربح. لسه فاكر منظره وهو منفعل جدًّا وبيخبط كف بكف، وأنا باضحك باقول له إنت السبب، مش ذنبه. إنت شكّلته على مقاسك، حولته من مدير محترف في مجال معين إلى مدير محترف فيك، بيلعب ليك وعليك. تاني يوم القرار نزل، وشفت هيثم، وأخدنا بعض بالحضن وضحكنا. قلت له خلاص راحت عدّت خلصت. مش ذنبك ولا ذنبي، بس أرجوك تفتكرها. إنت أقوى مليون مرة بكفاءتك وعملك، مش بعلاقتك ومعلوماتك.. هيثم ما بطّلش لعب، مرة واتنين وتلاتة أعرف انه بيدوّر ورايا وورا فريقي، وكل ما واحد من نفس النوعية يقع، أصل فيه واحد هيثم في كل إدارة، ألاقي هيثم مجتمع مع المجموعة القديمة وبيعيّطوا على الحال، ويشتموا في خالد الغلبان ويقولوا ده شيطان وهيخلّص علينا واحد واحد. وأنا بطّلت العب معاهم خالص.

لمّا بتلعب مع ناس مش نضيفة بتنزل لمستواهم، همّا بياخدوا من نضافتك، وانت بتبقى بتاخد من قذارتهم. باعرف العب بس مش باحب، ولمّا بالعب باتحوّل جماد من غير مشاعر، اللعب كده. ولمّا باكسب مش بافرح، عمر ما اللي بيلعب بيطلع نضيف تمامًا. نفسي ما العبش تاني.. بالتوفيق يا هيثم..

49 - يوم ما مضيت العقد..

وانا خارج من مكتب رئيس مجلس الإدارة، قابلني وأخدني بالحضن مدير عندهم كنت اعرفه زمان. قاللي إيه اللي جابك هنا، دي خربانة عالآخر ومش بنقبض أساسًا في معادنا. على خيرة الله، ما انا جاي عشان أصلّح الحاجات دي.

أول يوم شغل بدأت البشاير تهل، إضراب وتمرد من فريق المبيعات. وعود قديمة ما تحققتش ومشاكل في العمولة، وإجبار على توقيع عقود جديدة وتخلّص من حقوق. حلاوتك يا مولانا. كان يوم خميس بالليل، الجمعة الضهر كنت في كافيه بعيد عن المكتب حسب طلب الولاد، وقاعد مع فريق البيع كله، شباب زي الفل. سمعتهم الأول، حواديت توجع ومشاكل كتير، بس مفيش هزار مع التمرد، اللي مش عايز يشتغل الباب يفوّت جمل، والمقبرة مليئة برجال كان لا يمكن الاستغناء عنهم. إمضي العقد وبعدين نتكلّم.

في النص كنت حكيت كتير عن نفسي، والتاريخ بتاع إعادة الهيكلة، وضربت أمثلة عن مرات سبت فيها الشغل عشان مش عارف اجيب حق موظف صغيّر، والولاد كانوا سامعين الحواديت دي، وتدريجيًّا إطّمّنوا. شرحت لهم الخطة إيه واللي عايز اعمله ليهم إن شاء الله، والتزمت معاهم. عمري ما هاهرب من الرد، ليك عندي حاجة من تلاتة؛ ده حقك وهتاخده دلوقتي، ده حقك بس مش هاقدر أدّيه دلوقتي وملتزم بيه تجاهك، ده مش حقك. الشباب وافقوا كلهم ما عدا واحد. أصرّ يلعب ويساوم، قاللي مش هامضي إلّا لمّا اضمن حقي، وعلى فكرة فيه فلوس عند عملاء ممكن أجيبها، وأنا عارف الظروف صعبة. قلت له امضي استقالتك حالًا، مش عايزك. إرجع بلدك ويوم الحد تكون عندي بتسلّم حاجتك وتنهي عملك. قدّام الناس. السبت الضهر كلّمني وقاللي هاكون عند حضرتك الحد الصبح بالفلوس بتاعت العملاء، جمعتها كلها بما فيه ديون شبه معدومة وقديمة، عربون محبة واعتذار يا باشا، أنا تحت أمر الشركة. عملت حسابي لمّا يكون عندي إن نصّ فريق البيع يكون موجود، يعرفوا ويشوفوا إنه مفيش هزار والشركة هي اللي تكسب، وهمّا يكسبوا لمّا يلتزموا. رسالة حلوة وأول انتصار صغيّر. وفي خلال أسبوع بالظبط كان واخد حقوقه القديمة والترقية اللي كان يستحقها، بالحق مش بلوي الدراع.

تاني موقعة كانت في المصنع، قالولي إلحق إضراب وحدوتة. رحت ولقيت خمسميت عامل فارشين الأرض ومستنيين. بدأت بالحوار المعتاد، التعريف بنفسي والخبرات والتاريخ، واللي ناويين نعمله إن شاء الله والتغيير والفرص. وقّفني واحد فيهم، بقلة ذوق وصوت عالي وشتيمة، سمعنا الكلام ده قبل كده. فرصتي. دخلت شمال قوي، ماعنديش قلة ذوق ولا شتيمة ولا صوت عالي، نحترم نفسنا ونحترم بعض، لا شركتي ولا شركتك، كلنا على باب الله وعايزين نراعي ربنا في لقمة حلال. طبعًا باعمل الفيلم ده وانا بايظ من جوّه، كتير قوي همّا. لكن كنت متأكد إنه ما سمعش الكلام ده ولا المشروعات اللي أنا قلتها قبل كده. سألته سمعته فين، هاتلي إثبات، وسألت الخمسمية، والشباب حلو ونضيف ومش بيكدب، قالولي ما سمعناش. قلت لهم يبقى نسمع بقى، أسمعكم بالأدب والذوق، وساعتها وقف عبد العزيز، شاب زي الفل، بكل أدب واحترام بعترني وبعتر الشركة، بالحق والحقوق. وجع قلبي بأدبه وظروفه غير الآدمية، وتحمّله الراقي ليها. قلت له كلامك كله صح، وطلباتك دي أبسط حقوقك، وهتاخدها إن شاء الله وقريب، شويّة شويّة، بس ساعدوني بالإنتاج والشغل والعمل الجماعي، عايزين ننتج أضعاف مضاعفة، وكل يوم هتشوفوا مني تغيير.

أخيرا رجعت مكتبي وبدأت الشغل الحقيقي. أولها دراسة وتحليل للشركة كلها، كل السياسات والقواعد والموارد، وبعدين البشر، الإمكانيات والطاقات والمهارات، والمنظومة كلها، هياكل ومسارات عمل وخطط ومشروعات ومعايير قياس وأهداف واستراتيجيات. أسبوع وكنّا عاملين ورشة عمل للفريق القيادي، نتفق على الرؤية والتوجه والاسترتيجيات. ومعاها كمان القيم والأخلاقيات والمبادئ؛ المظلة الحاكمة لكل أعمالنا. تناقشنا واختلفنا وفي الآخر اتفقنا. وكمان اتفقنا لو اختلفنا بعد كده نحلها ازاي.

عملنا الهيكل التنظيمي، وبدأنا أكبر وأصعب حملة تعيينات. ناس كتير كانوا بيخافوا ييجوا عشان تاريخ المكان، وناس كتير بقوا ييجوا ويقولوا جايّين عشانك، وانا أقول لهم بلاش، ما تجوش، محدش بييجي عشان حد، بتيجي عشان مرتب وتحدي ومستقبل وتطوير. وبصّيت كويس على الناس اللي جوّه. مش دايمًا الحرس القديم كله تعبان، لقيت فيهم جواهر. أول ناس لازم تلمع وتاخد فرصة، رسالة للجميع.

وبعدين دخلنا في منظومة إدارة الأداء، أهداف لكل مخلوق في الشركة، ومعايير قياس ومؤشرات، ومعاها قوللي احتياجاتك وطلباتك. ووراها سياسات وإرشادات وقواعد لكل حاجة، وتقنين للاستثناءات، وإزالة للتشوهات. مش عملية رومانسية ولا سهلة، لو أحكيلك على كم المقاومة والاعتراضات. ومعاها الألعاب والمؤامرات. بس كل انتصار صغيّر كان بيخلّي ناس أكتر تدخل في الدين الجديد. وكان فيه ناس كبيرة وجامدة قوي دخلت معايا في نفس الوقت. جِبْنا بعض وسَنَدنا بعض. الناس النضيفة كده. لازم تقف مع بعض. وكله كوم والمعارك مع الراجل الكبير كوم تاني، نفس الشخص اللي جايبك وعايزك تغير كل حاجة، بيوقّفلك كل حاجة. ولأني عامل زي بطوط المنفعل دايمًا بتاع ميكي، بقى المعتاد يوم في الأسبوع الشركة تاخد وضع الصمت والاستماع للموقعة اللي بيني وبينه. كانت دايمًا تنتهي بالخير، مفيش كسبان ولا خسران. والكبير بجد بيحب اللي بيختلف معاه ويقول لأ، بالحق والخبرة والمعرفة.

سنة ونص من السما، ولا الأحلام، مش رومانسية ولا حاجة، كلها أحداث ومفاجآت وصراعات ومشاكل، وناس وقعت مننا وما صمدتش، وعشر مرات قدمت فيها الاستقالة ورجعت تاني. اللي كمّل معانا كان نوع نادر. الصايع النضيف، الاستراتيجي اللي بيشمَّر وينزل ينفذ بنفسه، السريع المركّز. اللي عنده روح وحماس، ومعاها قمة الهدوء وقت اللزوم. لقينا ناس كتير كده زي الدهب، كانوا بس مستنيّين فرصة وعين تشوفهم وسط التراب. سنة ونص، غلطت فيها كتير قوي، بس جرّبت حاجات كتير عمري ما عملتها، واتعلّمتها، كل خبرات الماضي جميلة، لكنها فعل ماضي، كل تجربة جديدة عالم جديد. في نهاية سنة ونص كنا فرحانين زي العيال الصغيّرة. مصانع شغّالة ومرتبات متعدّلة ورعاية صحية، ومنتج بجودة عالية ونصيب كبير في السوق، ومكاتب محترمة... منتج مصري ميّة في ميّة. نجاح حقيقي، ترجمته مكالمة في يوم عيد، من عامل صغيّر في المصنع. نمرتي معاهم كلهم، باب وقلب مفتوح. بيقوللي باعيّد عليك، وباقول اني باحبك في الله.. وشكرًا..

بافكّر اني ما استاهلش كلامه الحلو، أكيد غلطت كتير، وعوّرت ناس وظلمـت نـاس.. لكـن ربّي أعلم بالنيّة.. والنيّة خير وجمال.. مكالمة متولي بالدنيا.. وأنا كمان باحبك في الله..

50 - المشروع..

مكالمة مفاجئة من رقم مجهول. لو سمحت تشرّفنا بكره.. قلق وخوف مع حماس وأمل ورجاء. يبقى طول عمرك نفسك تجيلك مكالمة زي دي، وفي نفس الوقت تبقى مرعوب منها. رحت، ناس محترمة جدًّا، وعايزين أفكار لمشروع حيوي جدًّا ووطني جدًّا. قلبي يا ناس.. ده انا راجع من برّه أساسًا عشان كده، بس استنّى شويّة لو سمحت، خلّيني استمتع باللحظة الحلوة، يعني انتم عارفين عني كل حاجة، وعارفين اني كويّس، والحاجات اللي باعملها مش غلط قوي يعني؟

طيب خير، عايزين مشروع؟ عندي. 3 أيّام وليالي باشتغل وبافتي وبألّف، خبرة السنين وحماس العمر، حاجة لبلدي وولاد بلدي. الحاجات الجميلة العملية الاحترافية اللي اتعلمناها في الشركات العالمية، وجرّبناها على نطاق واسع، في دول عالم تالت وعالم متقدم، وكل مرة طلّعت قماش. البدايات ولا أروع، الوصفة التقليدية للنجاح؛ فريق عمل صغيّر، تخصصات بتكمّل بعض، أدوار محددة وواضحة، مواعيد ثابتة للمقابلات والعرض والمناقشة، جدول زمني ضاغط ومحدد للتنفيذ. حلم يعني. والناس كلها نضيفة قوية ونقية قوي ومحترفة قوي، وبتحب البلد قوي بالعمل مش بالكلام. والأجمل اننا كلنا متطوعين، مش عايزين مقابل لا مادي ولا أدبي، ومفيش اعتراض نبقى في الظل تمامًا، المهم نطلّع قماش، ونعمل حاجة نقدر نحكيها لولادنا. الدنيا كانت ماشية حلو قوي.

عرضت الأفكار والرد كان إيجابي، هو ده اللي عايزينه بالظبط. بس المهم التفاصيل الصغيّرة والتنفيذ. لعبتي دي بقى، أصلي ياما اتعوّرت منها، وعارف إن الشيطان يكمن في التفاصيل الصغيّرة، ومدرك 90 % من المبادرات دايمًا بتفشل بسبب غياب الآليات. عملت خطة تفصيلية للتنفيذ، بجداول زمنية بمعايير قياس. ومعاها هيكل تنظيمي تفصيلي وواقعي للغاية. عارف أنا مشاكل السلطات والصلاحيات والإمكانيات والحاجات. وبعدين بدأت المنغصات، اللي طبعًا كان ليها مقدمات وإرهاصات. في الأول لقيت طلبات بتعديلات، عادي وطبيعي وبتحصل في أحسن المشروعات. لكن التعديلات كانت في بعض الأوقات بتهدّ المشروع من أساسه، وبتحوّله لحاجة تقليدية زي كل حاجة عندنا. رفضت وأصرّيت على الشكل والمضمون، والناس الجميلة المحترمة اقتنعوا. بس رجعوا تاني يطلبوا نفس التعديلات أو حاجات تقليدية مشابهة، بعد العرض على الكبار قوي. بكل بساطة طلبت إني انا اللي اعرض على الكبار قوي. ما حصلش. متأكد إنه ليها منطق. الكبار مشغولين، مين انا عشان يقعدوا معايا، لو قعدوا مع كل صاحب مشروع مش هيخلصوا، ده دور الناس المخلصة اللي في النص إنها تشيل البلاوي وتصفّي وتنقّي، ومين عارف يمكن اللي زيّي عايز يخترق ويوصل عشان مصالح شخصية وأغراض. بس يا شباب مع كل الاحترام فيه تخصصات، وانتم عليكم ضغوط كبيرة، ومسئوليات أهم، وصدّقوني الكلام والعرض لمّا يكون من صاحب الفكرة بيكون أقوى مليون مرة. ردود ذوق وأكيد وطبعًا هيحصل، لكن عمرها ما حصلت ماشي. البديل كان المزيد من الشد والجذب والخناق مرة واتنين وعشرة على التعديلات والإضافات، والحمد لله انتهينا لتسعين في الميّه من المنظومة الأولى. وبعدين دخلنا في مرحلة الإعداد وفريق التنفيذ الكامل، وكانت تاني العقبات. دعوة لاجتماع مع ناس محترمين قوي، وقديمة قوي، واكتشاف إنهم إن شاء معانا في التنفيذ، ولمّا دخلنا في الموضوع اكتشفنا إنهم فاهمين انهم كمان هيغيّروا كل المنظومة ويفتوا ويضيفوا. كمان خناقة وموقعة، والمرة دي صريحة ومؤلمة. لسه فاكر الصدمة على وشّ الراجل المحترم وانا باقوله مع كل احترامي لسيادتك، لو حضرتك عملت المشروع بطريقتك، الناتج هيكون ناس زيّي وزي حضرتك، واللي زيّنا همّا اللي ضيّعوا البلد. شد وجذب وكلام كتير، وانتهينا تقريبًا لتمانين في الميه من الحلم الأولاني. دخلنا بعدها في مرحلة اختيار الفريق الإداري، واصطدمنا بعائق الإمكانيات والقيود، المادية قبل العملية، رغم إنه مفيش أكتر من المادية عندنا. لقينا إننا في الآخر مفيش قدّامنا إلّا إننا نجيب ناس متقاعدة تقبل تشتغل بشكل متطوع أو بفلوس رمزية جدًّا، أو نجيب ناس متواضعة في الإمكانيات على قد الفلوس. والاتنين حرام وعيب في المشروعات الكبيرة. وده اللي حصل، نزلنا كده لسبعين في الميّه.

ثم دخل الشيطان الأكبر؛ الإعلام. أول ما عرفوا عن المشروع، بدأت المطاردات.. ومين فينا ما يحبّش الأضواء والشهرة والنجومية. الفريق الصغيّر المنظم المتعاون بدأ ياكل في بعض، زعل وغِيرة وخناقات صغيّرة وكبيرة، مين يطلع فين ويقول إيه، وانا كنت أوّلهم. شايف ده حقي ومشروعي وأفكاري، وغروري بيقوللي لازم اخد كل الأضواء، واعوّض ظلم وإهمال سنين. غلطان كنت انا، بس بشر. ودي كمان أخدت

من قوة المشروع وجدية تطبيقه. نزلنا لستين في الميّه بمقاييسي اللي بدأت بيها. شويّة شويّة كنت بابعد عن الموضوع، مش راضي ومن جوّه موجوع. بس باحطّ كل ما عندي، واعمل كل اللي مطلوب مني. ولمّا وصلنا لمرحلة التنفيذ التفصيلي كنت خلاص، أستاذ زائر، ضيف محبوب ومرّحب بيه بس من بعيد لبعيد. يعني ممكن تتفرج بس ما تلمسش حاجة .look but don’t touch على رأي الأجانب؛

في الآخر تقريبًا عشر جهات تقاسموا التورتة، كلهم تصارعوا على الضوء، وكلهم برضه تصارعوا على التنفيذ بطريقتهم. في الآخر حاجات كتير وقعت، وحاجات كتير اتعملت. طريقتهم ما كانتش غلط، مفيش صح وغلط، كل شيء ممكن بس له تمن. مفيش حاجة مش بتوصّلك، لكن بتوصل لغاية فين وبأي حال بقى.. كان نفسي في مصنع كبير يطلع منه مليون إيد محترفة ويطلّع ألف توب قماش، واللي انتهينا ليه ورشة حلوة بتطلع 100 توب من ألف إيد. مش وِحش. أحسن بكتير من أي ورشة في بلدي. لكن حلمي كان أكبر. حلمنا كلنا كان أكبر. وفي الآخر كلنا أقنعنا روحنا إننا حققنا الحلم بالكامل. زي الفيلم كده. العلبة الصغيّرة دي فيها فيل. وده الغريب يا أخي. عارف لمّا نكون كلنا كويّسين ومخلصين، وعايزين نفس الحاجة وعندنا نفس المبادئ، بس بطريقة ما الموضوع بيضرب مننا. ساعة الجد الدنيا بتضرب، يدخل في الموضوع القدرات والخوف والضعف الإنساني. والرغبات والشهوات والأحلام الفردية. والإحساس الرهيب بإني انا بالذات أحسن من غيري، واني مخلص أكتر منهم، واستاهل أحسن منهم. واني انا بس اللي باحب بلدي، وانا بس اللي اتعامل مع الكبير، وامنع عنه الناس. عشان انا كبير زيّه.

بس الدرس اللي انا اتعلّمته، إن أي حد بيمنعك عن الراجل الكبير هو اللي بيبقى صغيّر قوي. قوي. في أي حتة وفي كل مكان. معلش. خيرها في غيرها. طريق طويل ونستمر في السعي والمحاولة. الغلط بتاعنا كلنا، والمسئولية علينا كلنا، ولازم نعملها كلنا. ولمّا نقع نقوم تاني، ولمّا نفشل نحاول تاني. عشان ربّنا قال لنا كده. قال: فسيرى الله عملكم، ما قالش نتيجة عملكم.. نستمر في السعي..

الكتاب..

لمّا فكّرت اكتب، كنت متخيل انّي باقدّم خدمة للبشرية، عايز اجمع خلاصة الخبرات والتجارب اللي مرّيت بيها، والعبر اللي اتعلّمتها، وادّيها هدية للشباب. عن عالم البيزينس والإعلام والتوظيف والإدارة، وكمان شويّة سياسة على حب على جرايم على قضايا.. وارسم صور لبشر وشخصيات وطبايع وأخلاقيات ومبادئ. وبعدين مع كل حكاية افتكرتها وكتبتها، اكتشفت انّي انا اللي محتاج أتعلّم وأتدبّر.. واكتشفت كمان انه مش دايمًا الواحد بيتعلّم من الأخطاء بتاعته، بيكررها مرة واتنين، وبيدّي نفسه ألف عذر وسبب منطقي.. اتّريقت كتير على الراجل الكبير، والناس اللي قافلة على الراجل الكبير، واللي بيفسدوا الراجل الكبير.. وبرضه اكتشفت إنه انا كمان كنت الراجل الكبير في أوقات كتير، وممكن اكون عملت بلاوي وحبّيت وكرهت وظلمت ودلّعت ناس وانا بالعب دور الراجل الكبير.. وياما ضحكوا عليّا وانا مستمتع بدور الراجل الكبير.. وأكيد كنت مقتنع انّي رجل الحلال والتقوى، ومع آخر حكاية كنت مكسوف من كمّ البلاوي اللي عملتها وممكن تكون حرام جدًّا.. كنت فاكر انّي هاطلع في الصورة المثالية الجميلة؛ بني آدم كويّس قوي.. ما طلعتش كده.. وبرضه ما طلعتش بني آدم وحش.. طلعت بني آدم.. بني آدم وبس.. بنفسه البشرية.. بفجورها وتقواها.. مش ندمان.. بس على الأقل هاحاول أتعلّم من الأخطاء.. وما اكرّرهاش كتير قوي.. بني آدم..